

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01116 8428

B
15
.8
18



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

مكة المكرمة

١٤٢٠

٢٨

003-952109

03-B4251 Pwt

BJ

1582

.R612

1927

مَعَالِيخُ الْفَلَاحِ

كتاب عصري

يرشد القارىء الى الفضائل التي يتم له التوفيق والنجاح في الحياة
اذا استمسك بسبيلها المتين ويهديه الى الوسائل التي
تصون بدنه وعقله وتكفل له الهناءة والسعادة

أبرزه الى اللغة العربية

محمّد مسعود

العنوان: برباسة مجلس الوزراء تليفون رقم ٤٢٣
وبالمنزل تليفون رقم ٧٢٠٢



(ثمن النسخة ١٠)

طبع بالقاهرة في سنة ١٣٤٥ هجرية
الموافقة سنة ١٩٢٧ ميلادية

卷之三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

三

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حامداً ومصلياً

اما بعد فقد دعت الحاجة في عصرنا هذا ، عصر السعى المبكر
لتحصيل القوت والتسابق الى حفظ الذات والتناحر في ميدان
الحياة بأن تكون كتب الاخلاق والسير والسلوك أقرب الى
بيان الحقائق العملية منها الى تقرير القواعد النظرية ، وأسرع وثبة
بالطالب الى غمار المعركة الحيوية منها الى ايقافه على حفاف ميدانها
طلباً لمجرد السلوى بالنظر اليها كمن يقطع الوقت في عرض السابلة
من نافذة أو من مستشرف . فكلم بين كتب الاخلاق والسلوك
التي يخرجها الينا المعاصرون وما تركه لنا السلف الصالح في تراهم
الادبي والعلمي من فارق بل وهوة سحيقة في طريقة معالجتها لطائفة
من أمهات الصفات والخصال النفسية وتقديرها اياها وحكمها عليها !
ألا ترى المتأخرين من المصنفين في ذلك الباب يعدون الطمع فضيلة
والحياء رذيلة بيدنا تواليف المتقدمين ملأى بما يناقض هذا النظر في
الحكم عليهما ؟ نعم ان هذا التباين لا ينعي على المتقدمين حكمهم
على الاشياء والصفات بما يخالف حكم المتأخرين لأن ما يكون
محموداً بذاته في عصر قد يجعله مذموماً في غيره تبدل شروط الحياة
وتطور الصفات النفسية بطورها كما قضت به طبيعة الوجود وسنة
الخالق في خلقه ولن نجد لسنة الله تبديلاً .

ولقد كان من المصنفات الفويمة التي أخرجت الى القراء في
 فجر هذا القرن العشرين باحثة في ذلك الموضوع كتاب العلامة
 الخلقى سيلفان روديس الموسوم « السير في طريق الحياة »
 ولكثر ما قرأت من مصنفات مجيدة لعلماء النفس في الاخلاق
 فما رأيت مصنفاً منها أجمع لشتات الموضوع ولا أوفى بحاجة
 الشباب في هذا العصر من كتاب سيلفان روديس لانه لم يطرق بحثاً
 من ابخائه وتركه في حاجة الى المزيد فيه . قرأت ذلك الكتاب
 فخرجت منه غيرى قبل أن ادخل فيه وعلمت منه ما لم أكن اعلم ،
 على كثرة ما طالمت من نوعه ، بما أرشد الى صواب وقرر من
 حكمة تملك على القارئ رأيه فينزل على حكمها ويخضع لسطوة
 بيانها فهو السحر المبين لا بالرقى والتمايم ولكن روح المؤلف الفياضة
 الجذابة لا تدع سبيلاً لحركات المشاعر دون الدائرة التي حصرها فيها
 وحسن تصوره للمعانى يقربها من النفس حتى تلتصق بها فكان
 قوة مغنطيسية تستنزل العقائد من بروجها وتضعها حيث يريد .
 ما أرشده ناصحاً وأصدقه واعظاً وأقدره كاتباً حين شبه
 السعادة بطائر يستخفى تارة بين الادغال ويظهر ظورا فوق
 الاغصان وجعل طالبها صياداً ينبغي أن يكون ماهراً لا يفوته
 طائرهما مهما صابره وراوغه . فلقد احسست وأنا اقرأ ذلك أن
 السعادة قريبة المتناول ، وخيل الى أنى ذلك الصياد . ومعنى هذا
 أن كل انسان يستطيع أن يكون سعيداً اذا تعلم كيف يكون صياداً .

وليس ذا على ذى همّة ببعيد ، فقد قرب المؤلف الحياة الهنيئة
لطالبها وحمله تبعة ما يفوته من متاع العيش وزينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق . وما أحسنه مبدعا وهو يذم الحياء -
وقد مدحه الناس جميعا - وما زال ينحى عليه حتى جعله مرضا
كالجن وعده معطلا الموهب وقاضيا على ما في النفس من التطلمع
الى المجد وفرق بينه وبين أدب المعاملة قولاً وفعلاً فهو قد جعل
للحياء موضعا حيث لا يبعد عن دائرة الادب وحسن المعشر .

ولست ادري بماذا أصفه وقد كتب في طول العمر فجعله
ممكنا متى وفق الانسان وقاية صحته ما لم يحدث له ما لا طاقة له
بدفعه من الحوادث الفجائية ولم يرض أن يكون مر السنين طريقا
للهرم بل جعل طريقه الامراض الناشئة عن ترك التوقي . وليس
قوله هذا بدعا فكلم من صبي قشيب الحياة قد اخترمته الامراض
حتى قذفت به الى آخر مراحل الحياة . ولم من شيخ أبلى جده
السنين طول العمر ولم يزل جديد الجسم قويه قادرا على معاركة
الاحداث . وبعد أن عرف ماذا يجب للجسم من وقاية عرف ماذا
يجب للروح من صيانة .

قرأت ذلك فخيّل الى وأنا في حدود الشيخوخة انى اقطف
ازهار الشباب ، وشعرت انى سأعيش مائة السنة ما عملت بنصيحته
الرشيدة التي هي منى النفوس وهواها .

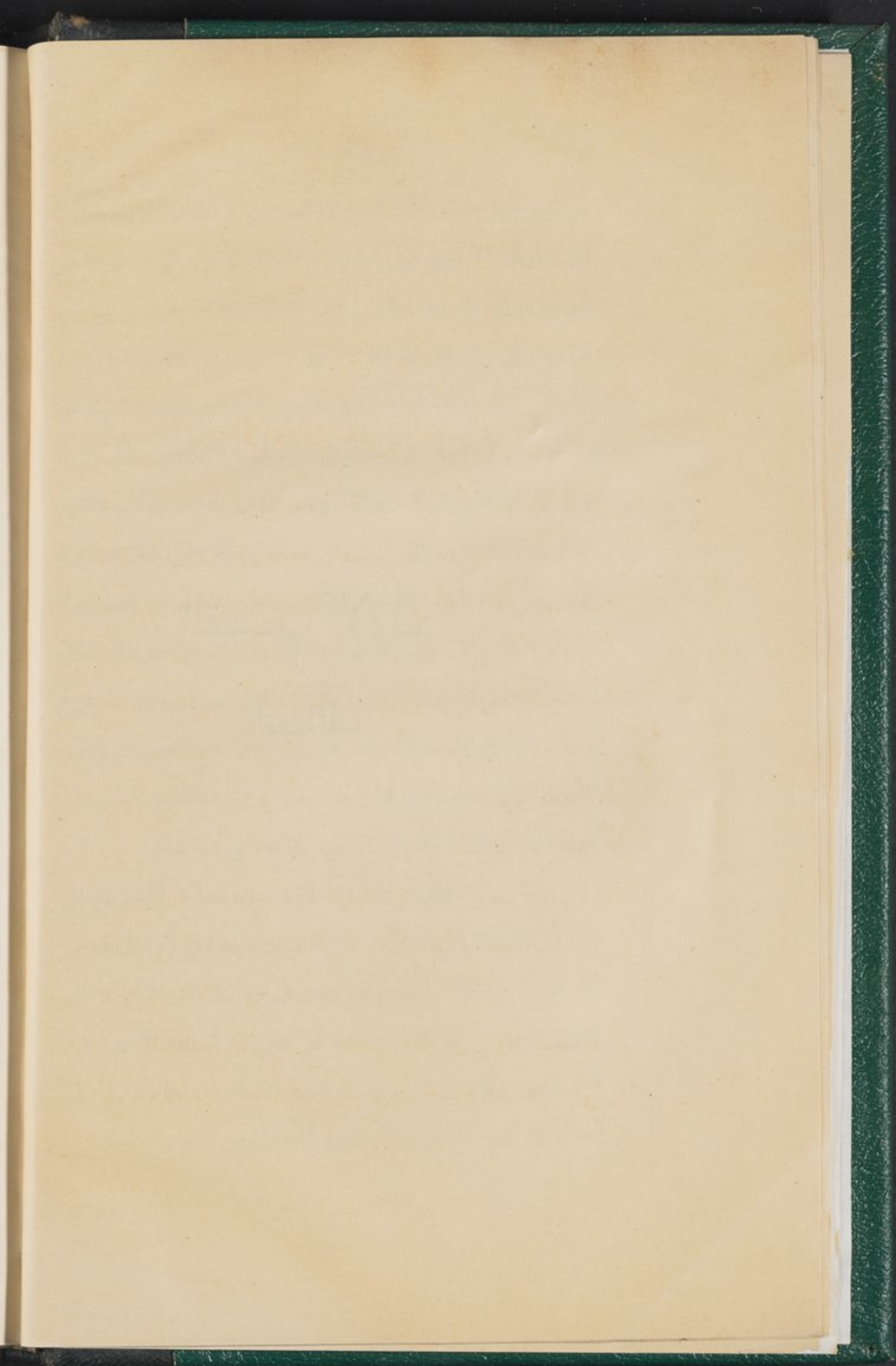
وما أنا والتخصيص فكل موضوعات الكتاب معجب

موتق وكلها حقائق بالغة قربها المؤلف من الأذهان حتى أوشكت أن تتناولها الأيدي قبل العقول ، واسترسل في كل ما طرقة من الموضوعات من غير إملال وحلله تحليلًا دقيقًا واحاط به من جميع نواحيه فلم يذر شاردة ولا واردة إلا أفرغها في قالب سهل ممتنع منسجم يراه الخاصة آية البلاغة ويراه العامة ناصحًا أمينًا غير متعسف ولا بعيد عن مستوى عقولهم . فالكتاب إذاً كالمرآة يري كل فيه صورة نفسه وعقله وهو كاللبن غذاء ودواء وكالشهد تفكته وشفاء لا يستغنى أديب عن مسامرتة ولا يضمن معلم بمسايرته ولا يضيق سياسي بمدارسته . وهل يستطيع أديب أن يجعل قوله مصادفاً المحز إلا إذا عرف طبائع النفوس وارتاد مرابض الأخلاق ليعرف كيف يستثيرها للخير والشر ؟ وهل يستطيع معلم أن يفرغ رحيق علمه في قلوب تلاميذه إلا من جامات علم النفس ليروض جامعها ويلين نافرها ويهتاج ساكنها وهل يستطيع سياسي أن ينزل منزلة من أمة إلا إذا أخذ بها إلى مناحي ميولها ؟

تلك هي بعض مزايا الكتاب سردناها لا للتشويق بل لتقرير الحقيقة اعترافاً بفضل مؤلفه وتنويهاً بصدق أثره في نفوس الآخذين بقواعده . ولما كانت مصر في نهضتها الحديثة بحاجة إلى تلقين أبنائها من المبادئ ما يمهدهم الطريق لمسابقة الأمم الحية فقد حفزتني تلك المزايا لترجمته ونشره بين القراء راجياً من المولى القدير أن نجى مطالعته بما يتجاوز المأمول من النفع والفائدة .

القسم الاول

القضايا



الاعتماد على النفس

إذا قل عدد السعداء في هذا العالم فما هو إلا لأن
الكثيرين ممن في قدرتهم تحصيل السعادة قد أغفلوا التذرع
بما توافر عندهم من الفضائل العالية التي أهملوا ممارستها، فكان
شأنها شأن النبت الكريم إذا لم تهده بوسائل النماء ذوى فلم
يعد صالحاً لغير الألقاء في أتون النار أو على قارعة الطريق
السعادة لا تأتي اليك منقادة أيها الجاد في أثرها الخاطب
ودها . بل هي مثل أعلى يجب أن تتجه نحوه عامداً وأن
ترنو إليه صاعداً . فإذا كان بين الناس من ظفر بها من غير أن
يحمل نفسه عناء طلبها ولم يجهد في سبيل الوصول إليها فانما
شأنه من الشؤون النادرة التي لا حكم لها والمعجزات الجديرة
بأن يبهت الإنسان أمامها دهشة وعجبا

السعادة طائر سريع التحفز للطيران . إذا تعمدت أن
تصيده لتحتازه سمعك ثم رآك تهول نحوه فيتركك حتى إذا

دنوت منه لم تكن إلا غمضة الطرف ويختفي في الأدغال أو يتوارى
بين الغصون السكيفة المتلاحمة المتشابكة أو يتغلغل في أحشاء
الطرفات والوهاد والنجاد ، طائراً فترة من الزمن يلوح بعصدها
بجوارك ليختفي مرة ثانية عن نظرك ، فإذا تتبعته بجهودك لتوقعه
في فخك وأمضيت زمناً في مواصلة الجد والتعب فلا يتم لك قنصه
إلا وتكون قد صرفت الكثير من الحيلة والصبر والمثابرة لبلوغ
هذا القصد وإصابة هذا المرمى

اللازم لكي يبلغ المرء أمنيته من اقتناص طائر السعادة
أن يتأهب لها تأهب الصياد لقنص قنيصته فيتسلح بالسلاح
البعيد المرمى الذي لا يخطئ الغرض ، ويلبس الثياب الجيدة
المصونة التي لا يؤثر فيها الأعصار إذا هب ، فضلاً عن متانة
أساطين ووثوق أركان يستطيع بها الصعود في الجبال والربوات
وتسلق المرتفعات والجدران ، ورضى نفس ورحب صدر بمكنايه
من مغالبة خور العزيمة وثبوت الهمة ويأس النفس ، ورشاقة
حركة وجودة نظر تعاوانه على الترصّد والمراقبة وسرعة الحركة
من مكان إلى مكان . فإذا توافرت فيه هذه الشرائط على مجملها
وهي متوافرة مع صدق الإرادة ووضاء العزيمة امتطى صهوة
السعد وسار اختيالا على رقاب النظراء والانداد المنافسين
الاعتماد على النفس أس الفضائل المطلوبة للنجاح في الحياة

ولتحصيل السعادة المرموقة من جميع الناس . فكن دائماً عند حسن ظنك بسعادة جدك وطلوع نجمك على أفق الفلاح وراقب المستقبل بثبات الجأش وقوة الأمل ، إذ المستقبل مستودع لصنوف السعادة التي تهيئها الحياة للمصطفوين من بني الانسان بفضل الاعتماد على النفس والثقة بها .

أما إذ قارنت نفسك بغيرك وحكمت عليها بأنها دون نفوسهم همة وإقداماً وقدرة على حل المعضلات فإنك تصبح من الأخسرين أعمالاً الذين إذا أراد غيرهم تسخيرهم في مصالحهم تقدموا إليهم مختارين وتحملوا مضى التسخير صاغرين وأصبحوا في أيديهم آلات لأهوائهم ووسائل لشهواتهم ، وشبوا وشابوا بالأعمال الحقيرة قانعين وعند أفقهم حتى منتهى الأجل واقفين فرض عليك نحو نفسك أن تروضها على طلب العلا والتماس المجد وأن تعودها قول ما يأتى صباح مساء حتى يصير لها خلة وديدنا : « إني إنسان أي كائن مفكر عاقل قدير على مواجهة المشكلات بالحلول الصحيحة وتذليل العقبات بالعزم الماضي والنظر الصادق . إني أميز بين الطيب والخبيث والصحيح والكاذب وأفهم معنى الحسن ومعنى القبح ، ولي من الفهم والذكاء ما هو أقوى وأحد مما لغيري منهما ، وليس عقلي دون عقولهم بل أنه إذا لم يعد لها فهو حتماً أرجح منها عند الموازنة . وبالحجر الزاين

يعرف الذهب وبالاحتكاك يظهر خبث الحديد . ثم إن لى من
قوة الابتكار وبعد النظر ما يكفل النجاح لأعمالى فأنا لست إذن
بحاجة إلى قائد ولا مرشد وإنما أنا قائد نفسى ومرشدها والقادر
وحدى على منازلة من يرومون تسخيرى فى أعمالهم وانخضاع
قواى وجهودى لأحكامهم ليعتزوا منها الفوائد دونى لأشخاصهم
وأظلم أنا من المحرومين »

فليهب لسانك بهذه الجمل مراراً وتكراراً ولا تخش تعباً
ولا مللاً ، فانك لا تلبث أن تقدر نفسك قدرها . ومتى قدرتها
قدرها فقد اعتمدت عليها واعتددت بها واتخذتها سائماً تتوكل
به إلى الغايات السامية والمقاصد البعيدة

العقبة الكؤود فى سبيل الاعتماد على النفس هي : الحياء .
والحياء آفة نفسية تجب المبادرة بعلاجها وهي تصيب بالشلل
أقوى الحركات وأبعدها مدى فى ميدان الصلوح والفائدة .
وتقتل قوة الابتكار قبل أن تنقف عن المشاريع الصالحة وتكسر
جناح الهمة إذا انبعثت إلى المقاصد الشريفة والغايات السنية .
فقمين براغب التوفيق للسعادة فى الحياة أن يقاوم بكل قواه
المادية والأدبية الأضرار الفادحة التى تنشأ عن تلك الحالة النفسية
ومن أيسر وسائل العلاج لها ، إذا منيت بها أيها القاريء
معاشرة الأصحاب المعروفين بسلامة النفس من فتك جرائمها .

فلا تختلف إذن إلا إلى من تعتقد أنهم من الثقات والأساطين
في الاعتماد على النفس، الذين لا تزعزعهم الحوادث ولا يأخذهم
الحياء في حصرة من لم يألّفوا رؤيته أو محادثته. وبمثل هذا
الاختلاف وهذه المعاشرة ينطبع خلقهم الجريء في نفسك شيئاً
فشيئاً بطريق العدوى الخلقية التي هي بعبارة أوضح حب الاقتداء
فلا تلبث أن ترى أنك قد تحولت من الحياء والاستكانة إلى
الجرأة والاندفاع وأن نفسك انطبعت بطابع نفوسهم الجريئة
المقدمة وأنها اكتسبت منها بتأثير القدوة فضائل الجد والثبات
والإقدام.

ومن ثمّ تستطيع أن تكون قوى الجأش ثابت القدم إزاء
الناس في حالتى مقابلتك أو استقبالك إياهم، وأن تذود عن مكانك
ومكانتك بينهم، وأن تدعو منهم إلى احترامك من تبدو منه
نحوك لفتات عدم الاهتمام أو سوء التقدير، وأن تدافع على الجملة
عن حقوقك المفروضة الأداء منهم إليك وأن تدفعهم إلى اعتبار
أنك إذا لم تكن أعلى منهم قدراً فلا أقل من أن تكون من
أندادهم ونظرائهم. وصفوة القول أن التعلم بالقدوة والمثل الصالح
هو خير الوسائل لتهديب الأخلاق وتقويم النفوس، لأن
القدوة والمثل تلخص فيهما معنى الحياة ولائهما يغنيان عن
الدرس والبحث الطويلين.

وإنك لنرى في الناس طراً، إما لسبب فطري أو لنقص في
التربية، نزعة مخجلة وميلاً مؤسفاً إلى الخضوع والخنوع
للمظاهر الباطلة والشارات الخارجية، ولو لم تكن ذات قيمة في
الحقيقة. بل أنك لتراهم عبدة الصور الكاذبة والاضاع المبنية
على التصنع بل هم يذهبون إلى تقديس الجمادات التي لا حول
لها ولا حيلة، يتساوى في هذا التقديس الحجر الأصم والبردة
القدرة والمسمار الذي علته طبقات الصدا. إذا نزل أحدهم في
فندق أو دخل عيادة طبيب أو انساب في بيت غاب عنه أصحابه
وجدته يتأثر بعوامل مختلفة: فسذاجة أمتعة الطبيب
ومنظرها الذي يدل على الهيبة والجد يزجي إلى نفسه أثراً غير
الذي يزجيه منظر الأمتعة في الفندق، فتراد يمشي في دار الطبيب
متعثراً متردداً يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، بخلافه في غير هذه
الدار حيث لا يعمل حساباً ما في سيره وتجوّاله بداخلها لما
يصادفه فيها، حتى أنه ليمشي حيث شاء مشدداً وطأً الاقدام على
الأرض بعكسه متحسناً متلمساً في دار الطبيب

فواجب عليك أن تعتق رقبتك من نير ذلك التأثير الذي
لا معنى له ولا مسوغ ولا يهتك شيء من المرائي الفتانة والمناظر
المدهشة. فلا يكن لعقد اللؤلؤ منوطاً بمجيد الحسنة ولا لسيارة
الغنى أو السرى تنهب الأرض نهباً تأثير ما في نفسك بل أطل

التأمل في الأشخاص والأشياء التي تعرض لك حيث تكون
وضع كلا منها في مكانه اللائق به فأن وضعك الأشياء في
مواضعها وإيقافك إياها عند حدودها يستأصل من نفسك
جذور الخوف والوجل والحياء ويغرس في مكانها الاقدام
وقوة العزم

وسواء أكنت من أهل الحياء أم لم تكن فلا تقبلن آراء
غيرك قضية مسامة ، ولا تأمن إلى اللفظ المبرقش الذي يخفي
الكذب والتصنع تحت طلائه الفتان والتفت إلى الجمل التي تعلو
فيها نبرات الصوت فرما كانت تستر أغراضاً خاصة وشهوات
سافلة . وعلى الجملة لا تأخذ بكل ما يلقي عليك من القول اعتباطاً
بل قسه بمقيار التأمل الصحيح ثم احكم على الغرض الذي يرمي
قائله إليه أشريف هو أم لا يتفق مع الكرامة

ولا تعتمد في استظهار صواب الأمور وخطأها ، صدقها
وكذبها إلا على بصرك وبصيرتك بالنظر الصادق والفكر الثاقب .
واعلم أن لا حق لأحد في احترامك إياه إلا بقدر ما يمتاز به من
العلم والخلال الفاعلة ، وإلا فلا تعره من اهتمامك إلا بقدر ما
يستحق . فلك أن تؤمن على قوله ولك أن لا تأبه له وإنما بشرط
أن تبني حكمك في الحالتين على النزاهة وصدق الرأي وحسن
القصد بعد الروية وإمعان النظر

وقين بك إذا جاءك امرؤ ليؤثر فيك بقوة من قواه الخلقية
ويحاول أن يخضعك له ويسيطر عليك أن تفحص أمره بالدقة
لعله يكون مختللاً يعالج أن يخدعك . فإذا لم يكن كذلك
فاستطلع كل أحواله حتى إذا بدالك مكان ضعيف أو ثلثة
صغيرة في الدرع اللامع المتين الذي لبسه لمصاولتك فبادر بمقاطعته
والبعد عنه وإظهار عدم الثقة به ، وبالغ في ذلك كل المبالغة إذا لاح
لك في خلقه ضعف حادث أو ثلثة جديدة . فأنت لا تلبث أن
تحس بقوة تتولد في نفسك وتذهب بك صعداً إلى الغايات
العليا ، بل لا تلبث أن تشعر أنك بحاجة إلى رفع رأسك وإعطاء
نظرك قوة الثبات والشخص في المراتب وجعل صوتك
جهورياً وأوضاع جسمك بحيث تؤدي معنى الهمة والحزم والوقار
إذا أنس فيك ذلك المرء هذه الفضائل فإنه لا يلبث أن
تأخذه آخذه الدهش منك والحيرة في أمرك . فلا يلبث أن يكبر
شأنك وينصاع لأرادتك أو أن يتقهقر من حضرتك مقراً
بالعجز عن مصاولتك في ميدان الحياة ، غير مترفع عن احتمال الضيم
بتسخيرك إياه في عملك على وجه ما من وجوه التسخير ولا متمنع
من اتخاذ أوامرك دستوراً لأعماله

كتب الكاتب المعروف (ليون دوديه) في مقال نشرته
جريدة (الجورنال) الباريسية فقال : « مما ينبغي للمرء أن

يناجى به نفسه ويذيعه بين الناس أنه لا فضل لأحد على الآخر
ولا فرق في المبدأ بينهما . فرئيس مستشارى محكمة الاستئناف
لا فرق بينه وبين بائع الكستنة المنزوى في منعطف الطريق ،
وأى رجل له أن ينتحل لنفسه مكانة يسموها عليك لمجرد أنه
مكتس بكساء التشریف ومزين الصدر بالشارات والأوسمة ؟ »
ولا تنس ما يترتب على ترددك فى القول والحركة من حمل
محدثك على عدم الاقتناع بقولك . فواجب عليك إذا أردت
أن تنال منه مبتغاك أو أن تحمله على التسليم بقولك أن تراعى
السمت والتؤدة فى قولك وفعلك . فقد قيل إن المرء الذى بز
الاقران فى العلم والعرفان لا يساوى الصفر فى مظاهر الاجتماع
ما دام عاجزاً عن التعبير عن مراده

واعلم أن سهولة التعبير تكتسب بالمران . والمران لا يتم لك
إلا إذا كان محفوظك من الكلم كثيراً غزيراً لتستطيع الانفاق
منه على حاجتك من التعبير . وإذا كان لك من الوقت متسع
فعليك وانت تطالع الكتب أن تستخرج منها الألفاظ والجمل
التي يروقك حسنهما ومنطقهما وإن تنيد أو ابدها فى مذكرة ثم
تكرر تلاوتها حتى تستقر فى حافظتك وتنتقش فى ذهنك بلا
تكلف . وثق بعد هذا أن الفكرة إذا حفت بها جموع من الألفاظ
والتعابير المختارة المنتقاة كان الأفصاح عنها فيضاً وعفو الساعة

واعتبر بالخطباء ، فانهم اذا تدفقت التعابير من افواههم بلا تردد ولا خوف فما ذاك الا لانهم يستمدونها من مستودع محفوظاتهم التي اتخذوها رأس مال مدخر عندهم ينفقون منه عند العوز . فاذا أردت أن تتشبه بهم فعليك أن تملأ خزان حافظتك بالألفاظ الرنانة والتعابير الممتعة والصيغ الدقيقة والنماذج المحكمة يفلح سعيك ويشمر جهدك اصابة الغرض ونيل المراد

وقد عني الا فرنج بجمع الألفاظ الخطائية والتعابير المساعدة على حسن الألقاء في كتب عقدوا لها العناوين لذلك الغرض نذكر منها على سبيل التمثيل كتاباً للعلامة (أميل أميت) نشره الكتبي (هـ . جون) بعنوان : « كيفية العلم بأساليب الكلام على مسمع من الجمهور والبحث بالكتابة في الشؤون اليومية » فقد جمع فيه ١٩٠٠٠ تعبير رتبها بحسب حروف الهجاء وجعل لها مقدمة ممتعة ضمنها قواعد تهيء المتعلم للتحرير والخطابة من غير مرشد ولا معلم (١)

ومتى اجتمع في حافظتك ما يفي بحاجة التعبير بالقول والتحرير فروض نفسك على الالتقاء . وخير وسائل الترويض أن

(١) ولقد فطن في مصر الى فائدة اختيار الالفاظ والتعابير صاحب « تقويم مسعود » في تقاويمه الثلاثة التي أصدرها من سنة ١٣٣٣ : ١٣٣٥ الهجرية اذ أورد فيها من القرآن الكريم وبقاى كتب الادب والتاريخ آيات وجملات تقوى حجة المتكلم والساكن وتثمن عبارتها

تعهد إلى كتاب فتفتحه حيث شئت وتشرع في التلاوة فإذا
وقفت عند جملة مفيدة فاقرأها بتأن وتؤدة ثم أعد تلاوتها
ثانياً وثالثاً ثم اغلق الكتاب واشرح تلك الجملة بصوت مرتفع
حريصاً على ترتيب الأفكار وصون العبارات من آفات التعقيد
والتكرار والتردد مجانباً التكلف والمبالغة والمجون وواضعا كل
لفظ وجملة في المواضع اللائقة بهما . فإذا لم توفق بعد هذا لأن
تكون خطيباً مصقعا فلا أقل من أن تصبح ذلق اللسان، لا تجد
في المجتمعات صعوبة ما في التعبير عن مرادك

ومن الواجب في الألقاء خطيباً كنت أو محدثاً أن تملك
عنان القول وتمسكه من ناصيته وأن يشعر سامعه بأنه من ابتكارك .
فإنك بتصرفك فيه على ما تشاء وتهوى تجعل السامعين لك
يخسرون بالفارق العظيم بينك وبينهم . قال أحدهم : قصدت رجلاً
من ملوك الكلام المشهورين بالبلاغه والفصاحة فرأيت أنه وقد حفر
به في كوخه الحقير الوزراء والعظماء كأن على رؤوسهم الطير
فبهت لهذا المنظر وعجبت لسلطان العقل كيف يستعبد النفوس
والقلوب .

فتأبر أيها القارئ الكريم على العمل في سبيل العلم فإن العلم
يرفع من شأن المرء ويحط من قوة الحظ والطالع ، لأن طريق
العلم مشروع معلوم وطريق الحظ مأتو مجهول . وفرق بين المحجة

الواضحة والتهيه المضل ، و الفرق بين الأمان والسلام في الأول
والخطر والضرر في الثاني . فمل إلى طريق العلم وسر فيه بقدم
ثابتة وثقة من يزدرى بالفخاخ والكمائن المنصوبة ولا تعتمد إلا
على نفسك فان الجمهور قد فطر على سرعة التصديق . فاذا سلكت
ذلك السبيل فأنت لا تلبث أن تراه موقناً بإيمانك مؤمناً بمذهبك
ملتمساً منك أن تكون له خير مرشد . وعوان على الوصول إلى
أوج الجاه والسعادة



ضبط النفس

الخصلة الثنية من الخصال التي يجب أن يتحلى بها طالب الفوز في معترك الحياة ضبط النفس والهيمنة على تصرفاتها . وهي من أمهات الخصال التي لأهميتها وصدق أثرها في حال المرء ومستقبله عقد لها الدكتور (تولوز) جملة فصول في تواليفه التي صنفها في الخصال والفضائل الباعثة على النجاح

إذا تأثرت نفس المرء بعامل طرآني كالفرح والخوف والحب والغضب فشعورها بأحد هذه العوامل سرعان ما يتحول إلى ظاهرة فسيولوجية عضوية هي الحركة . فالفرح والخوف والحب والغضب يعبر المرء عنها بحركات لا تسيطر الإرادة عليها ولا للنفس عهد سابق بها ، إلا أن الحركة المنبعثة عن الفرحة منها لا تشبه على وجه ما الحركة الناجمة عن الخوف ، وهكذا الشأن بالنسبة لما يترتب من الحركات على الشعور النفسي بأحد العوامل والمؤثرات الطرآنية

فخلق بمن توافرت فيه خصال أبطال الأعمال الموفقين بها للنجاح المتواصل في مشاريعهم وتصرفاتهم أن يكونوا من قوة الإرادة بحيث يهيمنون على تلك الحركات ويضبطونها في كل مظاهرها المحسوسة

قال الدكتور (تولوز) : « في قدرة المرء أن يصرف همته نحو أمر ما وان يفرغ لتمامه كل قواه ليكفل النجاح المرجو له ، ولكنه لن يحرز الفوز التام فيه إلا إذا ضبط نفسه وامسك بعنانها حتى لا تنطلق إلى ما لا يليق . وهذا يستدعي حتما أن لا يكون لافعالها بالمؤثرات الخارجية أثر في تصرفاته المبنية على الادراك »
وقال الدكتور (فريدو) الباحث الخلقى المعروف في كتابه (الشهوات والميول) : « لما كان أول شروط الهمة والنجاح في العمل أن يهيمن المرء على شعوره فقد صار حقا عليه أن يجعل رائده في تصرفاته السيادة المطلقة على هذا الشعور ولما كان الشعور أصلا وتأثر النفس بالمؤثرات المختلفة فرعا عن شعورها بها فأول ما يجب على المرء لضبط حركاته التي هي النتيجة الملازمة لهما أن يروض شعوره على الطاعة لأوامره والخضوع لحكمه »

إن الرجل الغضوب المستبد القاسي ، إنما هو الضعيف الذي يجعل من ضعفه منفذاً يسلك منه المناظرون والمنافسون إلى سبقه في حلبة النجاح ، والتفوق عليه في ميدان نيل المقاصد وإصابة الأغراض . والرجل الذي من هذا الطراز ، هو الذي تتحكم فيه الأعصاب تحكما يقرب من الاستعباد ، وتنطمس عنده معالم الفهم والادراك . ذلك الرجل لا يلبث أن يصبح مقيدا بأصفاد

الشهوات والميول النفسية ، وعبدًا خاضعًا خانعًا لنقائصه الخلقية
ورذائله الطبيعية ، إذا وقع حادث من تافهات الحوادث دان له
صاغراً عن اعتقاد وسلم به تسليمًا أعمى ، وإذا نزل عليه وحي من
أحد ولو بمحذور آمن به وصدق ودعا إليه دعوة المحبذ المثوب ،
غير مبال من أين نزل عليه هذا الوحي ولا بمحكم إدراكه في
صواب ما جاء به أو خطأه ، إذ لا إدراك عنده يفهم به حقائق
الأشياء ، ولا تمييز يميز به الغت من السمين ولا الضار من
النافع .

أمثال ذلك الرجل كثيرون تعرفهم بسيماهم ، فاتهم هم الذين
لا يأبون الضيم ، ولا يترفعون عن الدنيا ، بل يرضون بذلة
الاستكانة والاستعباد في أخلاقهم ومظاهر حياتهم الاجتماعية .
ذلك الرجل إذا تقمصت به نفسك ، فحاذر وبادر بأن تشهر عليه
حرباً عواناً . وكن ثبت الجنان مكيثاً في مصاولته ، فانك لن
تتغلب عليه إلا بالثبات والشجاعة والاقدام

واعلم أن المرء أو بالحرى خلقه ، يتنازعه صنفان من العوامل
المؤثرة في النفس : عوامل جائرة متحركة كالخوف والفرع
والسكدر . وكل منها يذل النفس ويخضعها للتأثير السارى اليها
من العوامل المؤثرة ، وعوامل مهيبة مثيرة ترتفع بنشاطها وقوتها
فوق هذا العامل . لذا قال الحكماء الذين ذهبوا إلى هذا

التقسيم ، إن العوامل الأولى تجعل المرء فريسة لما تنتججه من الأضرار والآفات ، بينما الثانية تصونه من أذاها . ومن ثم كان لزماً على البصير بأمور نفسه ، أن يلبس للعوامل الأولى جلد النمر وأن يكشر لها عن أنيابها ، وأن لا يدع لها منالاً منه ولا ملتصقاً وأن يستفيد من مزايا وفور الثانية له ، فيحكم العقل والذوق في تسيرها على النهج الذي إذا لم تحد عنه قيد أنملة ، تكن من مقومات إرادته ومعززاتها بالقوة والبأس .

إذا وقع حادث ما ، كأن التقيت في طريقك بأحد ، أو سمعت كلمة من محدث ، وأثر هذا الحادث في نفسك تأثيراً جعلك تشعر بخوف أو بحزن أو بكدر ، فما هو خليك بك أن تعمله إزاء ذلك أن تمسك في الحال بعنان شعورك ، فلا تدعه يجمع في ميدان التأثير ، والتمس بكل ما توافر فيك من قوة عقل وسلامة فهم امرأ واحداً ، وهو اعتبارك الأثر الطارئ على نفسك كأنه لم يكن ، أو كأنه من همتك بمنزلة الثرى من الثريا وأنه من سرعة الزوال بحيث لا يخرج نفسك من سكونها وتوئمتها إذا يحق لك أن تنأجى نفسك بقولك : « ما هي إلا ساعة حتى يزول كل أثر للطارئ الذي طرأ وتعود المياها إلى مجاريها ، وما هي إلا هنيهة حتى استأنف عملي بالهمة التي عاقني عن اطراد السير في طريقها ذلك الحادث الفجائي ، ويزول ذلك الاضطراب

الوقت الذى حاول أن يغشاني ، ويسيطر على إرادتى ويستبد بى
ويصدفنى عن السداد فى أمرى . إننى لا أحب التطوع فيما
يدفعنى اليه الانبعاث النفسى ، ولا الرضوخ لحكم الشهوات
الجائرة والميول المتحكمة ، ولا مناص لى من العمل المتعاقب
ساعتين لكى أنسى ذلك الحادث التافه ، وأدرجه فى الأكفان
وأجر عليه ذيول النسيان ، فلا أعمل »

ولك ، إذا شعرت بعقارب اليأس والقنوط وقد دبّت إلى
نفسك ، ان تثير فيها ذكرى الخصال المناقضة لها : كالأمل والهمة
والإقدام . واصرف كل خاطرك إلى هذه الخصال ، غير مفكر
فيما عداها ، وقلبها على وجوهها المختلفة ، وحللها تحليلاً دقيقاً فى
ذهنك . فاذا كر كيف تتولد فى النفس ، وكيف تشتد وتنمو ،
وكيف تستحيل إلى قوة فعالة تكتسح امامها الصعوبات وكيف
تساعد المرء الذى ملك زمامها على القيام بالأعمال الجليلة فى
هذه الحياة .

تفكر فى ذلك كله ، لا يثنىك عنه ثان ولا يصرفك عنه
صارف . فأنك متى تحولت من الأفكار المثبطة ، ومن الخصال
المبئسة إلى الخصال المشجعة بالأمل ، لا تلبث ان ترى هذه وقد
حلت محل تلك ، قبل ان تبدل من سكونك او تؤثر فى تؤدتك
وطماً نبئة نفسك

الفرح والحماس والحب ، وغيرها من العوامل المثيرة للنشاط
ينبغي أن توضع تحت ضابط ، وأن لا يطلق لها العنان إلا
بحساب . نعم ان هذه العواطف تدخل في باب المنشطات التي لا
بد منها للنفس ، وانها الجذوة التي تضطرم بها الهمم والحمية التي
تزين بها الأعمال ، وأن من الواجب الاحتفاظ بها والحرص
عليها ، كينابيع تستقى الهمة منها ماء القوة والنشاط ، غير أنه
ينبغي ابادء جراثيم مظاهرها الخارجية من افراط في الحركات
وتكلف ومبالغة في القول . إن لك أن تشور وتحمس لفكرة ما
من الفكر ، وهو أمر لا مفر منه لكل امرئ ، ولكن احرص
الحرص كله على الاحتفاظ بما ينجم عنها من قوة فعالة ، وأثر
يدفع بك الى التهور في الحماس ، لأنك اذا لم تحتفظ بهما
لنفسك ، ورجحت أن تنفقهما فيما لا يجديك نفعا من حركات
لا ضابط لها ، وكلمات لم تعمل لها حسابا ، فأنتما تكون كمن يقطع
الجسر ، فيغمر الأرض بماء لم تكن في حاجة اليه لريها واصلاحها
فكن على عواطفك وعوامل نفسك سيذا لا مسودا لها
وكن تجاهها حرا طليقا ، لا عبدا أسيرا .

واعلم ان كل حركة في العالم تقتضي اضاعة جانب من النشاط
والقوة ، وان اقتصاد هذه الحركة ذاتها داع الى توافرها ، وان
هذا التوافر مما يحسن تعهده بالزيادة وتوسيع النطاق . ذلك

لأن القصد في القوة والادخار من النشاط ، كالقصد من المال ،
يفيد في ظروف كثيرة من ظروف هذه الحياة .

قال الدكتور فريدو : « النشاط هو عين القوة ، ولا غنى
لامرء عنه ويكتسب بالتوفير والقصد . وصاحب النشاط اذا
تهيأ لأداء عمل أعد له ما يلزم من القوى وبذل في سبيل القيام
به ما يدعى بالتوى الطبيعية ، ولكنه اذا ظل وهو يأخذ للعمل
أهبطه ، واقفاً عند حده وبدا للناس كانه قد شرع في العمل وهو
لم يشرع فيه بعد وجعل القوى تتراكم بعضها فوق بعض ، كان
أشبه شيء يمرجل الآلة البخارية ، يتراكم البخار فيه ويزداد
بهذا التراكم حرارة ، ثم لا يستطيع نفوذاً الى الخارج فتزداد
فيه قابلية الامتداد والانتشار . وهكذا المرء المتحمس السريع
الاندفاع ، ينفق قواه كلما انتجها ، فيكون نشاطها ضعيفاً وان
اندفعت في باديه الامر بشدة ، بخلاف المرء الذى يريد ان
يكون قويا فعلاً ، فانه يوفر ما يحصل له من القوة شيئاً فشيئاً ،
ولا يتفق مما يتوافر له منها ذرة واحدة لأول فرصة تلوح له ،
ولكنه يلم شعته ويجمع متفرقه ، ويتحفظ عند سnoch الفرصة
الملائمة للوثبة عليها ، بنشاط وهمة يناسبان ما عنده من القوى .
وهذا هو السر فى أنك ترى رجلاً يبدو لك أول وهلة أنه
ضعيف خائر العزيمة ، لا يستطيع القيام بعمل ما ، فاذا هو لما

أدخره من القوة ، وأبرمه من التدبير لا نفاقهما في اصطيا دالفرص
الساحنة ، قد لاح لك وكأنه من الجبابة الاشداء .

إن انتصار الأرادة بهذا المثال على الميول والنزعات
والشهوات ، وتغلبها على الفرائز الفطرية ، تقوّم في المرء معوج
تميزه وحكمه ، وتنقذه من استبداد مشاعره ، وتؤذن له باعتزام
الامور ، على علم وبيننة من أسبابها جاعلا رائده في ذلك كله
العقل والعدل .

فعليك أيها القارئ بالقصد في حركاتك ، بحيث لا تكون
فيما تؤديه منها كلما خوذ بنوبة الأعصاب ، لا يكف عن إفناء
قوته فيما لا يفيد من الحركة ، ولا تدفع بذراعيك ولا بقدميك
إلى الامام ، ولا تنفض يديك ولا تصفق بهما من غير باعث ،
لأن مظاهر الهيبة التي تدعو إلى احترامك تتوقف كلها على
السكون والاستقرار وحسن السمات ، ولا تغمز بعينيك ولا
تحرك جفونك ولا ترفع حاجبيك فإن إحدى هذه الحركات قد
تخللك هيئة تدعو إلى السخرية بك والانتقاد عليك ، ولا تضرب
بقدميك الأرض تعزز بذلك أدلتك وتؤيد قولك أو تعلن ما
يخامرك من الجزع وقلة الصبر ، فلا أدل من هذا على ضعف
حججتك وقلة ثباتك .

وتوخّ الاعتدال في قولك والاتئاد في إيراد الكلمات

وتعقيب الجملة بالجملة . وتجنب الغضب والتهور في الحديث ، إذا سمعت من محدثك ما يدل على انحرافه عن جادة الصواب أو على تخطيه حدود الأدب اللائق . ولا تجعل من غضبك مسرباً إلى بذىء القول أو عنيفه ، فربما فرطت منك الكلمة في ساعة الغضب والتهور فتأسف في ساعة السكون وحساب النفس لصدورها من مثلك . وكسور اللفظ لا تجبر وكلام الكلام لا تؤسى ، كما نبه على ذلك الحكماء . وحقيق بك إذا سمعت من خصمك أو مناظرك ، القول الفاحش أو الزعم الباطل أو الرأي الفائل ، أن تتلقاه بالفتور ، وما هذا الفتور إلا السكون في استهتار واحتقار . وحافظ على صوتك أثناء الجدل مع محدثك الذي هذا شأنه معك ، فلا تجعل شيئاً منه ينم على ما يخامر نفسك من التأثير ، بل قل ما شئت أن تقوله في رفعة لا تهبط منها إليه في دركه الأسفل الذي تنكس فيه . عليك أن تفعل ذلك واحرص عليه كل الحرص وعضّ عليه بالنواجذ . فأذا بذلك الذي حاول أن يلوثك بقدر القول قد اضطر أن يعترف لك بالسيادة والفوق عليه ، وإذا بك قد أدركت أنه لم يلجأ إلى ما لجأ إليه من التهور والجهر بفاحش القول وهرائه إلا ليخفي ما أصابه من ذل الهزيمة أمامك . والحذر كل الحذر من حمل الضغينة على أحد ما ينين جنبك ، فليس بين الأعباء ما هو أثقل من هذا العبء .

فاهت بهذه الحكمة الماثورة السكاتبة المفكرة مدامدى سيفينييه
ولقد أصابت بها شاكلة الصواب والحق .

وأحر بك ألا تجعل للضجر والسأم سبيلا إلى نفسك لأن
للضجر والسأم من سيء الأثر ما يذهب بروق الجسم وهيبته .
والواجب عليك أن تتخذة مثالا ماثلا لك على الدوام ، أن لا
يرى الناس من هيئتك إلا ما يدل على السكينة والاطمئنان
والسمت ، لما تلقيه هذه الخلال في روعهم من رفعة شأنك وسمو
مقامك وفوقك عليهم ، وأنت منهم على الجملة مناط الثريا .

وجانب في حديثك معهم ما يفيد مداخلة الشك لك فيما
تقوله ، بل ليكن قولك مصوغا في قالب اليقين والتأكيد ،
ولا تدع أحدا يستشف من خلال كلامك ان شيئا من القنوط
أو خور العزيمة قد تطرق إلى نفسك . ذلك لأنك إذا أبدت
شيئا من التردد والخنس في عزمك ، أو جهرت بما يفيد فزعك
مما اعترض لك أو يعترض من المصاعب ، أيقظت في نفس
الغير عدم الثقة بك وفقدت بغفلتك هذه صولجان الامر والنهي
الذى كنت قابضا عليه بيدك .

ومفروض عليك فرض عين أن تجهل الخوف بأن تنفيه
عن نفسك ، وبأن لا تجعل الجبانة والجزع يتسربان اليها . فإن
الجبانة رذيلة مردولة وفضيحة ممقوت صاحبها . ونفيض الجبانة

الشجاعة التي ما تحلى بحليتها امرؤ إلا وكان موضع الإعجاب ، قال
(لوك) الحكيم الخلقى : « تسطير السكك على الورق المضطرب
بالريح أيسر من تثبيت البديهة في النفس المضطربة بالخوف » .
وإذا كنت تريد أن تقطع مفازة الحياة إلى أقصى مداها
فلا تجعل لشيء ما ، حتى الموت ، سبيلا إلى نفسك . فقد قال
الحكيم سنيكة الأندلسي : « من خاف الموت فلن يقوم بعمل
الرجل الحي » .

كن إزاء النكبات وأثناء عصف الدهر يك صبوراً خليّ
القلب من أثر الحزن والابتئاس ، واثبت لحملاته ونوازله
ثبات قوى الإيمان بالظفر ، بل قابلها بالاستخفاف وعدم المبالاة ،
لأنك إذا أزعجك هول الموقف فلجأت إلى الشكوى ، أثرت
في النفوس عاطفة الحنان عليك والثناء لك ولكن الحنان والثناء
لا يسيران في طريق واحد مع تسليم صاحبهما لك بحق الرياسة
عليه ، ولن يتفقا مع هذا التسليم أبد الدهر . واعتبر بأمثال
المجربين وحكمهم البالغة في بيان ضرر الشكوى والصياح من
البلوى ودلالاتهما على ضعف إرادة صاحبهما وخور عزيمته . وثق
كل الوثوق أن من يشكو بثه لا يرى المشكوا إليه فيه سوى أنه
رجل فائل الرأي ضعيف الإرادة والعزيمة لا يستطيع أن يكون
أبداً من المتفوقين ، وأنه إذا أتم الحظ فارتفع عن الطبقة الدنيا

زاحجه بالمناكب، حيث يرتفع، الأنداد والنظراء
لا تفتح مغاليق صدرك، إلا للأخصاء من الأهل
والأصدقاء. وكن مؤدباً بلا تنطع، لأن التنطع ينم على ضعة
الخلق وجفوة الطبع وفساد الذوق. وكن لطيفاً مؤنساً في رفعة
وهيبة. ويقضي اللطف أحياناً، أن تكون كالبرثر التي لا يسبر
لها غور. واجعل نصب عينيك حكمة فولتير الفيلسوف الكبير:
« كن ممن لا يحزر لهم سر ولا يتكأ كأحوطهم المستطلعون
والمستقطنون » وهذا الخلق بصاحب الوظيفة في الحكومة
أليق، لأنه إذا تكتم الأسرار وحرص على الأخبار، وإذا جعل
الأناة والتؤدة رائدين له في عمله ضمن لنفسه المهابة والنفوذ
وصعد في مدارج النجاح والفلاح

عود نفسك، حين التأمل في غريب الحوادث، اعتبار
أنها النتيجة الطبيعية لما أودعه الله من القوى العاملة في الحياة،
واملك قياد نفسك حتى لا يكون للدهش أثر في وجهك أو فعل
في حركاتك. وعليك بالتأمل لترى أنه لا شيء في هذا الكون
إلا وهو خارق للعادات، وأنه لا شيء إلا وهو مدرج في كفن
من الأسرار، وأن ما تعلمه من الحقائق البديهية ما هو إلا قطرة
من بحر ما تجهله. سل نفسك لم يفوح من الوردية عبيرها
اللطيف؟ ولم هي ذات ألوان زاهية باهرة؟ سلها لم بعض الطيور

يحتوى ريشه الألوان كلها ، على تباينها وتفاوتها . نعم سلها لم
الأنهار لا ينضب معينها ، وسلها لم حجب الماس متألق السناء ؟
وسل لم اللهب في الشمس ، والخفقات في القلب ، والنغمات
المطربة في صوت المغنية تستهوى الأسماع وتأخذ القلوب . بل
سل لم هذا الكون ولم هذه الحياة !

سل هل انحراف الأشياء عن نظامها الموضوع وخروجها
عن النواميس المألوفة ، أشد غموضاً من هذا النظام وهذه
النواميس نفسها ؟ كلا ثم كلا . إن كل شيء في الوجود خارق
للعادات ، خارج عن النواميس . فخليق بنا أن ندهش من كل
شيء ، وأن لا ندهش من شيء . غير ممكن بقاء الدهش حتى
الأبد ، ما لم يكن صاحبه أبلاً أو مجنوناً ، لهذا كان خائفاً بنا
أن نشهد تمثيل الرواية الكبرى لأسرار الكون ، وأن نستفيد
بما نستكشفه في غضون حوادثها من العبر والعظات .

وليعلم أن ما ألفه أهل الزمان من دوران أعمالهم على محور
السرعة ، وأن ما انفرز في طباعهم من حب الظهور في مظاهر
البذخ والنعيم ، وما نراه في الطرقات من دوام حركتي الذهاب
والجئنة ، بما ينشأ عنهما من الضجيج والعجيج ، وما إلى غير هذا
من آثار التقدم العمراني ، قد أهاج العقل البشري إهاجة عاجت
به عن قصد السبيل ، وجعلتنا نعتقد أن هذا الهياج السطحي

مظهر من مظاهر النشاط والهمة ، وما هو والحق يقال في شيء
منهما . إن اهتمامنا بما لا يفيد من الأمور ، اهتمام في غير موضعه
فمن إضاعة الوقت والنشاط في العبث والباطل ، بل ومن استنزاف
ينابيع السكون والأناة اللازمين لنجاحنا في الحياة أن تتور منا
الثائرة وتهيج الأعصاب دفاعاً عن رأى أو هجوم على مذهب
ليس من الآراء والمذاهب العالقة بنا ، أو الواجب علينا أن
نأبه لها

إن من صواب الرأي للمرء ، أن ينجمع في نفسه ويتخفز
للوثبة ، أو كما قال العرب في تعابيرهم القديمة « أن يخرنبق لينباع »
فدع عنك الاسترسال في القول العقيم ، والزم العزلة زمناً مفكراً
مدبراً فيما يجب أن تحتاط به لعملك الذي أنت عليه مقبل .
فإن الثائرة العصبية لا تلبث أن تنصرف عنك ، فيسكن
جأشك ، وتشرع في عملك بثقة الناجح فيه ، المتخذ له خير
الأهبة وأتم العدة

قال بول آدم الضائع في التربية الخلقية : « من خير الرياضات
العقلية وأفضلها : الصمت . فأننا إذا أمسكنا عن فضول الكلام
عودنا أنفسنا أن لا نواجه محدثنا إلا بطيب القول ونافعه ومختاره
ووقيناها شر السقوط في الغيبة الذميمة الممقوتة ، وعلمناها ألا
تفرط في أسرارها ، ونقشنا فيها آية - أن كنوز الأسرار

والأفكار تغني ضمائرنا من فقر، وتجعل لها ذاتية لا يستهان بها،
لا شيء أجل ولا أجل من تأثير السكوت، في إعادة
العقول الشاردة إلى صوابها، وتبديد الخيالات الباطلة، واسقاط
الجاه القائم على غير أساس



الارادة

إرادتك الشيء قدرتك على امضائه ، كذا قال الحكماء .
ولكن يشترط أن لا يكون المراد فوق طاقة البشر ، أو قريباً
من المستحيل ، كأرادتك القمر مثلاً فان إنفاذها غير ميسور
ابداء . إن ترد شيئاً أرد الصحة ، أرد الثروة ، أرد معالي الرتب
فإن الصحة والثروة والرتب السنية من الممكنات التي لا تستعصى
على الإرادة القوية والعزيمة الماضية . وإن ترد شيئاً أرد به ثبات
واستمرار في الإرادة ، لا يعتورهما كل ولا ملل ، واعمل له
بغير وناء ولا خور مقتنياً فيه الخطة التي رسمتها لك إرادتك ،
فإن المقاصد التي ترنو إليها لا تلبث أن تجيء اليك منقاداً تجر
أذيالها . ولقد قالوا : القصد مغناطيس الإرادة . ويصح أن يقال
أيضاً : الإرادة مغناطيس القصد . وما ذلك إلا لأنهما ينجذبان
كلاهما بتأثير الآخر

ترى ، وأنت في الطريق ، رجلاً مهيباً في بزة حسنة وهيئة
هيئة ، فتسأل عنه فيقال لك : هو فلان صاحب المصنع الكبير
أو المتجر العظيم النافقة في سوقه صنوف البضاعات . تراه ماراً
فيقف الناس له إجلالاً ويتنحون عن طريقه توقيراً وإكباراً
ويستجلون طلعتة حباً وإعجاباً ، ويظهرون له من آيات التعظيم ما
يطمح لمثله أصحاب الرتب العلية ، والمقامات الشريفة . فإذا
استقصيت عنه وتحريت ماضيه منذ نشأته تبين لك أنه إنما كان
مع كثير غيره كأستان المشط ولكنه حاز قصب السبق عليهم
جميعاً بارادة مرتكزة على دعائم ثلاثة : الصبر ، الاستمرار ،
الثبات .

إن في قدرتك أن تبذل بعض الجهد في اليوم لكي تكون
مريداً ، فإذا فعلت فليس في فعلك ما يتجاوز طاقتك بوصف
أنك إنسان ، بل ربما كان دون قدرتك ، ولكن تراكم الجهود
الجزئية اليومية بعضها فوق بعض يتم الارادة ويعززها بالقوة
فتكون أشبه بالخاصل الامام لضرب عديدين ، يتكون من مجموع
الخواصل الجزئية لضرب كل من أرقام المضروب في
المضروب فيه .

وقوة تأثير الأرادة لا تتوافر إلا بانساق أجزائها وتناسقها
واتباع الخطة المرسومة ، وإخضاع المواهب العقلية والنفسية

لمقتضى القواعد والأصول التي وضعها المرید ليبلى أقصى المدى مما يريد . وغنى عن البيان أن ذلك الرجل الخطير ، صاحب المصنع الكبير ، قد اتبع هذا النهج حينما تصدى لتكوين إرادته . فلما أنشأ يطلب مراده ويطارد قنيصته لم يثن عنانه عن هذا الطلب ثانٍ ولم يصرفه صارف ، بل أخذ سمته إليه لا يحيد عن الجادة قيد أنملة ولا يجور عن القصد يمنة ولا يسرة ولا تسترعي نظره الأسباب الملهية التي تحف به في طريقه ، بل ظل سائراً بخطوات واسعة ثابتة حتى ظفر في نهاية الامر بمراده ، وعثر على طلبته التي آلى على نفسه الظفر بها .

إرادة الانسان ، إذا كانت ثمرة العمل والجد ، أشبه شيء بقذيفة المدفع ، لا تعوقها العقبات والحوائل عن الانبعاث دائماً إلى الامام ، فإذا اصطدمت بأحدها نفذت فيه . فإذا لم تنفذ وتجاوزته إلى ما بعده فنيت ولكن بعد الايغال فيه . هذا إذا كان الاندفاع بسرعة وعنف . أما إذا كان في مهل وضعف فأنها لن تضيع ولن تقنى أبداً ، بل يكون شأنها شأن موجة البحر تتراجع إلى الخلف لتندفع ثانياً إلى الأمام بقوة تأكل الحديد وتقنيه .

ان أحوال المرء وأطواره تتغير بدافع من العادة التي ذكرها عنها أنها لا تلبث أن تصبح طبيعة ثانية . فكما أن

القوى البدنية تزداد وتتوثق بالرياضة التدريجية المستمرة ،
كذلك القوى النفسية لا تتوافر إلا بترويض النفس عليها . فعليك
إن أردت أن تتغلب على نفسك وتسود على غيرك ، أن تروض
نفسك على الإرادة » (راجع كتاب : أصول وقواعد السحر
السامي : تأليف إليفاس ليفي)

« لا شيء بمستحيل على وجه الأرض ، إذ أن في الوجود
مسالك وطرقاً تؤدي إلى كل غاية . ويكفى أن نكون على إرت
من الإرادة لتتوافر لدينا الوسائل » (لاروشفوكو) .

« الإرادة قوة تتسلط على جميع القوى ، إذا وجهت التوجيه
الحكيم ، وأرسلت في الطريق القويم » (بوفون)

« الإرادة التي لا تنثنى تعلو كل شيء ، حتى الدهر »

(شانوبريان)

« السر كل السر في أن تريد بقوة واستمرار ، فإن الإرادة
الثابتة القوية تصلح الفاسد وتقمع الشر وتمهد للعمل الصالح ، وعلى
قواعدها الوطيدة استقرت الاختراعات والديانات . إذا انبعث
خاطرك بفكرة نافعة وأردت الدعوة إليها فكن رب هذه الفكرة
ورجلها ، روجها في سوق الأفكار بكل ما يعين لك من الوسائل
ولو صدعت بملك الناس . وقد يتفق أن تموت قبل أن تثمر
فكرتك ثمرها الشهى ، وقبل أن تبصر نتائج ما أحرزت من نجاح

ولكن ثق بأن جهودك لن تذهب بديداً. فإن من صدعهم بالأعلان عن فكرتك ، لسوف يقيمون لك نصبا يخلد ذكراك على مر الأيام » (راجع مقال لوبونوم كريزال في مجلة « الحوادث السياسية والأدبية » الصادرة بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩٠٥) .

ولقد أجمع الفلاسفة والمفكرون والكتاب ، في كل زمان ومكان ، على الأقرار بفضل الإرادة ومزاياها التي رفعتها على سائر الفضائل . وكفى بالإرادة فخراً أنه لم يشتهر في العالم رجل إلا وكانت الإرادة أس صفاته وملاك فضائله . ولا عجب فأنت لن تظفر بأمانيك في هذا العالم ، إذا لم تجعل تلك القوة القاهرة رائد جهودك وقائد أعمالك إلى ما تصبو إليه نفسك من النجاح . ومما يدعو إلى الأسف أن الذين يعرفون ماهية الإرادة قليل ما هم . لأن سوادهم يخلطون معناها بما يفيد استبداد الرأي والتعسف والتحكم ، وكلها نقائص لا تتفق مع الإرادة ولا تماشيها في طريق . فإن المستبد المتعسف لا يملك العنان الذي يكبح به جماح النفس ، ولا يستطيع الدرجان على خطة مرسومة من قبل ، ولا يزن الأعمال قبل القيام بها . وإذا خيل أن فيه إرادة فما هي إلا شظايا إرادة مبددة لا جامع لها ولا ضابط . إرادة لا تكاد تبدو آثارها حتى تختفي بسرعة البرق الخاطف في فحمة الليل . إذا اندفعت في مضمار ، فلا تترك من ورائها سوى غبار

الفشل واليأس . لا تعد الأرادة من القوى الفعالة إلا إذا انضبطت
مظاهرها بناموس ثابت ونظام معين ، وتوازن سيرها فلم تجر عن
قصد السبيل .

لا ينبغي أن تكون الأرادة وليدة ظروف وقتية أو أسباب
زائلة ، ومحتمل أن تكون في بادىء الأمر ضعيفة ، شأن كل شيء
في بدايته ، غير أنها لكي تكون فعالة صادقة الأثر وقابلة للتحويل
إلى قوة لا يستهان بها ، لا غنى لها عن النمو الذى لن يتم إلا إذا
استمدت باغتنام الفرص النافعة والنهز الجلييلة

ليست الأرادة هبة الطبيعة ولا وحي المصادفة والجفاف
بل ولا فطرة يفطر المرء عليها وإنما هي كالأدب والنظافة والصدق
وغيرها من الفضائل المكتسبة . وطريق اكتسابها ممهد ممدود
لا تعترضه عثرة ولا مزلق ، إذ يكفي للبلوغ إلى مداه الأقصى
أن تعزمها وتصر على تحصيلها . وخير الوسائل لذلك الإيماء
الذاتى أى إichاء النفس إلى النفس . وهي الطريقة التى جربها
الكثيرون فى التبديل من أخلاقهم وأمزجتهم بأخلاق وأمزجة
غيرها ، فبانت عن نجاح باهر فى التوفيق للمراد .

خصص لنفسك ساعة من النهار ، ولا تريد بالساعة هنا
الزمن الذى طوله ستون دقيقة بل وقتاً ما بذاته ، تنجمع فيه عن
الناس وتلزم الوحدة ، بعيداً عن لغط الطريق وأصوات المحدثين

ثم اصرف خاطرك كله إلى الإرادة ، وعالج فهمها واستطلع أسرارها وتعرف مزاياها ، حتى يتجلى لك تعريفها بأنها : « القوة التي تحمل المرء على اعتزام أمر أو تركه » وناج نفسك بقولك : « ستكون لي إرادة ، إرادة قوية اكتسح بها الموانع وأزيل العقبات ، إرادة لا تنثنى ، تسمو بي إلى شرائف الرتب ، وتجعلني من الناس مناط الثريا » . وحذار ، إذا ألقيت بنفسك على فراش النوم ، أن تغمض الطرف قبل إمعان التأمل في تلك الفكرة وإمرارها بخاطرك مرة تلو أخرى ، حتى يتكيف بها مخك وتمتزج نفسك ويتشبع يقينك ؟ فأنت لا بد مستشعر بانصرافك شطر الغرض الذي ترنو إليه .

وعليك أن تعزز تلك الوسيلة ، وسيلة الأيحاء من النفس إلى النفس ، بأن تعمد إلى ورقة بيضاء فتسطر فيها بخط مجوف جملا مختلفة من طراز ما يأتي :

- ١ (لقد ملكت الإرادة من ناصيتها)
 - ٢ (اني لمنفذ ما تأمرني به إرادتي)
 - ٣ (كلا لن أترك ما اعتزمته بقوة إرادتي)
 - ٤ (اني لمتم كل ما بدأت به نزولا على إرادتي)
 - ٥ (على قوة إرادتي يتوقف نجاحي وظفري بمرادى) الخ ١ .
- ثم ضع تلك الورقة في مكان بارز للعيان : أمامك وأنت

جالس إلى مكتبك ، أوفى سريرك وأنت عليه مضطجع . أمعن التأمل في معانيها كلما التقى بها بصرك ، ولا تحتقر هذا العمل ولا تمله إلى أن تنطبع تلك المعاني في حافظتك ، فأنتك بعون الله وحسن إمداده حاصل على مرادك ، ظافر بحاجتك من استقرار الإرادة في نفسك ، وصيرورتها طبيعة ثانية فيك .

وعلماء النفس يذهبون إلى أن للعواطف أثراً فعالاً في بروز الإرادة وتمتينها . فأن العواطف تحركنا فنخضع لعواملها المحركة ونندفع بقوتها فننصرف نحو الغاية التي ترسمها والتي تتطلب منا ، بحسب ماهيتها ، القيام بأعمال قد تثمر الفوائد الجزيلة لنا وقد تعقب أيضاً الضرر والفساد سواء ، إذا لم يكن رائدها حسن التصرف في قوتها الكامنة فيها

لا بد لك إذا اعتزمت أمراً أن تجيل فيه النظر وتطيل التأمل قبل أن تهتم بأبرازه إلى حيز الفعل ، أي أنه يجب عليك إذا عن لك أمر تريد قضاءه ، أن تقف عنده طويلاً مقابلاً إياه على وجوهه ، وأن ترسل الطرف إلى الغرض المقصود منه وتطيل البحث في الطريق الذي يؤدي إليه . فأن الأمر الذي تعترم إرضاءه ، تنبعث به عواطف خاصة وتهش له نفسك ويتحرك به وجدانك . لأنك إذا نويت هذا الأمر وهممت بامضائه فما هو إلا انصياع العامل نفسى كالطمع أو العشق أو الكبرياء أو الحقده ،

إما تزلزلا لذات أو إكباراً لها ، وإما لجر مغنم أو للسبق على مناظر
وإما لدرء عداوة أو التغلب على خصم ، وإما لاستكشاف خيانة
أو القضاء علي مؤامرة الخ .

ففيه في نفسك العاطفة المحركة للعزيمة بعد أن تسبرها بمسبار
التأمل والتبصر ، وعزز سلطانها بأدمان التفكير فيها ، ذاكراً أن
القول والحركة يضعفان قوتها ويكسران حدتها . فأذا ما بان لك
صريحها فاشرك الأرادة فيها ، فأنت الأرادة إذا انضافت إلى
العاطفة كبحت جراح القوة الدافعة لك ، وصارت لها سياجاً يقيها
شر الانحراف عن الجادة المؤدية إلى الغرض المطلوب .

وهاك على ذلك مثلاً : تنتوي البدء بعمل من الأعمال
الوعرة التي تتطلب جهداً متواصلاً . وإنك لعلّ يقين بالعقبات التي
تعترض طريقك وينبغي التبصر لتذليلها والعلم بما يحفّ به من
الآراء المضادة والنزعات المناوئة ، لحداثته واعتبار الناس إياه
بدعة مستحدثة ، ولما يستلزمه هذا الوصف من مكافحة عادات ،
ومحاربة تقاليد . غير أنك تكون في الوقت نفسه قد أدركت
ما وراء النجاح في مشروعك من المزايا ، وما يستتبعه من انتشار
صيتك في الخافقين وإيصال المنافع إلى الناس من قرابتك ومواطنيك
بل من سكان الأرض طرّاً ، إذا كان عملاك شامل الفائدة .
وحسبك أن تشير كوامن هذه المسيرات ، وأن تتخيل ما سيؤثر

عنك من الفعال وما سيقال فيك من الأقوال لتضاعف همتك فيما على إرادتك في بلوغه تعتمد . ولا يعزبن عنك أن من محاسن الشيم أن يعمل الانسان خيرا بنى نوعه ، وأن الشجاعة والمثابرة من أسمى الفضائل التي يتحلى بها المرء . فعليك ببذل جهودك لتنمية تلك العواطف في نفسك وتعزيز قوتها . واذ كرن دائماً أن الأرادة هي القوة التي تعتمد عليها في انجاح مشاريعك وإنجاز أعمالك . فأنت لا بد مستشعر بازدياد قوة إرادتك على نسبة جلال ميولك وجمال نزعاتك إلى الخير والاحسان . إن هذا الجلال وهذا الجمال يعززان الأرادة ، فلا يمضى عليها يوم من غير أن تكسب فيه قوة وتشبثاً واندفاعاً ، وتصبح الأرادة باعثاً منشطاً لك على العمل ، محبباً إليك المثابرة عليه ، ومؤذناً لك بآتمامه على مقتضى رغبتك في أي زمن .

وقد يتفق لك ، مع حدة ذكائك وسعة إدراكك وقوة عقلك ، أن تبقى متنكساً في حضيض أحد الأعمال الدنيئة زمناً طويلاً ، إما لظروف وقفت لك الدهر فيها وقفة الخصر العنيد اللدود ، وإما لاجتنابك مخالطة الناس وإيثارك الوحدة على معاشرتهم ، وإما لترفلك عن التزلف لمن يشفق عليك ويستطيع أن يزودك التواصي إلى أرباب الشوكة والنفوذ . أنت في هذه الحالة مضطر إلى معاناة عمل لا يجديك نفعاً ولا يجلب ربحاً ولا

يحقق أمنية لأنه حائد عن طريقك ومناف لفضلك، ومسوق إلى أن تهضم نفسك كل يوم بالاذعان لقوم تعتقد أنهم أولى بالتصاغر أمامك والتمكين من أيديهم لك، فتشعر في بدء الأمر بشيء من الذلة والاستكانة يتسرب إلى نفسك ثم لا يلبث أن يتحول إلى استنكاف فاحتجاج فخالفة فاستظهار بالمعصية . غير أنك لما كنت في شطف من العيش، وحاجة إلى سد الرمق، لا تلبث تلك النفس الطامعة في الحياة أن تحدثك بضرورة الانصياع لمقتضى الحال والرضوخ لحكم الضرورة . وتصدع أنت بأوامر هذا الوسواس فينتهي الأمر بك إلى قبول الذلة والاقامة على الضيم فتخبو نار تلك الثورة التي أضرمها هنيهة خفقان القلب بعامل الأضغان المستكنة في الصدر . عندئذ تتلاشى المقاومة شيئاً فشيئاً بتأثير هذه الأسباب الطرآنية وتندثر معها معالم الإرادة ولا تمضي سنوات، وإن شئت فقل أشهر، حتى يصير العالم صاحب المواهب النادرة والفضائل العالية خلواً من الإرادة، بل خاضعاً كآلة في يد محركها . يقوم من غير ريب بجملة طيبة من الأعمال، إلا أنه في أدائه إياها لا يكون إلا منفذاً لأرادة الغير الذي يستغل قوته استغلالاً، بما استفادته من استكانته للذل ورضائه بما يسام به غير الحي والودد عليك، إذا كنت تصبو إلى الآماد القصية والغايات

العلية أن لا ترضى لنفسك السقوط في ذلك الحضيض . وهو
ما لا يتيسر لك وتلك حالتك ، إلا إذا رفعت جبهتك وشمخت
بأنفك وأنت راضخ للضرورة . واعلم أن فيك استعداداً كامناً
للجهاد ، وقابلية للتجدد والارتقاء ، فلم أنت معرض إذاً عن
استخدام هذه المزايا لأصلاح شأنك وخلصك من ورطتك ؟
إن شعور الذلة الذي تتعذب به نفسك في بادئ الأمر ،
ينبغي أن تتمهده بالتنمية . لا تدعه يموت أو أن ينخمد ، بل فاج
نفسك بقولك : « إن نفسي لفي وصب مدنف لجهل الناس بكرامتي
وهم متلف لا يضطرواها إلى قبول اللوم والتعنيف بشارات الرضى
والاحترام مع ما تحس به من النكاية والظلم والاجحاف ، وإلى
التسليم بالرأى السقيم وتركيبته مع مناقضته ما اعتقد به من رأى
حكيم . نعم إن نفسي لموجعة بهذه الآلام وما سبب آلامها
إلا ضرورة قضت عليها بالكد في العمل ، مقابل جزاء هو
الخرى مجسما والعار ممثلا والسقوط في هاوية لا قرار لها من الذل
والاستعباد . لقد طفح السكيل وبلغ السيل الزبى ! إني لا أريد
الخلاص من هذا المأزق المخجل ! إني لا أبغي الحياة الطيبة بأن
أكون رجلاً رفيع القدر تؤدي إليه فروض التوقير بين
صفوف المجتمع » .

ها قد رأيت أن الغضب قد أصبح ينبوعاً تتفجر منه

الأرادة، إرادة مؤهبة بوسائل الكفاح والنزول في معترك الحياة فلا يبقى عليك ، لتحفظ بقوتها الفعالة الكفيلة لك بالخلاص من عناء ما أنت فيه ، إلا أن تحرص الحرص كله على شعور الذلة الذي انبعثت منه هذه الارادة ، وعلى غيره من العواطف التي لا يبعد أن تحل محله ، وعلى أن يكون لها في نفسك قوة التدفق بالانبعاث الذي يدفع بها إلى الأمام . واتخذ لنفسك من بينها سبيلا ، إذا أنت سلكته أفضى إلى تحسين حالك ورفعة شأنك .

سموك إلى قنن المعالي وسعيك نحو المقاصد الشريفة والغايات البعيدة يثبتان في نفسك الاستعداد للتجلى بالفضائل العالية ، ويوقظان فيها مواهب الابتكار والابتداع وبواعث الاقدام على انجاز المشاريع الجليلة . فخرني بك أن تتربص بالفرص الملائمة وأن تجس المخاضة قبل الخوض وأن تلتفت يمنة ويسرة باحثا فيما حولك عن الممكنات والممهدات وأن تستفيد على الجملة من الحوادث التي لو وقعت في وقت آخر لما حسبت لها حسابا وأن تتوخى أكثر الطرق لملاءمة لاستعدادك ، فأنت مهتد بعون الله وحسن توفيقه إلى تقدير كفاءتك الذاتية ، وتبين أهبتها لمناهضة العمل الذي أنت مقبل عليه . بهذه المثابة يكون لك من سلطان عقلك على إرادتك ، في صونه اياها عن الضلال ، ما

يقيك السقوط في ورطة التعبد لغيرك .
أضف الى ما تقدم ، أن الأعمال التي تخالها حقيرة تافهة ،
كثيراً ما تكون صالحة لتربية الأرادة وتنميتها . على أنه لا
بد ، اذا اعتزمت امرأ ، من المضي فيه الى النهاية . لأنك اذا
وقفت في طريق تنفيذه أو أجلت امضاءه إلى أمد ، فلا تنتظر
أن تجنى منه غير الخيبة والفشل ، دع تضعضع إرادتك وتداعى
أركان همتك .

يتفق أن تحتاج إلى وضع حساب طويل ممل ، يقتضى
إنجازه الرجوع إلى أوراق كثيرة والدقة في تطبيقها . وقد ينفسح
لك الوقت لعمله ، فتحدثك نفسك بأرجائه إلى أحد الأيام
الاخيرة من الشهر . فمن الغفلة وسوء التدبير أن تطيع في ذلك
وسواسك ، إذ الواجب عليك أن لا تفلت الفرصة السانحة لاتمامه
وأن لا تتركه في غير تمام على مكتبك لأول عذر يتاح لك انتحاله ،
بجهداً في دفع ما يناوشك من عوامل الملل المثبطة لعزيمة التمام .
وقاوم بما تستطيع من جهد كل ميل يصدفك عن المشاورة
واستصرخ في ذلك بقوة الأرادة ، فانك بارادة الله متم عملك
على ما يرضى نفسك ورؤساءك ويلائم مصلحة الجميع .

واذهب إلى أبعد من ذلك ، بأن تكافح ما يساورك من
الدعة والخول ، وتوقي نفسك شر العثرة فيما يميل الناس اليه من

الاستكانة والانجماع . فاذا كان لك صديق لا يكثر بحقوق
الصدقة وواجباتها وعنك أن تزوره فزره ، لاسيما إذا كنت
تخشى منه عتابه أو إغراضه لتقصيرك في حقه . وإن
أردت ، أن تعفي نفسك من أداء تلك الحقوق ، ولو أفضى فعملك
إلى إغضابه مادام أن الأغضاب لا يعقب خطراً يخشى منه ،
ولكن يحسن أن لا تتردد في زيارته ، بل ينبغي أن تهنيء نفسك
لها خير تهية وأن تبادر بلقائه للقيام بها .

وإذا كنت تاجراً ، وكان من بين زبائنك العديدين من
تعهد فيه التشديد والتصعب والمساومة ، وقد لاحت منه الرغبة
في اشتراء سلعة وردت إليك مؤخراً ثم أردت ، لا لقاء تشدده
وتصعبه ، الكتابة إليه بما تطلبه ثمناً لسلعتك ، فمن الواجب عليك
في هذه الحالة أن لا تتناول ورقاً ولا قلماً وان لا تسطر له حرفاً ،
بل اقصد إليه من فورك وحاول إقناعه بصوت جهورى ، تعززه
الأدلة الساطعة .

وإذا بدا لك وأنت بدارك ، في حالة من أحوال الأُنس
بأهلك وولدك ، والسماء ممطرة والجو هائج العناصر والبرد قارس ،
أن تشتري حاجة من مكان بعيد فلا تتكأ في تنفيذ إرادتك بل
عجل من فورك بالذهاب إلى هذا المكان واشتر منه حاجتك ولو
كانت تافهة ، فإنك بذلك تقمع في نفسك نزوعها الفطري إلى

الدعة والتواني ، وتضيف إلى قوة إرادتك قوة جديدة .
ولكي تعالج تربية الإرادة في نفسك وتعهدها بالنماء ،
ينبغي أن تربط سلوكك في الحياة بتأدية فروض معينة لا يعترض
العمل بها معترض . ناج نفسك بما يلي : « استيقظ من نومي الساعة
السادسة من صبيحة كل يوم بالدقة » ثم عود نفسك الاستيقاظ في
هذه الساعة بدون أن تقدم دقيقة أو تؤخر مثلها . وتناول كتابا
وافرض على نفسك قضاء ربع ساعة في تلاوته ، قبيل تناول طعام
الغذاء أو العشاء أو قبيل هذه المواعيد كلها ، ثم افرض
عليها حفظ جملتين أو بيتي شعر منه يوميا ، واعمل بهذا الفرض
مثابراً لا تتخلف عنه يوما واحداً . وناجها أيضاً بقولك : « لا بد
لي أن أبرح داري في الساعة الثامنة من مساء كل يوم ، مهما
يكن الجو حاراً أو بارداً غيماً أو مطراً ، وأن أسير في طريق كذا
وأقف في ميدان كذا وأن التقط من هناك حصاة ثم أعود قافلاً
إلى داري من طريق كذا ، وأن أقضي في هذه الأعمال كلها
ساعة كاملة . ثم نفذ هذه المناجاة بدقة وتؤدة وسعة صدر
يخطر لك أول وهلة ، أن التوصية بالتقاط حصاة من حصي
الأرض إحدى السخافات المضحكة ، وهي لم تكن عن هوى
من أهواء الخيال ولا سخرية من سخریات مبتدع . كلا ! فقد
وردت هذه النصيحة على لسان العلامة پاپوس الضليع في علوم

الاسرار الخفية . وقد أردفها بقوله : « هذه الحصاة هي الرمز الدال على الجهد الأراذى الذى تبذله ، عملاً بما رسمته لنفسك من الترتيب ، بل هي الطلسم الذى يفوق تأثيره تاثير الطلسمات والأحجية والتمايم على مختلف أنواعها »

بهذا الاعتبار لم تعد الحصاة ذلك الحجر الذى تدفعه السابلة بأقدامها ، بل الشهادة الناطقة بهمتك وقوة إرادتك والتذكار المحسوس لعمل ترى أنه من الأعمال الخطيرة المهمة المذكرة لك بما يجب عليك ، بل الأرادة المجسمة الحاضرة على متابعة السير فيما رسمته من المثابرة والعزيمة لنفسك

أنت أيتها الحصاة الحقيمة التى لا يميزك عن غيرك من الأحجار بهاء ولا لآلاء ، أنت التى انحدرت نحوك نفس رجل تلتبس الكمال الخلقى ، إنك لا سطع ضياء وأبهى سناء من الجوهرة المتألقة فى تيجان القياصرة والملوك . أنت نفيسة أيتها الحصاة ولا تقومين بشمن . لا تدرك شأوك الأحجار الكريمة لأنك الرمز الدال على أكرم الجهود وأشرفها ، وهل أكرم أو أشرف من جهد يعين المرء على قمع ميوله وامتلاك عواطفه والسيطرة على نفسه ؟ أنت لا تقومين بشمن ، لأن الفكرة المعبرة عن إرادة الاستيلاء عليك قالت للجسم : أطع أمرها فأطاع إن الرياضة التى أوردنا منها فيما تقدم صنوفاً مختلفة ، وكل

ما يمكنك أن تستنبطه من نوعها ، سيكون لها أقوى أثر في
نفسك ، إذ تنسيها التردد لتعوض عنه الحزم والعزيمة على متابعة
إتمامه حتى النهاية ، وتطرح عنها الكسل والتهاون والملل . ومتى
لاح لك القيام بأمر خطير أو عمل يتوقف عليه مستقبلك ، وجدت
لمساعدتك وتعزيزك وإرشادك إلى النجاح إرادة منظمة يقظة
فعالة لاتزعزعها الكوارث ولا تثنيها الحوادث ، تمضي على خط
مستقيم نحو غاية واحدة هي : تحقيق المراد وإنجاح الأعمال
والمشاريع



اختيار المهنة

من الواجب بداهة على المرء ، إذا أحب أن يتقن عملاً ، أن يستوعبه بجنباً حتى يلم بأطرافه ويطلع على أسرارهِ . أما إذا مضى فيه بلا هادٍ من العلم يهديه سواء السبيل ، فأنما يكون كالأعمى الذي يسير متخبطاً في الطريق ، تعترضه المعائر فتزل فيها قدمه ويعود من شوطه الضال في طريق الحياة بصفة المغبون في ماله ووقته ، والوقت أعز من النقادين الكريمين في عرف العقلاء . فواجب عليك إذن ، قبل البدء بمشروع ما كتأسيس حرفة أو تجارة أو تعلم صناعة أو فن ، أن تنظر في الأمر فتختبر نفسك لتعلم أي المناحي تنحو إليه وأي الأغراض تريد أن تقرطس فيه سهمها ، وتمتحن بعد ذلك كفاياتها وما فطرت عليه من الذوق والاستعداد ، وتثق من قواك ومواهبك أهى كافية للنهوض بأعباء المهمة الشاقة التي إليها تصبو وإلى مقامها الأرفع تنو ، وتوقن أفي قدرتك من الأمر والنهي وحل

المعضلات ما ينبغي أن يكون لصاحب العمل تجاه عماله ، وتأنس من خلالك إذا كانت على ما يجب أن تكون خلال التاجر ، لين ملمس وبشاشة وجه وإحكام تدبير ، وتعرف إذا كنت رب ابتكار وابتداع ما يلزم للمبتكر والمبتدع من حضور الذهن وسعة العلم وسرعة الشعور . وواجب على الجملة أن تجس نبضك وتفر ميولك ونزعاتك فرارك الجواد تريد اقتناءه ، وتكون في ذلك صبوراً متريثاً ، وزن بأحكام ودقة ما يقر عليه رأيك ، تر التوفيق رائدك والنجاح قائدك إلى خير ما تريد لنفسك وذويك وبني جنسك .

إن الأشياء كالأشخاص ، فيها ما نميل إليه وفيها ما ننفر منه ومنها الجاذب إليها نقف أمامه مبهوتين ومنها الدافع عنها نفر منه فرار السليم من الأجر . فمن أشنع الغلطات وأسوأها عقبي وأفحشها ضرراً ، أن تكره نفسك على مباشرة حرفة ما ، فإن مزاولتك ما تكرهه وتنفر منه تضطرك إلى إهمال العناية به ، فيبرز ناقصاً غير متقن . دع أن نفورك وإهمالك يفسدان على مر الزمن ذوقك ويذهبان بغيرتك ونشاطك ويطفئان فيك ضرام الحماس والابتكار . إن في مزاولتك ما يلذ لك من الأعمال باعثاً على الأجادة في صنعه والنشاط في إنجازه ، وداعياً إلى تحملك في مبدئه التعب الشديد وإلى اغتباطك بنفسك ورضائك عن

الناس . إنك بمزاولة العمل الذي يروق لك القيام به لاتضمن بما في طاقتك من الوسع للسير به إلى غاية التمام . بخلافك إذا تصديت لمباشرة ما لم تكن موفقاً له باستعدادك ، فانك لن تنجح فيه أبداً والفشل ملاحق لك فيه ومتأثر لخطواتك .

يتفق أن تقيم في مكان أو تعيش في وسط لا يلائم استعدادك ، ولا يماشيان نزعاتك في اتجاد واحد . تقيم بالريف مثلاً ، بينما استعدادك يتطلب منك أن تكون ملاحاً تجازف بنفسك في خضمت البحار ترفع عليها راية وطنك ، أو تفتح لأبناء جلدتك أبواباً جديدة للارتزاق ، أو تحمل إلى الأطراف النائية من المسكونة ثمار حضارة أمتك .

ويتفق أن تعارض قرابتك القريبة أو من يعيش في محيطك من الأصدقاء ما تبتكره من المشاريع التي أنت موفق لها باستعدادك ويحاولون الزيغ بك عن الجادة التي تسير عليها وصرفك عن الفكرة التي أنت مواطئ لها لتردها دوماً على بالك . فإذا كنت تشعر أنك موفق لأداء العمل الذي انتويته وتأنس من همتك القدرة على إدراك الغاية الشريفة التي تسمو اليها وتحس في قلبك حرارة النشاط والعزيمة فاقطع كل صلة تحول دون مضيك في التيار المؤدى إلى غايتك وخلص عنقك من ربة التأثير الضار السارى اليك من أهل وسطك الذين يرجون أن يروك

يوماً محجماً عن نيتك نا كصاً على عقبيك . إنك إن تكسر هذه القيود مباشرةً عملك بما توافر فيك من الاستعداد والميل ، يكن التوفيق رائدك وتنهياً الوسائل لتعيش في وسط صالح لتنمية مواهبك وتتصل بنظراء ومنافسين يستدعي مقامك بينهم مضاعفتك المهمة في تحصيل العلم وتطبيقه على العمل فتجيا حياة طيبة تلائم ذوقك وطبعك .

ومن المقبلين على جلائل الأعمال من تصدم عنها في الساعة الأخيرة أسباب واهية كالتصعب من مفارقة الأهل والوطن . أولئك هم الضعفاء واهنو العزيمة ، تصدم عن تحقيق أمانهم هذه البواعث المضحكة فلا يكون مصيرهم هم وأمثالهم ، بعد نكوصهم الشائن المخزي على أعقابهم ، إلا أن يعيشوا عيش الكسالى والبطالين ، عيش الخاملين المرموقين بعين الاحتقار والامتهان ، عيش من يضطرم الضجر من الحياة إلى ارتكاب المناكر ، عيش الذين خمدت في نفوسهم الجذوة التي كانت تستفزهم قبل إلى جلائل الأعمال ، عيش من يؤلمهم العجز في الحياة ، فتكون عقابهم الموت في تعاسة وشقاء ، ضحية إصغائهم للنصائح الفاسدة ساعة الاقبال على جلائل الأعمال

إن الفكر والعمل ، على انقراج ما بينهما من خلف ، مرتبطان بصلة وثيقة من المستطاع إلى حد ما الاستدلال بها على حقيقة

ما تصبو إليه النفس . فارق هذه الصلة وتعهدها بعنايتك لا تلبث
أن تهديك في طريقك وتبصر بك بأمرك تبصيراً . يتفق لك
وأنت تتصفح كتاباً أن يستوقف نظرك شكل حروفه أو أي
شيء آخر منه كنعومة ورقه أو حسن تبويبه أو دقة نقوشه
وصوره ، فهل يبعد أن يكون تأثر بك بهذه العوامل آية من
آيات ميلك لفن الطباعة واستعدادك الفطري لأتقانها . إن ترد
استكشاف هذا السر ، فكاشف بأمرك بعض المتفرغين لهذه
الصناعة المشهورين بالأجادة فيها وشاورهم واستنصَحهم قبل أن
تلقى بنفسك في تيارها .

ويتفق وأنت سائر في الطريق أن تمر ببعض مخازن التجارة
من غير أن تهتم بأمرها ، بينما غيرك لا يمالك أن يقف طويلاً
أمامها لاستطلاع معروضاتها ، ثم تندفع نحو غيرها منجذباً بما
تراه به من البضاعات ، فتطيل تأملها والفحص فيها وإن خلت
مما يفيدك . في هذه الحالة ، يتعين عليك أن تستقصي أسباب
اهتمامك بها دون الأولى وتستخرج من المقارنة بينها نتيجة يحسن
الوقوف عليها .

أي أصدقائك تحب وتؤثر لقاءه والأنس به ؟ وماذا هم
يعملون أو يقولون ؟ إن أحدهم يعمل في مصرف مالي فيميل ،
كلما اجتمعت به ، إلى مناقشتك في صعود الأسعار وهبوطها

وأسرار المضاربات وتدابيرها ، ويعمل الآخر عند أحد تجار
الحبوب بالجملة فيخبرك ، كلما لاحت الفرصة ، بالأسعار ويطلعك
على أسباب البوار ووقوف الحركة في الأسواق ويسرد لك
أسباب تعرض المحصول القادم لكيت وكيت من الأخطار
والآفات ، وثالث عند أحد المهندسين كاتباً له ، فيسألك مرافقته
إلى العمارة التي نيطت به مبانيتها وهناك لا يلبث أن يوافيك
بمعلومات فنية جمة عن تشييد العمارات ويسوق لك الأمثال
تعزيراً لبيانه فلا تستشعر بملل من شرحه لك ما لم يسبق لك به
علم ولم تعهد من نفسك اليه ميل . فأى الأصدقاء الثلاثة اهتممت
ببيانه وأعرت سمعك لأقواله أكثر منك لغيره ؟ أذلك الذي
وجهت اليه السؤال تلو السؤال منقباً ومستظلاً فجوابك مرشداً
إياك بمعلوماته إلى حقيقة مهنته ! أجل هو هو الذي سوف تقول
له يوماً : « اذكرني عند صاحب العمل الذي تشتغل عنده ،
واسع سمعك لأدخالي معك في عمله »

لما كنت بالمدرسة طالباً بسيطاً ، كنت تميل بخاصة إلى
تعلم الكيمياء وكان لهذا العلم المكانة الأولى في نفسك . وكنت
تحب الاطلاع على أسرار تركيب الأجسام ، وتحفظ عن ظهر
قلب النواميس المهيمنة على اتحادها . وكان استاذك ، لما أنسه فيك
من هذا الميل ، يقرظك ويخصك في ختام العام المدرسي بالمكافأة

السنية التي خص بها المتفوقون على الأقران . إذا كان ذلك كذلك ، وإذا كنت قد ختمت دروسك ، فلا تغفل العناية بما أنسته في نفسك من الاستعداد لعلم الكيمياء ، وأقنعها بضرورة العمل لكي تصبح صيدلياً قانونياً . لأن نجاحك في هذه المهنة أصبح مؤكداً

واصل البحث ، على هذا النسق ، عن كل ما يكفل لك الهداية في الطريق . ومن البدهي أن الميول والنزعات إن هي إلا الأولى من مراحل عديدة مديدة كثيرة العقبات والمعائر شديدة المشاق على السائر . فعليك قبل اعتزام السير ، أن تتبع النصائح السالفة وتحذر التهور الدافع إلى إمضاء أمر ما قبل الأوان المناسب . واعمل بنصيحة العلامة البحاثة باستور لطبيب تلقى عليه العلم ، إذ قال له في رسالة : « واحذر الحذر كله من أمر واحد ، وهو التعجل في الاستنتاج . والواجب أن تنصب من نفسك لنفسك مناظراً يظاً عنيداً ، تتوقع منه التخطئة والأفحام . . » الخ

ولا يهولك قضاء الأشهر والسنوات معالجاً صنوف المتاعب في تمهيد السبيل لميولك ، فإن استقبالك المستقبل بما اعتزمته من الهمة والنبات ، يستدعي أطراح الخوف والتردد ومواصلة السير دائماً إلى الأمام .

ولا يكفي في اختيار المهنة التبصر والتربص بالمصادفات إذ لا بد من الاستعداد بكفاءة في الملاحظة والنقد، دع القدرة على تحليل العمل الذي تقبل عليه وتشرحه، إذا صح التعبير، كما يفعل الجراح بالجثة لتبين مزاياه وتقديرها أو لاستطلاع أضرارها واتقائها. اعرض على نظرك تفاصيله واحداً تلو الآخر واسبر بمسبار البحث ماجل من جزئياته وقل. ولا تنس أثناء ذلك ما يكون للجمهور من الحاجة إليه أو المصلحة فيه، وما ستلقاه من مناظرة المناظرين، أو تعانیه من المصاعب في جلب البضاعات وتصريفها أو اختيار الأعوان وتوزيع الأعمال عليهم واحسب حساب الخسارة الممكنة إما لبوار السوق أو عطب البضاعة بحادث ليس له من دافع، ولا تغفل مع هذا حساب الأرباح المأمولة أو ما صار إليه عملك من الرواج الذي يحملك على التفكير في توسيع نطاقه. وعلى الجملة لا تدع شيئاً يرتبط به فلاح عملك بدون أن تقلبه على وجوهه، وتستقصيه لاستطلاع طلع الحقيقة فيه.

وحاذر ما استطعت الاتكال على الحظ. إن الحظ أحد العوامل التي تسوقها المصادفة العمياء والاتفاق الطيروري. وهو إذا آتى المرء مرة، خانه وتخلي عنه تسع مرات. ولا تخدعك الظواهر، فقد قال مونتسكيو: «ينبغي أن تمزق قناع الأشياء

كما تمزق قنساع الأشخاص . وارتفع دائماً فوق السطح بحثاً
وتنقيباً ، وغص على الحقائق في قيعانها واستخرجها من اصدافها ،
فلا شيء في العالم يجوز أن تقول عنه إنه تافه لا قيمة له أو أنه مما
يلقى في زوايا النسيان أو في سلة المهملات ، فكثيراً ما أعقبت
الأسباب الصغيرة نتائج كبيرة ، ومعظم النار من مستصغر الشرر
وليس من الصغائر التي يستخف بها اهتمامك بالدقائق
والجزئيات في مسألة ما . والذين يلقون في روعك أن في اشتغالك
بالجزئيات والدقائق خطأ من شأنك وغضا من كرامتك إنما هم
الناقدون السطحيون الذين يهمهم القول دون العمل . وخير الوسائل
للتعزى عن ملاحظاتهم الفائلة الأخذ بأراء العظماء والاقتراء
بهم . قال شيشرون مفسراً معنى التبصر : « هو مواجهة الحوادث
الممكنة واتقاء عواقبها قبل وقوعها » . وكتب تاسيت : « تعرف
قدرة الرجل على عظام الأمور ، بالتفاته إلى صغائرها »
ولسنا ندرى أيقام ، بعد هذه الحكم العالية ، وزن ما
لأقاول المتتقين وتخرصات الساخرين وسخافات قصار النظر
والمخدوعين ؟

إن عليك أن تستند إلى شيء واحد هو الحقيقة المجردة
والأمور المحدودة المعدودة : أما الأحصاءات المهمة والتقارير
التقريبية القائمة على الآمال الخداعة والأمانى الخلافة فاعرض عنها

بمجنبتك ، فأنتك لا تلبث أن تتأكد فسادها وبطلانها . ولو أنك
انخدعت بسرابها ، فقادتك من فشل إلى فشل ، لانتهي الأمر
بك إلى الارتياح في ذاتك ، وأسأمت نفسك إلى اليأس القائد
إلى السقوط في هاوية الذل والفقر .

على أننا لا نريد فيما نحضك عليه من الأخذ بالبصر في أمرك ،
أن تذهب فيه إلى حد الحياء . وإنما الواجب عليك ، وقد وقفت
على حقائق العمل الذي تصديت له وأخذت بأطرافه ووزنت
بميزان النقد الصحيح الأسباب المرغبة فيه والمرغبة عنه وقدرت
مزاياه وحسبت حساب أضراره ، ثم أضفت إلى هذا كله اليقين
بالنجاح في النهاية ، فلا يصدنك عنه تردد أو خوف ، بل أقدم
عليه إقدام الجندي الواثق بالظفر في ميدان الكفاح ، وكن مع
ذلك حاضر الذهن سريع البديهة سديد الرأي ، واجعل هدفك
الذي ترمى إليه أن تفوق فوقاً عظيماً على مناظريك ، وأن تدعهم
خلفك في حضيض التخلف متنكسين . قال جريفو : « يفقد
المتردد نصف حياته ويمد المقدام حياته بقدر الضعف »

ومما لا خلاف فيه أن نجاحك المؤكد لسوف يقف
الخائفون والمترددون والمتخلفون أمامه مبهورين . فدعهم في
تخطيطهم يعمهون وفي ميدان المباراة الحيوية متقهقرين ، فأنتك لا
تلبث بعد حوزك على قصب السبق أن تلفت إلى شخصك أنظار

الذين يسرون مع التقدم وتفوز بأيثارهم إياك على غيرك .
وكن جسوراً مقداماً ، فأنت السعادة لا يفتر ثغرها إلا
للشجعان الذين لا يهابون الخطر الذين تحلوا بحلية الكمال العقلي
لا أولئك المجازفين الذين يعتقدون أن الجسارة في مناطق
الصخور والوثب فوق المهاوى العميقة ليس غير .

ليست الجسارة الحمقاء إلا الخيلاء مقنعة والزهو مستتراً
برداء الأقدام على عظام الأمور . ومن آياتها استجداء التصفيق
وهتاف الاستحسان من المغرورين والنوكى ، لا سبب لها يعرف
ولا غرض يوصف . ولكنها تتعرض لصعاب الأمور لكونها
من صعاب الأمور ، وتكون لهذا الباعث . من أقرب الصفات
إلى الجهل البهيمي الذى يدمغه العقلاء بطابع الاستهجان والمقت .
إلى جسورى هذا الصنف من الجسارة نسوق الحكمة الآتية
التي فاه بها العلامة (لامينيه) ليقوموا بها من خلقهم ويصلحوا
من أنفسهم إن شاءوا : « لا تخدع نفسك بالزمن ولا بالأشياء ،
وجازب التفكير في المستحيل الذى لا يمكن أن يكون ولن
يكون أبداً أبدين ، فأنت لم تفعل فأنتك لن تستطيع لمصائب
دهرك دفعاً ، وربما زدتها بفعلك عدداً وخطراً »

أما الجسارة الرشيدة فهي التي لا يندفع صاحبها في ميدان
الأعمال ، إلا إذا أمن العثار وتزود الصبر والهمة - والمال أيضاً -

بما يكفي لأفساد تدابير الحظ العاثر . وهو لا ينطلق في طريق
إلا إذا أرسل نظره إلى غايته ، وجس صلابة الأرض تحت
مواطئ قدميه ، واشتباك في المعركة الحيوية بمنافسيه متخذاً من
حسبان العواقب أمتن درع لصون هوائه هو وغيره من عبث
العابثين . تلك الجسارة حقيقة بالنشجيع والأعجاب من شهودها
الذين يعرفونها ويقدرُون قدرها .

لا تقل أبداً : « ليتني فعلت كيت وكيت » أو « ما أجملها
نهزة فاتني انتهازها » إلى غير هذا من الحسرة على ما فات .
والمفروض عليك ، إذا أفلتت الفرصة من يدك ، ألا تذكرها
قط وأن تقتفي أثر غيرها وتستثيره من كئنه ، مهتدياً في طريقك
بنور التجربة والاختبار في سابق أيامك . ومتى عنت لك واحدة
منها ، انقضّ عليها انقضاض البازي على العصفور ، واقبض على
نواصيها وأمسك بتلاييدها بيدين حديديتين ، ثم ابتز منها ما
استطعت ابتزازه من الفوائد والمزايا . حقاً إن الدنيا قد شابت
وهرمت ولم يعد فيها من « بر » وليكنها ما برحت في سن
تستطيع أن تلد فيها من الخيرات والمنافع ، ما هو جدير بأنامل
أرباب الهمة والجسارة إن تمتد لاقتطاف ثمار الشهية الثمينة .

المثابرة

قال جول كلارنى فى أحد مصنفاته : « لم يكن عصرنا عصر الضعفاء وفقراء الدم ، بل عصر المسرفين « المبعزين » ، ولقد أصاب شاكلة الحق بقوله ، فإن من أفضح عيوب الرجل الحديث مباشرة خمسة أعمال مختلفة أو ستة أو عشرة معاً . تراه يجمع إلى إدارة الشؤون المالية الاشتغال بالسياسة والفنون ، ويطرق أبواب المباحث والتجارب جميعاً محاولاً أن يصير إلى صدره العالم برمته .

الواجب على مرید النجاح ، إذا رام الوصول إلى بغيته ، اطراح هذا الأسلوب المعيب والنأي عنه بجانبه ، وأن لا يمثل لناظره ، حين السعي إلى النجاح ، سوى غرض واحد لا يحيد قيد شبر عن الصراط المؤدى إليه . إن المجال المنفسح لمطامع الإنسان بعيد المدى لا يحده أفق ، ولكنه لن يستفيد من التقلب فى أرجائه الفسيحة ، إلا إذا اقتصر على عمل واحد لا ينتقل إلى غيره إلا إذا بلغ به غاية التمام

حارب جول پاڤو في كتابه : (تهذيب الأرادة) النزعة
المشهودة اليوم في طلاب العلم من مباشرتهم أموراً شتى في آن
واحد حيث قال : « النشاط الصحيح الجسم الفوائد في الجهد
المعتدل المتواصل فكل نشاط لم يتوافر فيه هذا الشرط تحقيق
بأن يوصم صاحبه بوصمة الكسل والتهاون . وبدهي أن
استمرار العمل ، كفيل باستمرار انصرافه نحو غاية واحدة وغرض
معين ، لأن مظهر عزيمة الأرادة ليس بتعدد الأعمال وتضاعف
الجهود ، بل بانصراف قوى العقل نحو غاية واحدة . واليك مثالا
من أمثلة الكسل الذي يظنه صاحبه نشاطاً واجتهاداً وهو شائع
يقع تحت النظر كثيراً في هذه الأيام . ترى الطالب لا يكاد
يبدأ عملاً مدرسياً ، حتى يتنقل إلى غيره كالذبابة التي إذا طارت
لا تلبث أن تخط على شيء ، ثم تطير ثم تهبط على شيء غيره
إلى أن قال : في النهار الواحد يتنقل ذلك الطالب من النظر في
طائفة من المصنفات الباحثة في علم طبقات الأرض إلى تصفح
مقال أدبي أو انتقادي من قلم أحد مشاهير الكتّاب ، ومن
التقاط بعض أخبار الصحف السياسية إلى مراجعة مذكراته في
أحد الأبحاث الاستطراذية ، ومن ترجمة أسطر أو صفحات عن
اللغات الأجنبية إلى استظهار نخبة من الأبيات الشعرية . ولا
ينظره أقرانه إلا مجدداً في البحث والتنقيب دائماً على العمل ، فلا

يسمعهم إلا الأعجاب بمجده واجتهاده ، والثناء عليه لمثابرته
وتنوع أعماله

”أما نحن ، فلا نقف في صفوف المعجبين بذلك الطالب ،
بل نقبح خطته ونفندها ونرميه بوصف الكسول الخامل ،
لأن الباحثين في الأحوال النفسية يرون في تعدد الأعمال
وتنوعها دليلاً على أن شيئاً من الالتفات لم يتكيف بالعزيمة وقوة
الأرادة ولم يخرج عن كونه شبه اجتهاد لا اجتهاداً صحيحاً ،
متوافر في ذلك العامل المجتهد . ولكنهم يحكمون على أمثاله
بضعف الأرادة وخور العزيمة وانهم ، على مذهب علماء النفس ،
نموذج الكسالى الذين إذا هموا بعمل ما بثروا جهودهم وفرقوها
على أعمال آخر متباينة . فباءوا منها بالفشل والخسار

”نعم إن النفس جبلت على حب الأحماض واستطابة
التنقل من شجرة إلى شجرة لتجنّب من هذه ثمرة ومن تلك ثمرة ،
إلا أن صاحبها لا يعدو أن يكون طالب رياضة يلتبس بها
ترجية الوقت في غير فائدة دنيوية أو أدبية . وما كان الجهد
والاجتهاد يرميان إلى مثل هذه النتيجة العجفاء ،

فلا تكن من ذوى العقول الذباية ، أولئك الذين يسرفون
جهودهم في غير جدوى . وعليك بعمل واحد هو الذى تعتقد
فائدته لك وموافقته لمواهبك وترى أنه لا يخرج عن قدرتك

القيام به على أتم وجه وأحسن أسلوب . ومقي استقر رأيك على العمل الذي اجتمعت فيه هذه الشرائط ، تعلق بأهدابه ولا تغفل عنه حتى تتمه ، ولا تبال بما يعرض لك من الأسباب الصارفة عنه ، ولا بما تنثره الحياة في طريقك من بواعث اللهو والانصراف ؟

وليس معنى هذا القول أن تظهر بمظهر الواجم المكروب المبعض للضحك السليم والدعابة الحسنة . ذلك لأن الناس — كما قال الكاتب هنري ماريه — « قد أيقنوا أن كل عمل ينبغي القيام به من غير ضجر ولا ملل . والواجب على العامل أن يحب عمله ، والحب ينافي الحزن والوجوم . إن الخطر كل الخطر أن يصرف المرء عنايته إلى الهنات التافهات . فالوقت المصروف في الثثرة والتخرص والأقاويل التي لا فائدة من ورائها وفي الجلوس على القهوي والاختلاف إلى الحانات خسارة لا تعوض . وما نتيجة تضليلها في تلك السفاسف إلا إخفاء المقاصد النافعة والغايات المطلوبة وتضليلها بحيث يتعذر الاهتداء إليها . كن رضي النفس منشراح الصدر ، وشارك الفضلاء والأدباء في مطايباتهم ، وتحرك أسباب الفرح والسرور في مظانها الشريفة ومعاهداتها العالية ، واغش مجالس الأدب للاستفادة بما يدور فيها من الأحاديث الرشيدة والمناقشات الفاضلة ، ولكن حذار حذار

من التخلف فيها كل وقتك ، فانما هي رياضة تأنس إليها النفس
للمعلة ، حتى تنشط لاستئناف العمل بانبعاث أشدّ وهمة أسمى .
لا تفتح صيوان أذنك لمن يحاول أن يصرفك عن عملك ،
فغالبا ما يجمل ناصحوك ميلك ومطعمك الذي تعمل لنيله . واعلم
أن الناس لا يشتركون في النظر إلى الشيء الواحد والحكم عليه
لاختلاف أمزجتهم وتباين أذواقهم وتناقض ميولهم . فزيد يري
في الشيء الفلاني ما لا يراه فيه بكر ، كما أن عمرأ يحكم عليه حكما
يناقض حكم خالد . وبالجملة فكل يذهب في تكوين رأيه
مذهبا يلائم التربية التي شب عليها والميول والصفات التي تميزه
عن غيره . إن الفطرة التي فطر الناس عليها تدفعهم ، بغير علم
منهم ، في سبل متناقضة ومذاهب متعاكسة . فيينا الواحد منهم
يرى من الجهد الذي يبذله أنه أضعف أثراً وأقل جدوى ، إذا
نحا به نحواً معيناً ، يرى الآخر غير هذا الرأي . ذلك لأنهما
كلاهما يبنيان نية العمل على ما يأنسانه في نفسيهما من الكفاءة
الذاتية والاستعداد الطبيعي له . وحقاً فن أين للغريب أو القريب
منك ، وهما ينظران إلى الأمر الواحد بنظر مختلف ، إذ يبنيه
كل منهما على رأيه وميله ويحسب له حساباً يتفق مع مذهبه ،
أن يلما أحسن منك بما شرعت أو تريد أن تشرع في عمله ؟ إن
الغريب والقريب لا يعلمان من حقيقة أمرك إلا سطحها الظاهر

للعيان ، وهما بلا ريب جاهلان مقدار ما أنت متصد له ومنازلة
المنافسين لك في ميدانه ، دع عجزهما المطلق عن الحكم بعدل
ومن غير تحيز على قوة مقاومتك . فالأولى بك إذن ألا تعتمد
إلا على نفسك وألا تصني إلا إلى ما يوحى به اليك وجدانك .
تلك هي الطريقة المثلى ، وهي أشرف الطرق وآمنها عاقبة لتسجيل
اسمك أول وهلة في ديوان الرجال . ولا تساوم في ثمن التجارب
فانك لن تأسف في نهاية الأمر لما تكون قد أنفقته في سبيلها
من المال .

وخص همتك بجملة معينة من العمل هي التي يسميها العمال
بالمقطوعة ، وألق على المهمة التي أنت على القيام بأعبائها مقبل
نظرة تحيط بأطرافها ، واستخرج النسبة بين الزمن الذي يقتضيه
أداؤها وبين ما في مقدورك من الذرائع الادبية والمادية للنهوض
بها ، ثم ارم المستقبل بنظرة ثاقبة تستكشف بها الطريق الذي
تتخذ الأهبة لسلوكه . ورتب جهودك الترتيب الحسن وأعد
همتك للقيام بها ، وزن أمورك وزنا دقيقا حكيما ، فأذا تم لك ذلك
كله على أحسن وجه وأتمه ، فخذ سمتك إلى الغاية التي إليها تقصد
بقدم ثابتة وقلب جرىء ، واجنب العجلة والتهور وقاوم ما يعترضك
من مثبطات العزيمة ، فأنتك لسوف تقف باهتا حيال العاقبة
المحمودة ، عاقبة النجاح والتوفيق التي ستواجهها في نهاية طريقك

وخاتمة مطافك واعتبر بالحكمة الفارسية التي جاء فيها مامعناه :
« الصبر شجرة مرة الجذور حلوة الثمار » فلتكن إذن من ثبات
الفؤاد بحيث تستطيع الصبر ، حتى تنضج الثمار التي ستسعد يوماً
ما باجتنائها

ويقول بايو في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه ، إن الفرص
التي تتيح للمرء القيام بمجالات الأعمال نادرة نادرة الكبريت الأحمر
واسكن المجد العامل يجد في العمل المتواصل ، ولو كان قليلاً ، خير
معاوض عنها . فإن العمل القليل إذا حصلت المثابرة عليه ، أفضي
إلى النتائج الجليلة والعواقب الخطيرة . وليس الشجاع من الرجال
هو الذي يأتي بمعجزة ما من معجزات الأعمال ثم تقتصر همته
عليها ويقف نشاطه دونها ، وإنما هو ذلك الذي يؤدي أعمال
الحياة على تباينها جلت أو حقرت . هو الطالب الذي بالرغم مما
يأنسه في نفسه من التمتع والأحجام ، يلزم نفسه مفارقة مكانه
للبحث عن معنى كلمة في معجم اللغة ويمضي في مهمة عمله حتى التمام
بالرغم من ميله إلى الدعة والتماس الراحة في التهاون ، ولا يضجر
من استيعاب تلاوة صحيفة أو كتاب ، ولو لم يرقه ما يتضمنه من
المباحث . هذه الأعمال الصغيرة الحقةرة خير محك للإرادة ، بل
هي منها بمثابة الحجر الفتان للذهب . وخليق بطالب النجاح ، إذا
أخذت عليه آفاق الأعمال الجليلة ألا يصده شعور الكبرياء والغرور

عن مزاولة الأعمال الصغيرة وأن تكون مزاولته إياها بشغف وإتقان . فأن الأسلوب الحكيم والقاعدة المثلى في مزاولة الأعمال مهما صغرت ، أن تخلص المهمة من ربة التواني والكسل ، وأسر الشهوات والمؤثرات الطرآنية .

كن صاحب ترتيب وتنسيق في تقسيم عملك وإنجازه ، فأنك بذلك تمد في أجل الوقت إلى الضعف أو الضعفين بحسب ما يبدو من همتك . وبعبارة أوضح أنه إذا عهد إليك بعمل وعهد إلى غيرك بمثله ، وراعت في إنجاز النسق الحسن والأسلوب المحمود دون زميلك ، فأنك إما أن تنجز عملك في نصف أو ثلث الوقت الذي ينجزه هو فيه عمله ، وإما أن تنجز أنت في الوقت عينه ضعف ما ينجزه هو أو ضعفه ، وتحيا بذلك الحياة الطيبة الوافرة الثمار ، أو تلك الحياة التي وصفها الرئيس روزفلت بالقوة والشدة . يتساءل عندئذ أصدقاؤك وجيرانك ، كيف أتيج لك القيام بأعمالك الوافرة من غير كد ظاهر ولا خاطر قلق ولا نفس منزعة ، بل وأنت على ما أعتدته من صفاء ذهن وانسراح صدر وخلو قلب من أثر الهموم . ولا يبعد أن يظنوا زمنا طويلا معجبين بك متحدثين بأمرك ، قبل أن يهتدوا إلى الحقيقة ، ويكونوا أثناء ذلك خاضعين لأمرك راضخين لسلطانك عاملين بنصيحتك مقرين بفوقك عليهم الفوق العظيم ، معترفين بمواهبك التي وضعت في قبضة يدك

صولجان السيادة عليهم والتحكم فيهم .

بدهي أن دون فوزك في هذا المعترك صعوبات وأهوالا ،
ولكن صاحب العزيمة الصادقة لا تقف أمامه الصعوبات ولا تنهيه
عن طلب قصده الأهوال . وله متى وصل الى القنة التي تسمو اليها
همته ، أن يلتبس عندها الراحة التي هو جدير بها ، فإنه سيجزى
عن حسنة الجد والاجتهاد والمثابرة بعشرة أمثالها ، ويدوق ، والأفق
مترام أمامه الى أبعد مدى والطبيعة مزدهية بثوبها القشيب ، لذة
الواجب منجزا والأمانى موفورة محققة .



الفراسة والتوسم

الفراسة هي الاستدلال بالأحوال الظاهرة، على الأخلاق الباطنة. واشتقاقها من فرس السبع الشاة، فأن فرسه إياها، داع إلى ولوغه في ياطنها ووقوفه على حقيقة أمرها. وقد جاءت الأشارة إليها في أكثر من موضع من الكتاب الكريم، قال تعالى: «إن في ذلك لآية للمتوسمين» وقال: «تعرفهم بسيماهم» وقال: «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» وقال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». فالفراسة، من حيث إن الإنسان لا ينفك عن مخالطة الناس، تفيد معرفته أخلافهم في الخير والشر، فالمنفعة بها جميلة والمزايا الناجمة عنها جزيلة.

إذا تأكدت عندك هذه الفائدة، فروض نفسك على معرفة الناس، بتبين أحوالهم واستجلاء طباعهم واستكناهم حقائقهم، فإنه لا بد لك قبل أن تختلط بهم اختلاط عمل، أن تقف على حقيقة أمرهم بأعمال النظر فيهم فراسة وتوسما،

واستقصاء أعضائهم به تتبعاً وترسماً ، واعلم أن الكلمة الواحدة إذا خرجت من فيك ، قام عليها هناؤك أو شقاؤك ، فكن على بينة تامة من التحيل لاستعمال الكلم في مواضعه ، وجعله منطبقاً على مقتضى الحال ، وهذا أيضاً قد لا يتيسر إلا إذا كنت على إرث وافٍ من العلم بأحوال محدثك علماً مبنياً على التوسم والفراسة .

إن الذين عمروا ، وأدوا إلى سلطان التجارب إتاوة الفشل ، وعادوا من جهودهم بالخيبة والخذلان ، يدركون حقاً أن الجنس البشري لم يبلغ إلى درجة الكمال ، ويعلمون مقدار ما كيد لهم من المكائد ونصب لهم من الشباك ، وألقي في طريقهم من المعائر . لذلك تراهم لا يخطون خطوة في هذا الطريق إلا بعد إعمال الروية ، وإحكام التدابير الواقية من السقوط في شباك المكائد . لا نمضي في الاعتقاد إلى ما ذهب اليه روسو الفيلسوف من أن الإنسان المفكر حيوان خبيث الطبع فاسد الخلق ، ولكن لا نسبيل لنا إلى انكار أن طائفة ممن نحتك بهم في أعمالنا ، ليسوا ممن ضربوا في الفضيلة بسهم ، ولا أخذوا من الصدق والأخلاص بقسط ، وأنهم إذا عاشوا فما هو إلا لما لجأوا اليه من الوسائل الدنيئة ، كالمكر والكذب .

من ثم ترى أنه لا مناص لك في الاختلاط بالخلق ، من

التمييز بين طيبهم وخبيثهم ، وبين سمينهم وغمهم . بل لا يحصى لك من أن تتبين الذكي النابه والغبي الغافل ، وصاحب الهمة المتحفز لمساعدتك ومن لسقوط مروءته لا خير منه يرجى . كل هذا لا بد لك من العلم به للنجاح في الحياة ، وهو يتوقف على اختبارك الأحوال الظاهرة من الناس ، فلا تدع شارة ولا دلالة في صفاتهم الجثمانية ، إلا وتجعلها رائدك في تقصى أحوالهم الباطنة ، وأخلاقهم السكائمة ، وغرائزهم المستكنة . إنك لا تقصد بهذا الفحص طبعاً إلى خدعهم ونصب المكائد لهم ، بل ترمي إلى وقاية نفسك خبث نياتهم نحوك .

إذا ساقتك المقادير يوماً إلى أن تلتقى بأحد الناس وجهاً لوجه ، إما لأنه في حاجة إليك أو لأنك ترجو الاستمداد بعونه في قضاء لبانة لك ، فانصرف إليه بنظرك كله ممعناً مستثبناً . كن على الجملة من قراء الوجوه واستدل بملاحظها في محدثك ، وبأوضاع جسمه وحركاته ، على حقيقة طباعه وميوله ، وعلى كفاءته العقلية والنفسية . قال (أوجين ليدوس) في رسالته الموسومة (السحنة البشرية) : « أشكال الوجوه ومميزاته هي العلامات التي تتألف منها لغة الوجه ، وأحوال الإنسان من كفاءات وميول وأمراض وأعراض ، وعلى الجملة حالته القائمة بنفسه ، تلخص في ملامح وجهه وهيئة جثمانه .

وقال ذلك المؤلف في موضع آخر من رسالته : « إن هناك اتصالاً وثيقاً بين فكرة الإنسان وكيانه الجثمانى ، وبين شكله واستعداده ، لذا يمكن القول بحق أن العقل والذكاء يطبعان مادة الجسم بطابع لا يمحى ، بل هما يصورانها على مثالهما ويصوغانها في قالبهما وهو ما يؤخذ منه أن تضارب الأشكال وتعدددها ، مرتبطان باختلاف العقول وتفاوتها ، وحسبك أن تنظر إلى الشقي المجرم لترى في جثمانه العلامات الشاهدة على فساد غريزته وخبث طويته وميله الطبيعى إلى الأجرام ، وأن تنظر إلى الرجل المستقيم العادل لتبين في وجهه الشارات المبرئة له من تهم الظالمين ومفتريات النمامين » .

وقال الأمبراطور الرومانى (ماركوس أوريليوس) : « حديتك مسطور على جبهتك ، وقد قرأته قبل أن تفوه به » .

وقال المؤرخ (ف . دوروى) - وكان وزيراً للمعارف فى فرنسا - : « الذى يتكلم فى الكتاب إنما هو العقل ، والذى يتجلى فى الوجه إنما هو الروح »

وقال الفيلسوف الألمانى (شوبنهاور) : « إذا كانت الكلمة تصور معنى الفكر الإنسانى ، فإن الوجه يصور معنى فكرة الطبيعة »

وقال أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى طالب الأنصارى

في كتابه (السياسية في علم الفراسة) : « إن راضة البهائم
يستدلون بالصفات المحسوسة للخيول والبغال والحمير، وسائر الحيوانات
التي يريدون رباضتها على أخلافها الحسنة والقييحة ، فإذا كان هذا
المعنى مظهراً للخصال في حق البهائم والسباع والطير ، فلا أن يكون
معتبراً في حق الناس أولى »

وقال التعاويذي الشاعر :

عينك قد دلتا عيني منك على

أشياء لولاهما ما كنت رائها

والعين تعلم من عيني محدثها

إن كان من حزبها أو من أعادها

وفي دلالة الأعضاء على حقيقة أمر الإنسان . اجاء في

الكتاب الكريم من قوله تعالى : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم

وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »

وما من كاتب حصيف ، ولا سيما إذا كان من مؤلفي القصص

التي هي معرفتنا الأخلاق والطباع ، إلا وتراه في تصويرها ،

معتمداً على نموذج الأحوال الظاهرة للجسم

وبإليك طائفة طيبة من الملاحظات والمشاهدات ، التي يصح

الرجوع اليها في الاستدلال على الأحوال الباطنة للإنسان ،

بمقتضى أحواله الظاهرة نقبسها من ذوى التجارب لتكون لك

قائداً في تبين هذه الأحوال ورائداً لك في طريق النجاح .
أمعن النظر في وجه محدثك الذي بينك وبينه مصلحة ،
فأنك لا تلبث أن تراه منطبقاً في كيانه على أحد الأوصاف
الهندسية الخمسة ، التي اعتبرها العلامة (ليدوس) أساساً لأنواع
أشكال الوجه الأنساني . وهذه الأنواع هي : المربع والمثلث
والمستدير والبيضاوي والمخروطي ، ولكل من هذه الأنواع
الخمس أقسام فرعية تتناولها جميعاً . وتكون بسببها إما صريحة
أو مستطيلة أو قصيرة ، فالمستطيل منها يلطف طبيعة الصريح ،
ويخفض من صراحته ويذهب من صرفيته ، ويمزج ببعض الخيال
ميوله المبنية على الحقيقة . والقصير يقوى الخالص وينميهِ ، ويزيد
في خشونته ويعزز ماديته .

الوجه المربع يستدل به على علو الهمة ، والثبات في الرأي
إلى حد الصلابة فيه . والتشيع له والتشبث به . وأصحابه يمتقنون ،
المساومة والأخذ والرد ، ويدافعون حتى النهاية عن آرائهم التي
يرتأونها ، ومذاهبهم التي يذهبون إليها ، تراهم لصحة فكرتهم وصواب
تخيلهم ، يفوزون في معترك المناظرات الدائرة على محور التصور
والتفهم ، ويتحرون الأساليب المنظمة والطرائق المنسقة في
أقوالهم وأفعالهم ويعمدون إلى عويصات المسائل فيحلون عقدها
بأعمال الروية وإمعان النظر . وأخص ما يمتازون به نظرهم إلى

الأشياء والأشخاص من الوجهة العملية ، فهم يكرهون النظريات ولا يعبأون بالخيال ، وهم يحبون النظافة والترتيب حباً جماً ، إلا أن بهم نزعة صريحة إلى ناحية الحرص . ورأس مربع الوجه متسلط على قلبه ، لهذا تراه على شيء من التيه والصلف وحب الذات ، والأمسالك بالنفس عن المضي مع العواطف . وهو من الجرأة والشدة بحيث يجهل الرحمة والشفقة ، وإنما العلماء الراسخون والمخترعون والاضليعون في علم الحيل (الميكانيكا) والمهندسون ، ممن تنطبق عليهم هذه الخصائص في غالب الأحيان .

الوجه المثلث يستدل به على غرابة طباع أصحابه ، ومضيقهم مع أهواء النفس ، ونجردهم من فضيلة الثبات والمثابرة ، وقصورهم عن التفكير والتروى لغثاثة أفهامهم ونقص عقولهم . ومن لازمتهم وعلاماتهم التي يعرفون بها انهور وعدم التبصر في العواقب ، فأنهم يهملون بتنفيذ مشروعاتهم قبل تمحيصها ، وإطالة النظر فيها ، وخبث النية والكذب والاستهزاء والاعتماد على المكر والحيلة . وفيهم من سرعة الخاطر وحضور البديهة ، ما يبعثهم على سرعة الأجابة المبنية على إحدى قاعدتي الأخام أو التنكيت . وميلهم إلى المباشرة والمطايبة ميل طيروري زائل ، لأنهم إذا عمدوا اليهما فما هو إلا لتفريج كربهم وتكتم ما يعتورهم من

اليأس والقنوط . ولهم غرام شديد بالمناقضة والمشاكسة ، ولا يستقرون على رأي من آرائهم . وهم منقادون لغلبة النزعات النظرية في نفوسهم على النزعات العملية ، إلا أن لهم مع ذلك شغفا شديداً بالحرية ، فلا يذعنون لنظام مسنون ، ولا يرضخون لحكم الاستعباد والأذلال . ولهم في الغالب ولع شديد بالتطوح في غياهب الحوادث ، والمجازفة في المغامرات والمقامرات ، وبحب النقد والتهكم والاستهزاء ، والطعن في الناس بما يوجب عداوتهم لهم . وأصحاب الوجه المثلث هم في الغالب أصحاب المراكز الثانوية ، التي يكونون فيها مرؤوسين بغيرهم .

الوجه المستدير يستدل به على العقل التام والهمة العالية والقريحة المتقدمة والتهور الشديد والمضى مع الغضب ، وأصحابه يمتازون بالقدرة على العمل والنشاط فيه ، وسرعة الفهم وقوة الإدراك ، إلا أنهم منقادون إلى الخطأ والزيغ لغلبة التهور والعجلة عليهم ، يذهبون في الشجاعة إلى حد الجرأة والقسوة ، ولكنهم سرعان ما ينثنون في وسط الطريق عن قصد ، إذا عترضتهم فيه المصاعب والعقبات . فعيهم الذي يعيرون به هو عدم الثبات وعدم الاستمرار في الإرادة ، مضافين إلى شيء من قلة التبصر وقصر النظر في العواقب ، وكل ما من شأنه حصول الحيرة والارتباك . ومن الخصائص التي يمتازون بها حب التسلط ، والميل إلى الترتيب

وحسن النسق في الأعمال، وإلى الاسراف والكرم، وأن يكونوا على علم بما تقتضيه قواعد السلوك في هذه الحياة. وتراهم على قسط وافٍ من آداب المعاشرة والألفة، ومن ذلاقة اللسان في الحديث، ومن الدراية بأساليب النكتة وحل الأحاجي، ومن حب البسط والدعابة ومؤاكلة الضيوف على أفخر الموائد. وأخص ما يرمون به من العيوب والنقائص الصلف والعجب والانهماك على الملاذ الشهوانية وسرعة الانفعال بما يمس الكرامة والمضي مع الغضب، إلى غير ذلك من الصفات النفسية. وهم إذا عالجوا التجارة نجحوا فيها النجاح الباهر، وكانوا خير معوان على ترويحها ونفاق سوقها.

الوجه البضاوي يستدل به على تقلب العقل وسرعة تأثيره بالعوامل الطرآنية، وأصحاب هذا الوجه ينقادون لحكم النزعات والميول، ويمضون في طريقها متخبطين، ولا يملكون أنفسهم فلا يستطيعون ضبطها عند مسيس الحاجة، فشأنهم في ذلك شأن الآلة التي تفقد من أجزائها ما ينزل منها بمنزلة الروح من الجسد. ولا شيء يرضيهم أو يسد نهمهم، لأنهم ما فتئوا يلتهمون المزيد من الحاج، ويتبعون أهواءهم ويسدرون في غلوائهم. يبدأون بأعمال شتى، ثم لا يستطيعون أن يجمعوا متفرقها، فلا يتمون منها شيئاً. من صفاتهم المميزة لهم الحياء والخرد والطيرورة والوجل

والكسل والخدعة والكذب . يهيمون في أودية الخيال والتأمل
وينحدرون في تيار التحمس ، وهم في الغالب بحقائق الأشياء
ملهمون ، يتعشقون المعجب والمدهش من الحوادث ، ولا يحجمون
لهذا السبب عن المجازفة والمخاطرة والاستسلام للظروف ، غير
أنهم يجهلون كل الجهل شؤون الحياة وأساليبها العملية ، كثيرة
وعودهم قليل وفاؤهم بها . لا يجوز ائتمانهم لنزعة فيهم إلى الخيانة
وانتهاك الأمانة ، على أنهم بالرغم من ذلك يتمسكون من الدين
بجبل متين ويغالون في التقوى إلى حد التعصب له تعصباً أعمى .
الوجه المخروطى يستدل به على علم صاحبه عاماً يقينياً
بأصول الحياة وقواعد العمل لها ، وتقديره الحقائق على ما
هى عليه في الواقع لا على ما يتخيله . والمعروف عنه أنه على
جانب كبير من رقة الشئام وسلامة الذوق ، إلى أن هذا
الوصف ليس بمزحزحه عن التيه والصلف وتكلف الظهور
في مظاهر العظمة والجاه . ويغلب عليه التحكم والاستبداد ،
والنزعة إلى اغتصاب حقوق الناس واستثمار جهودهم لمصلحته ،
غير مميز في ذلك بين القريب والبعيد . يبذل الجهد في تكتم
حيله وتدابيره ، ويسترها برداء السذاجة والبله ، تنصلاً من
المسؤولية ومن عتب الناس وملاومهم . يحصر مواهبه في
توكيد النجاح لأعماله ومشاريعه ، إلا أنه يبغيض المستحدثات

والمبتكرات ، يطمع في الدرجات السنية ويسمو إلى شرائف
الرتب ويستأثر بالمرآكز العلية التي يشار اليه فيها بالبنان ، دع
غرامه بالملاهي والسهرات والحفلات وتلذذه بالأطعمة الشهية
وحبه للآداب ، وهو يجمع إلى نقيصة الجبن والانهماك في
الملاذ الشهوانية والعكوف على اكتناز المال ، الصفات والفضائل
اللازمة لأدارة المصارف والمعامل ورياسة الشركات .

ومفهوم أن هذه الأحكام المبنية على صفات الوجه وأشكاله
ليست بمطلقة ، فإن الشدة فيها تلطفها التربية ويعدها المزاج
والوسط وهي عوامل خطيرة لا بد من الاعتداد بها حين الحكم
على أخلاق المرء بمقتضى سجنته وملامح وجهه .

وإذ كان الوجه متكيفاً إلى حد ما بحالة الرأس من جهة أحجامه
وأبعاده ، فلا بأس من أن نورد هنا بيانات مفيدة عن تكوين
الرأس وشكله من حيث دلائلها فيه على بعض الأحوال النفسية
للمرء . فلقد ذكر أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي طالب
في كتابه (السياسة في علم الفراسة) ما خلاصته : « أن أحمد
الرؤوس تكويناً وأدها على كل محدة الرأس المعتدل وضعه
ومقداره مع مناسبته للبنية ، وصفته أن يكون مستدير الشكل
كأنه كرة غمزت بأصبعين عند صدغيه إلى داخله وفيه فتوء
يسير من مؤخره عند القممحدوة (القممحدوة هي الهمة الناشئة

فوق القفاويين الأذنين) ومن مقدمه، وهو ما تحت الناصية
ومن أم الرأس. فإنه إذا كان كذلك دل على العقل التام والفهم
الحسن السريع والفكرة الصحيحة والتخيل الصائب وقوة الحفظ
والاتصاف بالأوصاف الحميدة.

وصغر الرأس مع عدم التناسب للبدن دال على البطش
ونقص العقل. وعظمه مع قلة استوائه، إذا لم يكن مفرطاً،
دال على علو الهمة وحسن الفهم والانقياد أحياناً لغلبة الغفلة.
والرأس المسفط دال على خبث النية والشبق، وتقبض جلده
دال على الجرأة وقلة الحياء، وانخفاض أم الرأس دال على الحرص
والحيانة وقلة الدين ورداءة الفكر، وانخفاض موضع القرنين
ودخوله دال على خبث النية والدناءة والعبث، وتفرطح الرأس
حتى كأنه أقراص مجموعة دليل الجهل وقوة الحرص والجرأة على
الأشياء، والرأس المغضن (أى المتجعد المتثنى) المنفضح دون
القمحودة (أى الأجوف فى اتساع تحت الهنة الناشزة بأعلا القفا
بين الأذنين) دليل المحمدة والخير وجودة الطبع وكثرة الحفظ
والرأس الكبير جداً دليل البله وفساد الفكر واضطراب رأى
الآن وقد جئنا بالأجمال على دلالات الوجه والرأس،
فلنذكر بالاختصار نتفهاً من دلالات أجزاء الوجه كالجهة
والحاجبين والعيون وما سواها. ومما لا خلاف فيه أنه إذا

أخطأ بعض هذه الأجزاء في الدلالة على الحقائق الباطنية فأن البعض الآخر وهو الشطر الأوفي لن يخطئ أبداً .

الجهة كما قال صاحب (السياسة في علم الفراسة) دلائلها قوية صادقة لأن الرأس صومعة الحواس ومعدن الفكر والذكر والحفظ . وهو أكمل الأعضاء لظهور الآثار النفسية فيه بوجه أتم ولأن الوجه محل الحسن وضده وبهما كمال الجسد ونقصه ، ولأن الأحوال الظاهرة في الوجه قوية الدلالة على الأحوال الباطنة كالخجل والخوف والغضب والفرح والكآبة ، فأن لكل واحد لوناً مخصوصاً يظهر في الوجه دون البدن . وقد أجمعوا على أن الجهة المحمودة الدلالة على خلق حسن هي المعتدلة الموافقة لوجه صاحبها فليس فيها تربع ولا تعجرف ، ولا هي مسحاء إلى الرأس ولا مشرفة على الوجه ولا صغيرة ولا ضيقة ولا واسعة ولا طويلة ولا جلحاء (ممتلئة) ولا قصيرة الشعر ولا مستدقة ، ولا هي مخسفة ولا خشنة ولا شعر الرأس مالك أعلاها بكثرة بل مستوية الخلق لينة عالية في وضعها حسنة المنظر نقية من الشامات والخيلاط والشعر النابت بها كالزغب .

تلك هي الصفات الممدوحة بوجه عام في الجهة . أما المحمود منها بوجه خاص فهو : أن الجهة المستوية العمودية فيما بين شعر الرأس والحاجبين دليل ضعف العقل وقلة الذكاء ومثلها في ذلك

الجهة الضيقة المربعة في استواء وتضام أطراف . وإذا كانت مع
صفحتها العمودية محدبة من أعلاها فأنها دليل الذكاء الحاد والميل
إلى مداولة العلوم العقلية كالرياضة وماضاهاها . أما إذا كانت واطئة
فأنها تدل على خشونة الطبع وغلظ الكبر وحب الشر والشقاوة .
وإذا انبطحت في انسحاب فأن ذلك من علامات الشدة والبؤس
ووقوع صاحبها تحت رحمة البلاء والمكروه . وإذا كان الانبطاح
والميل إلى خلف مع توسط واعتدال فتلك آية من آيات حدة
الذهن والميل إلى الفنون وإذا كانت الجهة مربعة في تحدب دل ذلك
على سلامة الذوق والرصانة وصدق الفكرة وحسن التأمل . أما
إذا استطالت في شكل يضاوي كان ذلك من أصدق الدلالات
على التأمل والخيال والحماس وحسن التصور . وإذا تحدبت الجهة
في وسطها بنتوء عظمي مع عرض وارتفاع فأنها تدل على الروية
في التأمل وقوة الذاكرة وثقابة النظر وصدق المشاهدة . وإذا
استطالت بتحدب خفيف دلت على النشاط والجرأة والطموح
إلى المعالي والفصاحة . فإذا كانت الاستدارة باستواء وضيق
كان ذلك علامة الحمق والغباوة والجبن والكسل وغلظ الكبد .
وإذا تكورت الجهة تكوراً خفيفاً في عرض وشكل مثلث دل
ذلك على الرقة واللفظ وانصراف الفكر إلى المعاني الشعرية وعلى
لين الجانب ورقة الطبع . وعرق الجهة إذا اخترقها متفخفاً في

اتجاه عمودى دل ذلك على القدرة والكفاءة لعظام الأمور والجهة
التي لا تتوردها الأسارى والتجمعات أبداً حتى تحت حكم
العواطف المؤثرة هي الدليل الصادق على الجمود والرياء والدناءة
هذا ماذهب اليه علماء الغرب فى الحكم على الأحوال الباطنة
بمقتضى أشكال الجهة وصفاتها الطبيعية والطارئة عليها . أما أقوال
علماء العرب فى ذلك فقد حصرها صاحب كتاب السياسة فيما
يأتى ملخصاً :

عظم الجهة دليل البله وعرضه دليل قلة العقل وصغره دليل
لطف الحركة واستدارته دليل الغضب بسرعة وانسطاحه مع
التغضن (التجمد) دليل السفه ودناءة النفس والكذب وقصرها
دليل الغضب والشجاعة وانبساطها بغير غضون دليل الشغب
والخصام . والجهة الصغيرة دليل الجهل والدقيقة الطويلة دليل
الطيش والخفة والعريضة المنبسطة دليل البله والحمق ، والعظيمة
دليل الكسل والغضب ، والقصيرة المغضنة دليل الحرص وجمع
المال ، والكثيرة الغضون بغير قصر دليل الصلف ، والخشنة دليل
الخفة وضيقها مع ذلك دليل سوء الفهم والمختلفة الاستواء دليل
الفجور والخيانة والحمق ، والناتئة فى وسطها دليل الحرص والشح
والمربعة دليل جودة الفهم وحب العلم والصلف ، والعالية دليل
القحة والشجاعة ، والناتئة المعقدة دليل الخيانة والغش ، والظاهرة

العروق دليل الجرأة والأقدام ، والممساء المستديرة دليل التهور
والبله ، والممساء المسطحة إلى مقدم الرأس دليل الكبر والعلم
والحظ من الملوك .

قال صاحب كتاب الفراسه : إن أحمد الحواجب دلالة
الحاجب الممتد المعتدل الحسن الوضع والنبات للشعر وتناسب
الطرفين ودقته وارتفاع مؤخره إلى جهة الصدغ وبلجه وارتفاعه
عن العين قليلا . هذا هو تعريف أحمد الحواجب وأحسنها دلالة .
ويذهب علماء الغرب من المعاصرين إلى أن الحاجبين إذا استويا
على خط أفقي واحد واقتربا من العينين دلا على القسوة والصلابة
فإذا ابتعدا عنهما في استواء أيضاً دلا على نقص العقل وغثاثة
الفهم ، وإذا انكسرا على شكل زاوية رأسها إلى فوق وانفراجها إلى
أسفل دلا على البله واختلال العقل ، وإذا مالا متصاعدا طرفاهما
نحو الصدغين دلا على الجنون والدناءة وسفال النفس ، وإذا
تقوسا في استدارة منتظمة ومتناسقة دلا على سلامة الطبع ، وإذا
لمازدا تقوسهما دلا على الجرأة والكبرياء والغضب ، وإذا كثف
شعرهما دلا على شذوذ الطبع وغرابته ، وإذا هبطا في استواء أفقي
على العينين دلا على المكر والخبت والحيلة والدهاء .

وذهب صاحب كتاب الفراسة في استخراج دلالات
الحواجب من أشكالها إلى ما يأتي : كثرة شعر الحاجب وخشونته

دليل على الهم وغثاء الكلام والعي فيه ، والحاجب الطويل الممتد إلى الصدغ دليل على العجب والته والصلف ، لاسيما إن مال من جهة الأنف إلى أسفل ومن جهة الصدغ إلى فوق . والحاجب المقنطر دليل الدناءة والحاجب العريض القصير المقفوس المثلث الشكل كصورة الدل دليل على الفهم وخبث النية وسوء الخلق والشح والحرص . واتصال الحاجبين على استقامة دليل التأنث والاسترخاء ، فإذا ترجحا مع ذلك إلى الانحدار إلى جهة الأنف دلا على الذكاء ولطف النفس وحسن الخلق . وإذا ترجحا مع اتصاهما بالشعر ميلا إلى جهة الصدغين دلا على الظن وحب اللهو والطرب والزهو والاستهزاء بالناس ، وإحاطة العين بالحاجب على العين كنصف الدائرة دليل العي وخبث السريرة وسوء الخلق والدناءة وركوب الحاجب على جفن العين دليل الشجاعة مع سوء الخلق وشدة الشهوة ، وارتفاع أحد الحاجبين وانخفاض الآخر عند الكلام والنظر والحركة دليل خبث الباطن والمسكر وسوء الظن بالناس والكبر والفتحة وسوء الفهم وطبيعة الشر والدناءة ، والحاجب المرتفع إلى جهة الجبهة عن العين دليل الحق ، والمرتفع الطرفين من جهة الصدغين إلى فوق كرفع الذنب من الشاة دليل الصلف والكبر والته ، والحاجب المرتفع في الجبهة من جهة الأنف والنازل من جهة الصدغ دليل حب القتل وسفك الدماء

وسوء الفهم وحب الفساد وكثرة الشر ورداءة الأخلاق والظلم
والتهور . ودقة الحاجب مع خفة الشعر دليل الذكاء ولطف
النفس وحب الدعابة .

ولم يذكر علماء الغرب في الفراسة شيئاً يروى الغل عن
فراسة العين ففما بين أيدينا من كتبهم اقتصروا على القول بأن
جحوظ العين علامة ثقل العقل والنقص في سلامة الذوق ، وأن
غورها مع التحرك دليل المكر والدهاء ، وأن لمعانها علامة القسوة
والاستهزاء ، وأن توسطها بين الجحوظ والغور علامة اعتدال
الطبع وتوازن العقل ودماثة الخلق ، وأن صغرها مع تحريكها
علامة الحيرة والقلق مع الخبث وحب الفساد ، وأن غمزها
واضطرابها مع ارتفاع إلى ناحية الرأس علامة الحياء والخوف
ونقص في الرقة ، وأن صفاءها ولمعانها واستقامة نظرها علامة
الشجاعة وقوة الإرادة وسلامة العقل . أما العين المائلة المنحرفة
فعلاية الخبث والخيانة والتجرد من عواطف الرحمة والانسانية
أما العرب فقد ذهب علماءهم إلى أن أحمد العيون وصفاً
أن تكون متوسطة الحجم ساكنة في مركبها ترفة في نظرها
ولم تتفرق أشفارها ولم يضعف أنسائها وتكون صافية من الكدر
نقية من النقطة لينة حسنة في بريقها كأمينة العروق معتدلة في
الطرف بالجفن نجلاء الأثفار يخالطها السرور والمهابة ، يياضها

نقيّ وسوادها نقيّ لا عظيمة ولا صغيرة ولا غائرة ولا جاحظة ولا شاخصة كالجامدة ولا سريعة التقلب كحركة الزئبق ولا ناتئة الحدقة ولا صغيرتها ولا كبيرتها ولا واسعتها ولا مختلفة الوضع في البياض والسواد وتكون رطبة المنظر من غير ضعف ولا علة شهلاء أو خفيفه الشهولة أو كحلاء أو شمعلاء أو خفيفة الشعولة شمحيحة الجفنين الأعلى والأسفل ملوزة الوضع سوداء الحدقة وقل أن تجتمع في عين هذه الأوصاف كلها ولكن تلك العين الموصوفة نموذج العيون وصاحبها يكون حسن الطبع جيد العقل غزير المروءة كثير الخير متصفا بكل خلق فاضل .

هذا وأحوال العين من جهة الفراسة تعتبر من وجوه : أحدها الوضع كالجاحظة والغائرة . الثاني المقدار كالعظيمة والصغيرة . الثالث الجفن كالغليظ والرقيق والمستوى والمنقلب وقلة الطرف وكثرته . الرابع حركة الحدقة كالبطء والسرعة . الخامس المشابهة بأعين الحيوان . فاعتمد على هذا الاعتبار في التوسم واحكم بما يظهر منه .

وإليك الدلالات التفصيلية للعين : العين الصغيرة الموق دليل التأنث واسترخاء القوى ، والناتئة الحدقة دليل الجهل والبلادة والطائر ناظرها إلى هنا وإلى هنا دليل المبت والتلعب بالناس وحب الصيد وحدة النفس ، والكثير تحديقها في الأشياء دليل

القحة والحمق، والكثيرة الطرف في سرعة دليل البطش
والاضطراب، والعظيمة الراكدة غير البراقة دليل حب المال
وجمعه وبغض النساء، والحمراء كالجمر دليل الغضب والاقدام
وحب القتل، والعظيمة الراكدة الحمراء دليل الفحش واللهو
والدناءة. وإذا كانت منقلبة الجفن الأسفل فلا شك في رداءة
طبائع صاحبها وخبث نيته وقلة حيائه، والنازية اللون دليل القحة
والجرأة، والخفشاء الغائرة دليل الدهاء والرداءة وخبث النية
والحرص، والشديدة الغور حتى كأنها في نقرة غائصة دليل
الخداع والكذب والمكر لا سيما إذا كانت زرقاء أو خضراء فإن
صاحبها لا يؤمن في شيء ولا يوثق به والرخيمة الضاربة إلى الحمرة
دليل رداءة الطبع والغدر، والسوداء دليل الأمانة وقلة الشرورقة
النفس، والعظيمة منها دليل الكسل والبلادة، والجاحظة منها
دليل القحة والجهل والهذر، والشبيهة منها بعين المعز دليل الجهل
والمتحركة بحدة وسرعة مع اضطراب دليل المكر والفهم والتحيل
والسرقة، والجامدة البطيئة الحركة دليل الفكر والهم والمكر،
والذاهبة في طول البدن دليل المسكر والخمير والشبيهة نظرها
بنظر الصبيان مع تبسم طبيعي وسرور في الوجه من غير قصد
دليل طول العمر وقوة الروح وكثرة الفرح واعتدال الخلق،
والمتوسطة اللون بين الصفرة والخضرة دليل الجبن والذلة

والحرص ، والزرقاء في بياض دليل على شر مما دلت عليه التي قبلها ، والصفراء الضاربة إلى الخضرة في اضطراب دليل النعمة والكذب والشر ، والدائمة الطرف مع اضطراب حركتها دليل الجنون واختلاط الذهن ، والزرقاء في صفرة زعفرانية دليل البلادة والكسل والخوف والجبن ، والشهلاء أو الزرقاء ذات النقط الغير زوجية الشبيهة بالخرز المنظوم دليل الشر والغدر والأذى ، والسوداء الحديقة أو زرقاؤها في لمعة ذهبية أو زعفرانية بغير بريق دليل حب القتل وسفك الدماء ، والمنقلبة إلى فوق شبه أعين البقر وهي مع ذلك ضاربة إلى الحمرة وعظيمة دليل الجهل والتكبر والأصرار على الخطأ ، والصغيرة جداً مع كثرة الطرف دليل الهذر والعبث ، والكبيرة جداً مع كثرة الطرف دليل الظلم والجور وقلة الحياء ، والعظيمة المرتعدة دليل الكسل وحب النساء ، والصغيرة الزرقاء المرتعدة دليل ما تقدم مع التحيل والمكر ، والزرقاء الصغيرة الحديقة المرتعدة دليل التماس أذى الناس وفساد الطبع والمزاج ، والراجفة بأي لون كانت دليل الشر والاختلاق ولا سيما الصغيرة ، وكلما عظمت نقص الشر وزاد الحمق والجبن والكسل ، والكبيرة الناظر مع اختلاف وضعه دليل نقص العقل وسوء الفعل ، والدائمة الطرف السريعة القلب في مركبها دليل الحمق والجنون والجبن ، والزرقاء الضيقة

الباطن دليل الفجور والحرص والطيش ، والنازلة الموق إلى جهة
الأنف دليل الشجاعة والأقدام وحب سفك الدماء ، والتي
يتقدم ناظرها ويتأخر عن المركب المعتاد كانتقال ناظر العين
الأحول دليل سوء الفعل ونقص العقل ، والطمشاء دليل قلة
الحياء والتهور ، والشهلاء المائلة إلى لون الذهب دليل الأقدام
والجراة والقتل ، والزرقاء اليابسة دليل سوء الهمة والجور ،
والخضراء في زرقاة ويوسية دليل الجنون واختلاط الدهن ،
والزرقاء المعتدلة اللون والوضع مع سواد شعر الجفن وإن تكن
أصلح العيون الزرق إلا أن صاحبها لا يخلو من الشر ، والبراقة
الزرقاء بصفرة زرنيفية ، والخضراء بخضرة الفيروز وفيها نقط
حمراء كالدم أو بيضاء دليل الخيانة والشر والسوء ، والراكدة
الرطبة غير العظيمة ومتحركة الجفن بخفة وجبهة صاحبها ملساء
دليل الحرص وجمع المال وحب العلم ، والراكدة الصغيرة دليل
البخل والحرص وانتحال الفقر ، فأن انضم إلى ذلك ارتفاع الحاجب
إلى وسط الجبهة دل ذلك على المكر والبخل والخداع والسلطة
وسوء الخلق .

والنقط الكثيرة حول الحدقة من داخلها دليل الشر
والسكيد والخيانة . وإذا كانت العين زرقاء فالدلالة أوكد ،
والحدقة المطوقة بطوق يخالف لونه أونها دليل الهذر والحسد

والشر والكلام فيما لا يعني والجبين عند الصدق مع إظهار الشجاعة
قبله ، والسواد الرقيق حول الناظر كأن بصاحبه كآبة وحزن
وبعينه لمعة سوداء أو صفراء أو خضراء مع انتفاخ فيها وكثرة
تقلب لها من غير علة ظاهرة دليل الجنون والاختلاط وارثكاب
المنكرات من قبل كالقتل وغيره ، والحدقة النائمة مع لطافة العين
دليل الفحش والحمق والطيش

والجفن المنكسر أو المكبوب دليل المكر والحمق وأهداب
الجفن إذا كانت قائمة والحدقة تدور في المركب دلت على
انقلاب النفس وسوء الظن والقرب من الجنون ، وتشحم الجفن
الأعلى دليل حب العلم وفعل الخير مع الغفلة ورقة النفس ، ورقة
الجفن الأعلى دليل الفهم وغزارة العقل ، وغلظ الجفنين دليل على
البلاهة وغلظ الطبع

والعين الشبيهة بعين الغنم دليل الغفلة والجهل وقلة الشر
وبعين الحرباء في الوضع والدوران دليل الكذب والملل والشر ،
والتلون ، والتي لونها كالون عين الأسد مع حسن الوضع لها في
مركبها دليل الفهم والعقل والشجاعة والعلم والاتصاف بكل
وصف حسن وخلق محمود .

والعون المذمومة الدلالة على الاطلاق هي : العظيمة جداً
وعكسها والجاحظة وعكسها ورحبة الناظر وعكسها واليابسة

جداً وضدها والغليظة الأجنان جداً وضدها والمستطيلة جداً
 وضدها والمائلة إلى جهة الموق أو إلى جهة الجبين والغزيرة
 الشعر في الجفن وعكسها والحديدة النظر وضدها والشديدة
 الخضرة ولا سيما مع اللون الرصاصي والكدره البيضاء بصفرة
 يسيرة أو حمرة أو زرقة أو لون سنجي (عنابي) والكدره الحدة
 بشائب من مداكنة أو صفرة والكثيرة الشعاع والناقصة والبادية
 العروق والحمرة البياض من غير مرض ظاهر والمنفرجة الأجنان
 وذات الدوران والتقلب السريع وذات الانتفاخ في الجفنين
 والاسترخاء الشديد والمختلطة اللون وذات النقط والهمزات أو
 الطوق حول الحدة والكثيرة الطرف والبطيئة مع جمودها
 وسوداء المحاجر والناتئة الحبة دون المقلة والممتلئة الجفن
 الأسفل دون الأعلى وضدها والزئبقية الراجفة في قلبها والسنجية
 بغير بريق والرمادية والمجزعة الحدة شبه عين الهر .

واعلم أن العيون وجوه القلوب وأبوابها التي تبدو منها
 أحوال النفس وأسرارها ، وذلك لاتصالها بموضع القلب وصفائها
 ورقنها فاحكم بها لتحقيق النظر وصحته فأن الدلالة الواحدة
 منها تصلح أو تفسد أكثر من دلائل البدن لصدقها وإن كان
 البدن مخالفاً في أمارات الصلاح وضده .

قال ابن أبي طالب الانصارى واصفاً أحمد الاثنوف دلالة

على كل وصف جميل وخلق حسن : هو الأنف الحسن الوضع المعتدل المناسب في خلقه من مقدار أرنبته وقصبته ومنخريه ، وتوسطه في الكبر والصغر والطول والقصر والكثافة واللطف وضيق المنخرين وسعتهما ، وحسن لون الأنف وتخطيطه ولطف اتصاله بالجبهة ، وتوسطه بين الشم والورود بالأرنبية إلى جهة الفم ، وسرعة التنفس منه وبطؤه ، وطيب رائحته ولين مجسته ونقاوة بشرته من الشامات والخيالان والشعر الذهبي والرطوبة السائلة واليبوسة الجافة ، لا أحذب ولا مستوي القصبية بالجبهة ولا منفصلها ، ولا أفطس ولا رقيق الأرنبية قائمها ولا مقلص من الشفة العليا ولا قريب من طرفها .

وفي مذهب المتوسمين من الافرنج أن كبر الأنف دليل على شذوذ الاطوار والتطوح في الوهم ، وأن شدة التقوس فيه مع استطالته دليل الاختلال في العقل والاضطراب في الفكر ، وأن استقامته مع تربيع قليل في الأرنبية (وهي طرف الأنف) دليل قوة الإرادة والسكون والتعقل ، وأن انحناءه بما يجعله شبيهاً بمنقار الغراب ، دليل الجرأة والشح . والأنف الأقنى (من القنا وهو ارتفاع أعلا الأنف واحدياب وسطه وسبوغ طرفه أو نتوء وسط القصبية وضيق المنخرين) خاص بذوى الطمع والشجاعة ومحبي الأبهة والجاه والتسلط ، والأنف

الخناس (من الخنس وهو تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأنبة) ويسمى أيضاً بالمتعنى (من القعا وهو إشراف الأنبة ثم تعنى نحو القصبة) خاص بذوى القحة والملحفين والعابثين بواجب السميت والوقار، والأنف اللحيم المستدير الأنبة الهابط على الشفتين خاص بالمتهمكين على الملاذ البدنية، والأنف الغليظ اللحيم المكور المنخرين واسعهما خاص بذوى الفهم الثقيل والعقل الناقص والكسالى والمنهومين، والأنف المستدق الأنبة في انبعاث إلى أمام خاص بذوى الطبع الجافى والميالين إلى الكبرياء والصلف والاستبداد، والأنف المستطيل في دقة خاص بذوى الخفة والطيش وقلة الثبات، والمعتدل في صغره مع استقامة وخنس وتقلص في الأنبة بشرط استدارتها خاص بحدة الذهن وتوقد الذكاء وسعة العقل، والأنف الصغير جداً الكثير الزوايا خاص بالميالين إلى العناد والمشاجرة والعدوان، فإذا كان مع صغره هذا مستدير الأنبة مع تقعر في أصل القصبة دل على خور العزيمة وضعف الطبع والتأنت وقلة الثبات وعدم الروية، وسواء أكان الأنف منحنياً أم غير منحن فأن اتساع أصل القصبة وعرضه يدلان على توافر الخصال العالية في صاحبه. وهذا النوع من الأنف نادر جداً حتى بين مشاهير الرجال وخولهم، وهو إذا صودف في أحد دل دلالة قاطعة على

نبوغة وعبقريته .

أما دلالات الأنف عند العرب فهي على ما نستخلصه من كتاب السياسة في علم الفراسة كما يأتي : دقة الأنفة وورودها دليل الطيش والمخاصمة ، وغلظها مع امتلاء طرفها دليل العي وقلة الفهم وكثرة المزح ، ودقة الأنف بمجموعه دليل الشر وسرعة الغضب وبغض الغريب ، وطوله مع دقة أنفته دليل الطيش والحق وسرعة الغضب ، والأنف الأفطس دليل غلظ الطبع والميل إلى الشهوات ، وارتفاع قصبته الأنف مع استوائها دليل جودة الفهم والطمع . واعوجاج الأنف وغلظه دليل الشر وسوء الخلق وخبث السريرة ، وعرض الأنف بمجموعه دليل البطر والعبث والجهل وغلظ الطبع وحب الأذى والفساد ، والأنف المقوس القصبية إلى الأنفة يسيراً دليل الجبن والهذر ولين النفس والطيش ، وانتفاخ القصبية من غير علة دليل غلظ الطبع والجور والعبث والجهل ، وانتفاخ المنخرين في سعة دليل الغضب والصلف والتهيه وقوة النفس ومعالجة التقحم وشدة التنفس ، وغلظ أعالي الأنف دليل نقص الحس ، وغلظ الأنفة جداً دليل حب المزاح والصبر على الأذى وتقنط الأنف حتى كأنه ثلث دائرة دليل الهذر والحسد وحب المحمدة وبغض الناس والتهور والقحة والاقدام والكذب وإظهار غير ما في النفس

والبخل والتحيل . فإن كان مع تقنطره واردة الأرنبة دل على سعة
الحيلة والتظاهر بالأمانة ، وقصر الأنف وفطوسته دليل السرقة
وخبث النية ، والأنف الذي في قصبته عقدة دليل الكبر والته
وطول الأنف مع غلظ الأرنبة وعظمها دال على الجرأة
والشجاعة والتكبر والقوة مع نقص العقل وعلى أن صاحبه لا
يرى غير رأى نفسه ، وحسن الأنف وسبوطته يدلان على حب
النساء والشبق ، واستدارته مع ضيق المنخرين تدل على الحمق
والطيش ، واستواء قصبته مع الجبهة كأنها قطعت عنها دالة على
الجهل وسوء الفعل ، والأنف الرقيق رأس الأرنبة مع تقوس
القصبه منه وظهور تخاطيط منخره دليل الشجاعة وحب الخصام
ولتسكلم على الأفواه ودلائلها على الأخلاق الحسنة
والأوصاف الحميدة أو ضدها ، والكلام عليها يتناول طبعاً
الكلام على الشفاه والأسنان .

فأحمد الأفواه دلالة على الأحوال الباطنة للمرء الفم الذي
يكون معتدلاً بين السعة والضيق ، لشفتيه صبغ حسن ورقة معتدلة
ولثغره حلاوة ولثته صبغ حسن مع استواء واللسانه ملوسة ولون
غير مشوب بالصفرة ، وأن يكون طيب النكهة نقي بياض
الأسنان حسن التركيب لها . بهذا الوصف وصفه صاحب
كتاب السياسة ، وقد زاد عليه في بيان الدلالات التفصيلية

وشرحها أن سعة الفهم دليل الشجاعة وصغره دليل الفطنة
والذكاء والاحتراز، والمتقدم البارز كالزلوم دليل الشره والبله
وكثرة الكلام، واستقامته مع صغره دليل حب القتال والشجاعة
والجرأة وسفك الدماء، وغوره كأنه في بر دليل حب اللهو
والإقدام.

وتكلم ذلك المؤلف على دلالات الشفتين فقال: أن
رقتهما والتحام إحداهما على الأخرى في انطباقهما مع سعة الفهم
دليل الجراءة وشدة الغضب والغش والحقد وخبث النية، وأن
غلظهما دليل الحق وغلظ الطبع، وأن تدليلهما وخصوصاً السفلى
منهما مع سعة الفهم دليل الجبن والعجز والمشي بالنميمة وضعف
الهمة وشره النفس، وأن تقدم العليا منهما على السفلى دليل محبة
العلم والحكمة والفهم والأمانة وبعض الغفلة، وأن استرخاءهما
في ملتقاهما حتى كأن العليا منهما ساقطة على السفلى دليل ثبات
النفس والقوة، وأن بروز الشفة السفلى دليل الحقد وسوء الفهم
وعلماء الفراسة والتوسم من الأفرنج يستدلون بالشفيتين
الغليظتين حتى كأنهما تشبهان مخدتين محشوتين على فساد الطبع
والبلادة وثقل الفهم، وبالشفيتين المرتفع مكان تلاقيهما من
الجانبيين على القحة والسخرية من الناس والصلف والخيلاء،
وبالشفيتين الرقيقتين في تضام واستقامة على الشر والرياء وقسوة

القلب ، وبالشفة العليا ساقطة على السفلى في تقدم خفيف على
الرحمة والمعروف ولين العريكة ، وبالشفة السفلى متقدمة على العليا
على حب الملاذ والشهوات البدنية ، وبتقوس الشفتين مع
تضام شديد بينهما على الصلف والاستبداد ، وبهبوطهما مع دخول
في الفم كأنهما غائرتان فيه على الشح ، وبصغرهما على الخيلاء
والخفة والجبن ، وإذا انطبقت الشفتان على بعضهما من غير جهد
وكانتا مستويتين والسفلى منهما متقدمة قليلا على العليا دللتا
على الروية والأناة والتبصر في العواقب ، وإذا كانتا كبيرتين
ومتوازيتين وكان ركناهما كالضمتين في شكلهما دللتا على جودة
الرأي وثقابة النظر وعلى براعة أصحابهما في السياسة وطموحهم
إلى المعالي . أما الشفتان اللتان لا تنطبقان على بعضهما بل لا يزال
ما بينهما مفتوحا ومفضيا إلى داخل الفم ، وكانتا مع صفتها هذه
غليظتين في استدارة ، فأنهما تدلان على الدعة والكسل وضعف
الطبع وسرعة التصديق لكل ما يقال .

وذكر صاحب السياسة دلالات الأسنان فقال ما ملخصه :
طول الأنياب دليل الكذب والشجاعة وقوتها مع الطول دليل
الشه والهم وقوة البدن ، وصغر الأسنان المنضودة بغير فلبج
دليل الكذب والنميمة والنسيان ، واختلاف أوضاعها دليل
الهذر ، والأسنان الشبيهة بأسنان الكلاب تدل على الهم

والقدر والعظمة وسوء الهمة والحسد ، والأُسنان المفلجة الحسنة
الوضع دليل جودة الطبع ودماثة الخلق ، والأُسنان السكبار
المفلجة المختلفة تدل على رداءة الطبع والناتئة فوق اللثة تدل على
الحرص وسوء الهمة ، وتقدم الأُسنان العليا على السفلى دليل
الحسد والحقد والجرأة والشح ، وقوة الأُضراس والاسنان
تدل على قوة البدن وطول العمر .

جاء في علم الفراسة الحديث تنويعها بأهمية دلالة الذقن على
الأخلاق الباطنة ما يأتي : « قلما يتنبه الناس إلى علاقة الذقن
بالأخلاق ، والذقن في الحقيقة من أكثر الأعضاء علاقة
بأخلاق الناس ، ومن أدلتهم على ذلك أن معظم الذقن من الفك
السفلى ، والفك السفلى تقابل المخيخ في مؤخر الدماغ . وبين المخيخ
وتلك الفك علاقة أكيدة ، ومن أهم وظائف المخيخ الحب
والموازنة والارادة ، والخصائص تتصل بالفك السفلى ثم بالذقن
فالذقن في الفراسة دليل الأرادة والحب الجنسي . ولذقن
بروازن : أمامي يتكون منه الذقن الحقيقي ، وخلفي يتكون
منه الحنك ، والذقن إمامستدق غائر أو عريض ناتئ والحنك
يتبع هذا التقسيم ، وهما يدلان على طول الفك السفلى وعرضها
وطول هذه الفك دليل طول المخيخ وعرضه دليل عرضة وبروز
الذقن إلى الأمام دليل الحب ، وعرض طرفه الأمامي دليل

الثبات والصبر ، وعكس ذلك الذقن القصير الغائر فأنه دليل الضعف والكراهة ، والذقن البارز بروزاً مستدقاً دليل الشره في الحب والمضي فيه إلى الجنون ، وهذا النوع من الأذقان أكثر شيوعاً في النساء منه في الرجال ، والذقن الزوجي البروز حتى كأنه ذقنان مفصولان بأخدود مستطيل لابنونة (طبع الحسن) أكثر شيوعاً في الرجال منه في النساء لا يشبع صاحبه من الحب ، والذقن البارز وعرضه على خط مستقيم قصير دليل حب الخير والاحسان ، أو على خط مستقيم طويل دليل التدهل في العشق ، والذقن البارز في استدارة واسعة دليل الثبات في الحب .

وهناك دلالات للأشكال الأخرى من الأذقان على الأحوال الباطنة منها : أن صغر الذقن في استدارة وبروز قليل يدل على الحياء وفتور الهمة وقوة الإرادة ، وصغره في استدارة وغلظ قليل على الزهو والجبن وإفشاء الأسرار ، والخائس المتراجع في استدارة على ضعف الإرادة وخور العزيمة والفرار من المصاعب ، وتربعه في هيئة ذات زوايا مع بروزه على الشجاعة والأرادة والهمة ، واستقامته في هيئة ذات زوايا على الثروة والتبصر والثبات ، وتوسط حجمه في استدارة وبروز معتدل على العقل والرأى الصائب والروية ، وبروزه في استدارة على التماس

الحقائق والبعد عن النظريات والفروض والأهلية لتولى رئاسة الأعمال الكبيرة ، واستواؤه على الجفوة وفتور الطبع وحب الذات ، واستواؤه في هبوط عمودي مع ظهور أثر العظم الذقني على العناد والمكابرة وتعمد الدعة ، وكبره في استدارة وغلظ على الشهوات البدنية والغرائز المادية ، وكبره مع ظهور العظم الذقني وبروزه مستدقاً إلى أمام على قسوة القلب والبخل وحب التسلط ، وعرض الفكين وبروزهما يدلان على غلبة الشهوات والغرائز المادية وتسلط الشره والكبرياء . فإذا توافرت هذه انصفات في شخص ، ولم ينضم إليها ما يلطفها فأولى بك أن تأخذ الحذر منه وأن تنأى بجانبك عنه .

ولما كانت الاحية مرتبطة بالذقن ، فلا بأس من ذكر بعض دلائلها ، نقلاً عن كتاب السياسة في علم الفراسة ، فقد ورد فيه : أحمد اللحاء عناية لون الشعر أو التي كالون الخرنوب لا سبطة جداً ولا جعدة جداً ، ولا كثمة جداً ولا خفيفة جداً ولا طويلة ولا قصيرة ، ولا خالية العنفة ولا خالية اللحيين ، ولا منفردة الشعر ولا عبيثة ، ولا منفردة فرقتين ولا منخرطة كالذنب المحدد ، ولا خشنة الشعر ولا ناعمة بل مستديرة إلى التريع ليس في الوجنتين منها نبات ولا تحت الحنك ولا فوق الحلقوم ، ولا متصلة الشعر بشعر الرأس من الصدغين ، فإذا توافرت هذه

الصفات فيها فأنها دليل العقل والعلم والعفة والشجاعة والذكاء
وكل محمودة . ومن دلالات اللحية أنها إذا كانت مربعة خارجه
الحروف دلت على خبث النية والجرأة على العظائم ، وإذا تفرقت
فرقتين دلت على الشر والشجاعة والفدر ، وإذا كان بها شبيه
النقرة بغير شعر دلت على المكر والميل إلى الشهوات ، وإذا
استطالت في رقة وتفرقت دلت على الجهل والكفر ، وإذا
تفرقت فرقتين دقيقتين دلت على سوء الظن بالناس وحب
الفتن والكذب والفدر ، وإذا استدارت في استواء دلت على
جودة الصحة وحسن الطبع وسرعة الفهم ، وإذا كانت عريضة
مربعة الشكل من غير تفريق دلت على العقل ونفع الفاس ، وإذا
كانت خفيفة الشعر جداً بسيطة دلت على الذكاء والفهم وحب
النقش والكتابة ، وإذا كانت تشبه في نباتها لحاء التيوس دلت
على البلاهة والجهل وحب المال ، وإذا كانت كثة ممتلئة الوسط
شعراً دلت على قلة العقل والجرأة على العظائم ، وإذا كانت طويلة
عريضة جداً مجنحة بمجناحين دلت على الفهم والجرأة وجودة
الطبع ، واللحية المرسلة الجمدة الشعر التي دون الكثة تدل على
الفطنة والأقدام .

وصف ابن أبي طالب الأنصاري أحمد الأعناق بأنه العنق
المعتدل بين الدقة والغلظ وبين القصر والطول ، وأن يكون

سبطا لينا خفي العروق والودجين والقصبة والحنجرة والفقر ،
حسن اللون مستوى المعرز ، والعنق القصير الغليظ دليل الاقدام
والشجاعة والصبر ، وإذا كان الرأس صغيراً والعنق غليظاً والوجه
طويلاً دل ذلك على القحة والمجازفة والألحاح (لشبهه بالكلاب)
والعنق الطويل الدقيق دليل الجبن وضعف النفس ورقة القلب ،
والعنق الطويل الذي يميل يمنة ويسرة مع الحركة دليل ضعف
النفس وسوء الهمة والذلة وقلة الثبات ونقص العقل ، والعنق
الطويل فوقه الرأس الصغير دليل قلة العقل وحسن الصوت ،
وتنوء الحنجرة مع ذلك دليل الشر والفحش والبخل والجهل
والهذر لاسيما مع تنوء الودجين ، والعنق المسترخي دليل ضعف
العقل والبدن وسوء الفهم والجبن وحسن الصوت ، والعنق المائل
يمنة ويسرة حتى كأن الرأس متكىء على الكتف دليل الشجاعة
وشراسة الأخلاق وغلظ الطبع ، وغلظ العنق مع كبر الرأس
دليل الشجاعة .

ووصف ذلك المؤلف أحمد الأذان فقال : هي الاذن التي
تكون مناسبة لمقدار رأسها وتكون حسنة التكوين ، ليست
بمنكسرة ولا بمنبسطة ولا رقيقة ولا غليظة الشحمة ولا نابذة
الشعر في صماخها بكثرة ولا مشرفة الأُعلا ، صغيرة الشحمة
حسنة اللون والوضع والتكاسير التي بها . وجاء في علم الفراسة

الحديث أن كبر الأذن يستلزم كبر الأيدي وسائر الأعضاء
والعكس بالعكس ، وقد وجدوا بالاستقراء أن رجال البر
والإصلاح يغلب أن يكونوا كبار الأذان وقد وجدوا أيضاً أن
جماعة من رجال الأموال كانوا كبار الأذان

وفي الفراسة الغربية : أن الشعر على الأذن دال على جودة
السمع وقلة العقل ، وأن الأذن الكبيرة ذات الانفراس دالة
على الهذر والحمق ورداءة المهمة والكذب ، وأن عظم الأذن
وغلظها دالان على الحرص وسوء المهمة ، وأن صغرها دال على
الفهم والشر والغدر وقصر العمر ، وأن الأذن الرقيقة العظيمة
دالة على نقص الفهم والفجور ، فأنت كان شعرها ظاهراً في
صماخها دلت على الجهل والفتور في الأشياء ، والأذن الضعفاء
المنكسرة تدل على الجهل والغفلة ، والمستديرة الرقيقة الشبيهة
بالرق وهي ممسوحة إلى خلف الرأس على الذكاء وخفة النفس
والعقل والترف ، والمساء الغليظة على الجهل وغلظ الطبع ، وإذا
كانت الشحمة غليظة نازلة من الأذن دلت على غلظ الطبع
والخيانة . والأذن الكبيرة القائمة في طولها الشبيهة بأذن الحيوان
تدل على الجهل وطول العمر والنهمة .

وعند علماء الفراسة الغربية : أن الأذن المستطيلة من
أعلاها إلى أسفلها علامة تميز الأصوات والتفريق بين نعماتها

وبخلافها الأذن العريضة . والأذن الكثيرة الطيات والتكاسير
أقوى شعوراً بالأصوات من سواها وبخلافها الأذن التي ليس
لها إلا تجويف واحد . وذوو الآذان الحساسة دقيقو الشعور
بالأصوات الموسيقية وهم أهل الرقة والذوق من دون الناس .
والمنح مركز القوى العاقلة ومكانه من الدماغ خلف الجبهة
ومنه يتألف القسم العاقل من أعضاء الانسان . والعينان والأذان
والأنف أى مشاعر البصر والسمع والشم المحسة للموجودات ،
فهي أعضاؤه المميزة . والفم والشفقتان أى أعضاء الذوق ، والذقن
وهو مجتمع اللحيين واستطالة الفكين الماضغين للمطعمات فهي
أعضاؤه المادية . قال ديارول : « قصر الأنف مع استطالة
الذقن عند المرء دليل غلبة المادية فيه على الروحانية وغلظ
الأجزاء العليا واستطالاتها على الذقن دليل غلبة العقل على المادة »
وخطوط ملامح الوجه إذا كان نظامها غير متنسق بطبيعته
وعن غير عارض ، كالأعوجاج في أحد طرفي الفم والاختلال في
توازن العينين ، فأنها الدلالة على فساد القوى العقلية وإصابة
الطبيعة بما يخرجها عن مجرى مألوفها . قال لافتر : « يمتاز أرباب
الحجى والدراية وحسن التدبير بتناسب الأعضاء وتناسق
الملامح في بروز يوضحها لنظر الناظر . أما الأغبياء البلاء الذين
هم إلى الحيوانات العجم أقرب منهم إلى الانسان فيعرفون بالنسيح

تلك الأعضاء والملاصق بعضها على بعض فلا تعرف لها صفة
تميزها، من تموج خطوط أو انحرافها أو غير ذلك. فمن لم تكن
أعضاؤه وحركاته متسقة النظام في وضوح وظهور لارتباب فيه
عين الرائي، كأن يكون في فيه أو في يده أو في مشيته انحراف
يخرج بها عن التوازن والتناسق في أوضاعها واتجاهاتها، فأحكم
عليه فوراً بالتردد والتناقض والنقص في تصرفاته وبالكذب
والختل والفتور وخبط النية وغثائها وقسوة القلب وغلظ
الكبد». وقد أورد لاروس هذا القول في موسوعاته

ولا خلاف في أن ما تقدم من البيان عن الوسائل التي
يتيسر بمقتضاها الحكم على الناس تكون مبتورة وعلى غير
تمام إذا لم تردف ببيان تفصيلي عن العلامات والأوصاف المميزة
للمزجة. ففي مذهب المتوسمين من العرب، كما جاء في كتاب
السياسة في علم الفراسة، أن اللون الأبيض السكد والرصاصي
والجصّي دال على برد المزاج، واللون الأحمر الأشقر دال على
حرارته، والألوان الرائقة الصافية دالة على رقة الأخلاط،
والكدرة دالة على غلظ المزاج، واللون الأبيض المشوب بالحمرة
المعتدلة دال على اعتداله، فأن كانت الحمرة أكثر والصفاء أقل
دلت على استيلاء الدم، وإن كانت ناقصة حتى أنها تضرب إلى
العاجية دلت على قلة الدم، فأن نقصت أكثر حتى تنعدم دلت

على قلة الدم واستيلاء البلغم ويسمى ذلك اللون الجصيّ، فإن كان اللون يضرب إلى البياض وتشوبه خضرة يسمى اللون الرصاصيّ ودل على قلة الصفراء والدم واستيلاء السوداء والبلغم، وإن كانت الأدمة حسنة المنظر غير سمجة ولا ضاربة إلى البياض سميت الدهومة وهي دالة على مزاج حار إلى اعتدال، وإن كانت بحمرة يسيرة صافية دلت على مزاج معتدل بحرارة ما، وإن كانت الأدمة ضاربة إلى الصفرة كان صاحبها أحدهم مزاجا وبمعكسها ان كانت أميل إلى الخضرة، وإن كانت الشقرة إلى البياض فصاحبها أبرد مزاجا أو كانت إلى الحمرة أو الصفرة فهو أحرّ مزاجا، والغلاظة والعبالة دالتان على مزاج رطب والرقّة والنحافة على مزاج يابس، فأف كانت مع العبالة صلابة لحم واكتناز والحمرة الدموية ظاهره في اللون فإن مع الحرارة رطوبة بقدر ذلك، وإن كان مع العبالة والشحم الرهولة وقلة الدم فالمزاج مع الرطوبة بارد، وسعة تجاويف الأعضاء ومجاريها ومباعثها دليل حرارة المزاج ورقته وعكس ذلك دليل برده. والحر الملمس حار المزاج والخشن يابس، فإن كان الملمس حارا لينا دل على حرارة المزاج ورطوبته، وإن كان خشنا حارّا دل على الحرارة واليبس وإن كان باردا خشنا دل على البرد واليبس وهو نادر فإنه قل أن يجتمع برد الملمس وخشونته

وفي مذهب الأفرنج : أن الأمزجة اربعة : اللثاوي وهو مزاج المرء الهادي والدموي وهو مزاج المرء النشيط العامل والعصبي وهو مزاج صاحب الحجب والمعرفة غير المتفائل بالخير والصفراوي وهو مزاج رب الارادة والعزيمة . ومن أوصاف اللثاوي غلاظة الجسم وعبالته وترهل لحمه وتلحم وجهه في بياض مشرب أو غير مشرب بالحمرة وهو ذو ملامح بعيدة عن التفضن مع استدارتها ، وعينين رطبتين كأنهما مغرورقتان بالدموع لا لمعة لهما ، وشعر أشقر حريري الملمس في قلة . ومن خلائقه السكون والاستكانة والاستسلام لما تأتي به الأقدار والرضى بتحكم الغير والرغبة عن الابتكار وتقاء الحركة والنشاط وكل جهد ذاتي . فهو مهمل يحد من الحوادث الخطيرة لا يقابلها بشيء من الاكترات ، وإذا أظهر اهتماما بأمر فما ذلك إلا بتأثير ظروف قاهرة أو إرادة خارجة عن إرادته . ولجموده على القديم وتمسكه بأذيال التقاليد تراه لا يسير إلا في السبل المطروقة من قبل ولا يزاول إلا عملا بذاته من الأعمال التي يعاونه عقله الساكن الدقيق على اداها ببطء على ما يوجب الرضاء والارتياح لا ينزع بهمته إلى الغضب ولا إلى الطمع لأنه مفكر متأمل يسبح على الدوام في أجواء الخيال والأحلام . إذا تكلم فبصوت خافت متجانس بطيء بعيدة نبراته عن الاختلاف والتباين ،

وإذا تكلم فبعبارة مملة تدعو السامع إلى الملل بل إلى النوم أحيانا
خلوها مما يلفت النظر ويجذب السمع كالحركات والأشارات
التي تقترن بها . وتكون راحة يده رطبة في لين وترهل وإذا
مشى كان مشيه وثيداً بخطوات متعثرة . وإذا اشتغل عاملاً في
وظيفة كان خير المثل للعامل المشاير والخدام الممثل
ومن صفات صاحب المزاج الدموي أن يكون متوسط
السمن وثيق العضلات أحمر اللون واسع العينين مستقيم النظر
متقلب العينين براقهما أحمر الشفتين غزير الشعر أشقره وأسوده
متجمعه وسبطه . ومن خلائقه البشاشة وحب الظهور بالمودة
والحماس والافراط من الحركة والأشارة يعبر بهما عن شعوره
النفسي . يتوقع الخير على الدوام ويحمل الأمور على محاملها الحسنة
وتبدوله صحيفة الحياة كأنها منمقة بالزهر الأنيق . يحب اللهو
ويجنح إليه . غضبه سريع ولكنه لا يلبث أن يعقبه الحلم والعفو .
ويمتاز بقوة الذاكرة وصدق الحكم وصواب النظر وإن يكن
لا يتجرى الأعماق بمواهبه العقلية . ويسره الظهور بصفات
أصحاب الشهامة والمروءة والأنسانية والطف . وسرعان ما يتأثر
بعوامل الاحترام والاعتبار تبذل إليه فيهش لها ويصغي إلى
أقوال الملق والاستدراج . ونبرات صوته شديدة وحديثه يعلو
فيه الصياح واللغط وترصعه الألفاظ المنتقاة والعبارات الأنيقة

والنكت اللطيفة يتخللها إطلاق العنان للحلق بالقهقهة العالية
ولأعضاء الجسم بالحركات المتعاقبة والاشارات المتكررة . وإذا
حيالك باليد أحسست شدة ضغطها وحرارة مجسها . وإذا سار
نهب الأرض بخطواته الواسعة التي لا يعوقها عائق تعثر أو تخبل .
وإذا باشر عملا باشره بمجد وهمة واكتسح ما يعترضه من
العقبات والحوائل

أما صاحب المزاج العصبي فهو في العادة نحيف ممتشق
القوام باهت اللون إلى صفرة براق العينين متقلبهما أشقر الشعر
وأحيانا أسودهما ، تكاد ملامحه تنم عن حقيقة نفسه . وهو سريع
الاحساس من الوجهتين الأدبية والمادية تتور ثائرته فيزعج أو
يتحمس لشيء أو لاشيء فهو كالطير المفرد في وضوح النهار
لا يلبث أن يطير لحفيف أول ورقة من الدوح تمر في سقوطها
إلى جانبه . يمتاز بسرعة الفهم وحدة الذكاء وحب الاستطلاع
والميل إلى المطاوعة واسع التصور يؤثر الخواطر والفكر على
الحقائق والأعمال ، يقدم بأقواله وأعماله الدليل الناهض على رقة
طبعه وسلاسة خلقه ولطف ذوقه ولكن كثيراً ما يبدئها على
غير روية ولا تأمل . وشغشته المعروفة عنه متابعته في آن واحد
أعمالا ومشاريع مختلفة ثم تركه إياها عند اصطدامه بأول عقبة
في الطريق لمباشرة أعمال غيرها ، وهو إذا حدث مال إلى وجوه

البديع في حديثه الذي كثيراً ما تبدو عليه صبغة الغرابة ويكون مع توحيه المبالغة فيه جمّ الفوائد جذاباً بطلاوته وعدوبته . سريع الحركات والاشارات في لين وتنوع ، إذا جمع أصابع يده برزت للعيان عظامها وظهرت عليها أمارات النحول والجفاف ، وإذا مشى فبخطوات قصيرة بطيئة ، وبالجملة فصاحب هذا المزاج شاعر السليقة فنان مجدد .

أما المزاج الصفراوي فغالباً ما يكون صاحبه نحيف الجسم دقيق الأعضاء بعضلات بارزة ، في لونه كمودة مشوبة باللون الزعفراني أو الزيتوني ، غائر العين كثيراً في الحجاج ، ظاهر الملامح والتقاطيع محدد أرنبة الأنف أو أقنانه بارز الذقن أسود الشعر أو أشقره ، تميزد عن عامة الناس إرادة قوية لا تنتهي وهمة لا تغالب ، نشيط في العمل مثابر عليه جسور ثابت الجأش نزوع إلى المشاريع الكبيرة وجلالته الأعمال . ما من عمل يقوم به إلا وفيه الدلائل على نظر ثاقب وعزيمة ماضية وإباء نفس ، لهذا تراه يلتمس المعالي والحكم وحمل الغير على الأخذ بآرائه . وهو إذا غضب قد يتمادى في غضبه إلى أقصى حد وإذا حزن استسلم إلى الحزن الشديد وإذا تكلم دلت نبرات صوته على العزيمة والثبات والأمر ، غير أن حديثه كثيراً ما يكون سهلاً جزلاً ينساق السامع إلى الأصفاء إليه أراد ذلك أم لم يردده . وفي

حركاته وإشاراته دلائل تنمّ على عزة النفس والغطرسة ونزعة التعدي . إذا جمع يده بدت للامسها صلبة باردة ، وإذا مشى فخطوات واسعة في اختيال وعظمة . وصاحب هذا المزاج ، إما سيد على القدر أو ثائر يلتمس المعالي .

ويندر أن تتوافر في شخص خصائص مزاج واحد برمتها ، لأن أغلب الأمزجة تتلاقى وتنصهر في المرء الواحد . فهناك المزاج الدموي الصفراوي الذي تجتمع في صاحبه صفات النشاط والابتهاج وطلاوة الحديث المقترن بالأيام ، وهي صفات صاحب المزاج الصفراوي خاصة ، والمزاج الدموي اللنفاوي الذي يتصف صاحبه بحلاوة الطبع ودماثة الأخلاق وحب السكون وهي صفات صاحب المزاج اللنفاوي خاصة منضمة إلى بعض صفات صاحب المزاج الدموي كسلامة الذوق وصواب الرأي وشهامة النفس ، والمزاج الدموي العصبي ويمتاز صاحبه بسرعة الشعور وحدة الذكاء وحب النشاط والميل إلى الشهوات ، والمزاج الصفراوي اللنفاوي ويعرف صاحبه بتباين النزعات وتناقض الميول فتارة يكون صاحب همه ونشاط في ضعف واسترخاء ، وطوراً يكون صاحب عزيمة في تردد وتشكك ، والمزاج الصفراوي العصبي ومن صفات صاحبه التأثير السريع والغضب المفرط وحب التسلط مع الجِد والنشاط في قلق وغضب وحسد ،

والمزاج اللنفاوى العصبى ويتصل بالمزاج اللنفاوى فى الميل إلى التأمل والتحليق فى أجواء الخيال والنزوع إلى البطالة مضافاً كل ذلك إلى شيء من مميزات المزاج العصبى كجودة التصور والقلق وقلة الثبات والاستقرار . وعلى فراسة المتفرس يتوقف علمه بحقيقة الأمزجة ونصيبها من هذه العلامات والخصائص التى إذا انتقشت فى ذاكرته وطبقت حين التفرس تطبيقاً دقيقاً قلما تصادفه صعوبة فى تبين أخلاق الناس واستطلاع ميولهم ومعرفة محامدهم ومقابحهم

والواجب على المتفرس ، إذا أراد أن يصيب مشاكلة الصواب فى فراسته ، أن يصرف التفاته نحو عبارة محدثه وأوضاع جسمه عند الحديث . فقد قال أوجين سابوس : « الكلام دياجة المتكلم وبه يكون الحكم له أو عليه ، بل هو مثال منتزع منه كمثل القماش يحكم بمقتضاه على نوعه وجودته ، المحادثة مرآة ينطبع فيها ذهن المحدث وعقله ، ومن الأحوال والخصائص ما تكشف الكلمة الواحدة عن حقيقته ، ولو وصلت إلى سمى كلمة واحدة من قول محدث لاستطعت أن أنبئك بمكانته فى المجتمع ونصيبه من العلم والأدب بل أن أنبئك حتى لو كان امرأة ، بالسن التى بلغت إليها » . وقال سقراط الحكيم لرجل : « تكلم حتى أراك » . والذى يردد لسانه فى الحديث أقوالاً

مثل : « الغاية ترر الواسطة » « القوة فوق الحق » « ليس
الفقر بعذر » « من بعدى الطوفان » وما إلى ذلك من الأقوال
التي تم عن جحود القلب وخبث النية وتجرد النفس من عاطفة
الخير ، وتبدو في غشاء براق من الحكمة الباطلة فأنا هو من
لا يصح الاعتماد عليه ولا الثقة بما ينتج له من الصدق والاخلاص
لا يجوز لك أن تسلك إلى الجاهل قدر الألفاظ وقيمة
ما ترمى إليه من المعاني النضال عنك ولا الذود عن مصالحك ،
لجود تخيلك أنه من أرباب البلاغة والاحكام . وحذار أن يكون
ممن لا يفرقون بين الكلمات المتماثلة المبني لأنهم يصدفونها عن
المعنى المراد ويفتحون بذلك أبواب اللبس وسوء الفهم بل
والضرر الفادح الذي هو ثمرة الثقافة المبتورة التي تسبغ على
صاحبها رداء الخمول

الرجل الذي يتقدم اليك في بزة لا يتعمل فيها التجميل ولا
يتحرى الغفلة والاهمال ، ويبدى من أساليب الأدب ما يدفع
عنه مظنة التصنع والكلفة ويكون مع هذا وذاك كتماً للأسرار
مراعياً لمقتضى الحال ، والذي إذا فررت مجاسده وجدتها أنصع
ما يكون بياضاً أو إذا نظرت حذاءه ألفيته براقاً لا معاً أو تأملت
رباط رقبته رأيت محكم العقدة مستوي الوضع يدل دلالة واضحة
بهيئته هذه على أنه ممن تعودوا الترتيب والنظام ونشأوا نشأة

طيبة ووجههم الله عقلاً رشيداً ورأياً أصيلاً . أمنا الذي يبرز لك في
ثياب غريبة التركيب شاذة التأليف ، كأن تكون ساطعة الألوان
كبيرة الأجزاء أو صغيرتها من غير حاجة ، أو كأن يرصع كل
أصابه بالخواتم المختلفة أو يحمل على صدره سلسلة ثقيلة ضخمة
من أحد المعدنين الكريمين أو يسرف من الأثماء ورفع الصوت
أو يتصدر المجالس من غير حق أو يلفت فيها الأنظار إلى
شخصه أو يتمدح كفاياته مستجدياً من سامعيه الأعجاب به فأنما
هو أحق مجرد من الذوق ومشعوذ سيء التربية منحط الذكاء
عن الدرجة الوسطى

والرجل الذي ترى معطفه وقد انتثرت عليه أوضار
الأدهان ولطخات الأقدار من كل نوع وحجم أو انحل رباط
رقبته فاختل وضعه وفسد نظامه أو بدا في قميصه من العلامات
ما يدل على قلة العناية بالسياسة في لبسه وخلعه ، أو تلوث حذاؤه
بالطين أو الذي يبصق على الأرض أو يضع يديه في جيبه ويمشي
اختيالاً أو ينفخ في وجهك أو يأتي من الفعل ما يجري هذا المجرى
قبحاً وسوء أدب ، فأنما يقيم الدليل على كراهيته النظام والنسق
الحسن واعتياده القدر والكسل وعلى تجرده من الكرامة والشرف
وهبوطه إلى الحضيض الذي يتمرغ فيه الأوشاب والسوقة
والخرافيش

الحركة غير الارادية تبدر منك في شدة وعنف فلا تنفق
ومجرى حديثك الهادىء الوديع ، وجمعك أصابع اليدين كأنك
تأهب للملاكمة والمضاربة ، وصريف الأسنان ناجما عن
اصطكاك الفكين ، وظنك وأنت تأتى عملا غير مباح أن أعين
الرقباء غافلة عنك ، وفغرك فاك بحيث تنفرج زاوية الفكين في
شكل يذكر الناظر بالكلب وقد فغر فاه استعدادا للعض والقضم
كل ذلك يتم على خسة الطبع ودناءة النفس والنزول إلى درك
الوحوش ، وعلى أن همجية الاجداد قد ورثها الأحفاد
والأعقاب وأنه لا فرق بين من تلك نقائصه وبين من كانوا
في غياهب الهمجية قبل مئات السنين متخبطين . أشباه ذلك
الرجل ، وانا لربأ بك أن تكون عدادهم ، لا بد من الحذر والثانى
وثقابة البصر في مخالطتهم ومعاملتهم .

إذا وقع نظرك لأول مرة على رجل فاحفظ ذكرى
الشعور الذي يتركه مرآه في نفسك ، وتبين بالرغم من حسن
مظهره حقيقة هذا الشعور واستطلع أسبابه ولا سيما إذا كان
ما حسست به يدعوك إلى النفور منه والكرهية له . إن هناك في
هذه الحالة سببا مجهولا لما تحسه عليك استطلاعه قبل أن
تولى ذلك الرجل ثققتك أو تفضى اليه بسرك . أما إذا شعرت بما
يصرفك رغم إرادتك نحو هذا الذى اتصلت به لأول مرة

وجنحت اليه بعواطفك فأَنْ في الأمر ما يدعو إلى التفكير في وجود رابطة خفية تربط قلبيكما على غير بينة منكما، وأن هناك اتفاقاً في الآراء وتماثلاً في الأخلاق والميول بينكما يجعلانه جديراً بمودتك أثيراً بصحبتك. قال لافاتر الألمانى « إذا تقدم اليك أمرؤ في ثوبه الحقيقي لا يخفى عنك شيئاً من أمره فهل في سلوكه هذا معك أول وهلة ما يعطف عليه قلبك ويحملك على تأييده وشداًزره؟ وهل ترى أن في الخطوة التي سار عليها ما يؤذى كرامتك أو يسبب لنفسك حرجاً أو مضايقة أو إرهاقاً على وجه ما؟ أو هل تشعر على الفور وهذا الرجل في حضرتك كأنك تحسّ بارتياح لرؤيته واعتباط لمعرفتك إياه حتى ولو لم يفتحك بحديثه بعد؟ ثق في هذه الحالة بأن مثل هذا الرجل قد حلّ من نفسك منزلة عليا وأنه لن يهبط منها أبداً ما لم يندس بينكما دخيل يبغي التفرقة بينكما. وما أحسست هذا الشعور إلا لأنك وإياه مخلوقان من سابق الأزل كلاهما للأخر وأن الكلم القليلة تكفى للتعبير عن كثير من مرادكما » اهـ. وقد أورد لاروس هذا القول في موسوعاته الكبرى

الآن وقد تبينت حقيقة المرء الذي ارتبطت وإياه برابطة العمل، كيف تستطيع استمالته اليك للاستفادة بعونه، وما هي الوسائل إلى تحصين نفسك من أذاه إذا كان يضر لك الشر

ويتربص بك النوايب ، أو ما هي التدابير المحمّلة على الأصغاء
لقولك والعمل بمشورتك أو لاقناعه بمد يد المساعدة اليك
وإشراكه في أغراضك أو للتملص من سيطرته عليك واتقاء
الشباك التي ينصبها في طريقك ؟

ذاك هو ما لانبث أن نبحت فيه معا

خلق الانسان شغوفاً بشهواته ونزعاته متمسكاً بها حريصاً
عليها خيراً كانت أم شراً ، فهو يميل إلى سماع الأقوال من
محبذها في إطرائها ومن أصحاب المداينة والملق في مدحه
ومشايعتهم إياه فيما يخاله صواباً وهو خطأ وفيما يسنده إلى نفسه
من الفضائل والمزايا وهو خلو منها . والمرء إذا تملكه حب
الشهوات وانحدر في تيارها ولم يصده عنان عنها ضل عقله في
بيداء الوهم فلم يعد له عليه من سلطان وغشيت إدراكه ظلمات
بعضها فوق بعض ، فلا يميز بين الأشياء حسنها وقبيحها سميتها
وغثها . لأن تأثره الوجداني بعامل الشهوات قد سلبه الصواب في
الحكم على الأشخاص والأشياء وحرّم قوة الإدراك فيه فضيلة
السكون الذي لاغنى عنه في تقدير خطورة النيات التي ينتويها
وما قد ينجم عنها من نفع أو ضرر . وبالجملّة فإنّه يصبح وقد
انساب من قبضته زمام أمره وصار إلى حال تجعله خاضعاً لوحي
غيره مصداقاً لأول قول يلقي على سمعه

إذا عرفت هذا الضعف من نفسه فعالجه حتى ترد به
مورداً يشعر فيه بذل الاستكانة ، فلا يلبث أن يخضع لك ويتلقى
بالطاعة إشارتك . عندئذ تصرف في إرادته على ما تهوى والعب
به لعب الصوالج بالأكر ، وإن بدت لك منه يقظة فاتق
عواقبها بشيء من المدح والثناء والاعجاب بمحامده وفعاله وكرر
ذلك على مسمعه فأنت بذلك تستثير شهواته وميوله من مكانها
وتزج بأرادته في مأزق لا منفذ لها منه . إنه بمثل هذا التدبير
ينسي على التدرج ضرورة البقاء في موقف الدفاع فتتلاشى عنده
قوة المقاومة وتحدث في عقله ثلثة تستطيع التسرب منها إليه ، فما
هي إلا غمضة الجفن حتى تراه مشاركا إياك فيما أنت به مقتنع
واليه ذاهب ومصادقا على آرائك التي يخيّل له أنها آراؤه
المبتكرة ومنفذا في الوقت ما توحيه إليه من سماء إرادتك
إذا كان محدثك ممن يحبون السكون والتؤدة فاجعل
محور حديثك دائراً على السكون وكن مثله ساكناً متشدداً وهيء
له من الأسباب ما يعتمد عليه في الالتجاء إلى الفراغ والسبح
في أجواء الأحلام والأوهام ولا ترهقه أبداً وهو قابع في عقر
داره بشيء ما يستدعى الحركة والعجلة . وأصغ بسمعك إلى قوله
محدثاً عن الجهود وما وراء بذلها من قلة الفائدة وعن المخاطرة
والتفحم وما يعقبهما من تعب لا جدوى منه وعن الابتكار

والأبداع وما يفضيان اليه من فشل وجبوت أمل وعن القناعة
بمحمول الذكر وما يحف بهما من راحة ونعيم بال . وحذار أن تصدفه
عن ملاذه المادية التي هو لها موفق بحكم غريزته ومقتضى فطرته
التي فطره الله عليها

أما الرجل العامل النشيط المجد في عمله فحدثه عن العمل
وفضله والهمة وصدق أثرها وقاسمه حسن الظن في المستقبل
وافتح أمامه الأبواب يلج منها إلى ميادين النشاط يبرهن فيها
على كفايته وأهليته للإنتاج والأبداع وانشر أمامه مناقب العمل
وبث له المشاريع الكبرى وما وراء تحقيقها من المفخر . وإذا كان
ممن يرتاحون إلى الانهياج واللهو فجاره فيما يميل اليه ويؤثره
منهما وكن له الخل الوفي يفضي اليك بأسرار أعماله ومشاريعه
وبما يحسه في نفسه من مختلف العوامل كالأمل واليأس والسكينة
والانزعاج

أما الرجل المتعلم فحدثه إذا كان سريع التأثر عصبي المزاج
عن العلوم وفائدتها وفضلها وصدق أثرها في رفع مستوى المجتمع
وعن الفنون وجمالها ومحامدها ، وتحريجاً بخاصة الأفاضة فيما يتبين
لك منها أنه أكثر ملاءمة لذوقه ومجاراتاً لميله . أبسط له وجهة
نظرك في استقصاء ما ينبغي استقصاؤه منها مشفوعة بأرائك
الخاصة وما تكون قد اهتمت اليه من الاستنباطات الجديدة

فيها ولا تدع وسيلة حتى تتخذها لتستفزه إلى طرق الموضوع
إما لينتقد أو ليحبذ، ولا تعترضه إذا تدفق في الملاحظة أو غالى
في التحمس، وتوق جهدك أن تذكر ما يرتاع له فؤاده من أنه يبني
القصور والعالى على أساس من الرمال أو أنه يمضى في تيار الخيال
ويتعلق بأهداب الباطل من الآمال، ولا تماره في آرائه بل اقدح
زناده ففكره لتأييدها وتحبيذها وإقامة الأدلة على صوابها وتركه
على الجملة يخال اختيالا في بيداء الوهم والخيال

وإذا كان محدثك من أصحاب الطمع الذين يتوقنون إلى
المعالى أو من ذوى الإرادة والعزيمة أو غير ذلك من الفضائل
النفسية فأذك في نفسه نار الطمع وبث في إرادته قوة ومثانة من
تحبيذك إياها وأفسح المجال لما يداخله من الآمال واذكر له تطور
الحياة العصرية وما يصحبه من الوسائل التى تسهل للعامل المجد
تحقيق أحلامه وأمانيه . وإياك أن تنسى موافاته بكلم التشجيع
تستفز بها جراته لاقتحام غمار المشاريع وارسم له الخطط الكفيلة
بالوصول إلى الغرض المقصود وما وراء النجاح والفوز من كرامة
ومنفخرة ومجد واستشر كامن همته حتى يستقر في خلده أن المجد
كله للظافر وأنه ان يقبض على صولجانه إلا ملوك الهمة والأرادة
الذين يأبون في حلبة السبق إلا أن يكونوا من المجلين ولا تدخر
وسعا لأطراء المشاريع التى يعتمزم تنفيذها ونحن إجلالا له وتمظيما

لقدرته ونبوغه ولا يكن عليك من ذلك غضاضة
إذا كان من خلائق محدثك أو معاشرتك الميل إلى الطرب
والسرور والتماس أسباب المرح واللهو فلا تقصدن إليه في رواية
الأخبار المحزنة والحوادث المسكرة ولا تذكر له شيئاً مما من
همومك أو من نكبات الدهر وبوائق الأيام تريد بذلك إيقاظ
عواطف الحنان والرحمة في قلبه على المنكوبين والبائسين ، لأنه في
هذه الحالة قلما يلتفت إليك وإذا التفت فأثماً ببصره لا ببصيرته ،
ويكون من النتائج المحققة لحديثك معه على ذلك المنوال أن
يشعر بالملل منك ويسعى جهده لمجانبتك ، دع أنك لا تكون قد
أصبت شيئاً من مرمائك الذي لا أجله انتحيت ذلك الأسلوب
من الحديث . وكذا إذا بدا لك على وجه مخاطبك أو من حركاته
وإشاراته ما يستشعر منه الهم وانزعاج البال أو إذا لمحت من
عينيه ما يدل على كدره وحزنه فمن سوء الفهم وجفاء الطبع أن
تتجه إليه محدثاً ببواعث فرحك وإتهاجك منبثاً بأخبار نجاحك
وفلاحك وإنما يحسن بك أن تشاركه فيما نابه من الحزن ودهاه
من حوادث الدهر وتواسيه ببيان مزايا الصبر على المسكروه .
قال بيشرل الكبير في كتابه (فن التفوق في الاجتماع) : « تحرّ
في وجه محدثك ما يكون كلامك قد أحدثه من الأثر في نفسه
واستطلع طلع العاطفة التي انفعل بها فؤاده وتابعه بنظرك

لا تغضّ عنه طرفك ، فأنتك إن تعمل بهذه النصيحة ترشدك
عينك الشاخصتان اليه المتابعتان له في حركته وسكونه إلى ما
يليق أن تبديه من القول فتجهر به وما لا يليق فتمسك عنه ،
فرب كلمة تبدر منك عن غير روية أو عن جهل بنفسية محدثك
أثناء قيام الحديث تزعج بك في مأزق لا خلاص منه »
أما إذا كان مرادك تحصين نفسك من نية السوء التي
يضمها لك خصم عنيد أو التملص من اقتراح يقترحه عليك
مقترح ماحف لجوج فعليك في التماس الخلاص منه بسياسة
تناقض تلك التي بسطناها لك على خط مستقيم . مفروض أنك
قد عرفت مزاجه وأنتك قد اهتديت بهذه المعرفة إلى حقيقة
أخلاقه وكنهه طباعه ، وبالتالي الأسلوب الذي اعتمد عليه في
مغالبتك والهجوم عليك . فإذا كان ذلك كذلك فكشف القناع
عن هذا الأسلوب وما يكون قد عززه به من التدابير والحيل ،
فإذا كلمك مداهناً مملقاً فضع أصابعك في أذنيك حذر ان تفعل
المداهنة فعلها في نفسك وكن رقيباً شديد الصرامة في مراقبتك
على لسانك ومهيماً قوى الهيمنة على أفكارك وخواطرك فلا
تبدرت من لسانك كلمة ولا من رأسك فكرة يتخذها
ذلك الخصم اللدود الذي يترصد بك العثرات والمزالق مسرباً
يتسرب بك فيه إلى حيث تتقدم اليه بالتعحي عن رأيك

والتنازل عن حقك ، بل لك أن تقابل مطالبه واقتراحاته
وحججه بالرفض الصريح والأخام المقنع . وإذا انطوت أقواله علي
وعد أو عهد فأنما يجب عليك أن تولى بكتفك عنهما . وكن علي
الجملة ثابت العزيمة في صرامتك معه بل كن أمتع عليه من
عقاب الجو

ولكن لا تنس مع هذا كله ماله عليك ، في غضون الحوار
القائم بينكما ، من حقوق المجاملة والظرف وجميل الرعاية . ومما
ينبغي في هذا الموضوع أن تنصرف اليه أثناء الحديث مصغياً
ومبدياً أمارات التسليم بما يسوقه من حجج وبراهين لتدعيمها .
وان في هذا الادب الواجب لمصلحة سوف تتجلى حسن عاقبتها
بتمهيد الفوز لك عليه في حلبة المناظرة ، لأنه يكون قد اتفق كل
ما في جمعبته من الحجج والبراهين واستنفد ما عنده من حماس
وهمة وضعف بذلك جانبه ، فتحمل عندئذ عليه الجملة الاخيرة التي
يكون النصر بها مكفولاً لك . واقتد في معالجتك إياه أثناء
المناظرة بمروض الفرس الشموس ، يرخي لها العنان ويخلي لها
الميدان تترج فيه عدواً تارة وخبيهاً تارة أخرى ، حتى إذا فنيت
قوتها واعتراها الكلال ولم تعد لها قدرة على التمداد في غلواء
جموحها ، عادت إليه ووقفت طائعة مختارة بين يديه . إنك إن
تعالجه كما تعالج المروض هذه الفرس لا تلبث أن تراه وقد

قصرت به الكلام عن تبليان مراده وخائته الأدلة والبراهين
يعززه بها . عندئذ ، وقد انثلم حده ووهت قوته وأصبح بعبارة
أخرى عزلا من السلاح ، تنبرى أنت له بتفنيد أدلته من غير
أن تبدو على عبارتك مسحة الحزازة أو التشفى . وتوخ في ذلك
براعة المنطق وحسن النسق في تودة وسكون واختم كلامك
معه برفض ما عرضه عليك من طلب أو اقتراح رفضاً مقروناً
بحسن الاعتذار وجمل الأسف لعجزك عن ارضائه بالموافقة
عليهما . ومتى طرق سمعه ما لم يكن يتوقعه من هذا الرفض ورأى
منك ما لم يخطر بباله من صلابتك وشدة عزيمتك فإنه ، وقد
استنزف كل ما عنده من حول وحيلة لا قناعك برأيه ، لا يلبث
أن يتخيل في أمره . فإذا عاد إلى الأحاح واللجاج ففي تردد
واستخذاء ، لا يلبث أن ينسحب معهما من ميدان الحديث
« بانتظام » بل وامتعاظ مقرون بعقيدة أنه حينما وثب عليك
وثبتته الشديدة ليقنعك برأيه كان وثوبه على من هو أشد منه
عارضة وأقوى حجة وأصعب مراساً

إن النجاح ، أو مع التساهل والتجاوز الشطر الأوفى منه ،
منوط بما يبيده طالبه من الخبرة والحدق في معالجة الناس
وممارستهم . فما لا بد منه أن تعرف المبادئ الأولية الكفيلة
بالوصول إلى مرادك . وخل عنك العلم انتام بأصوله الأساسية

الى ما تكون قد كسبته مع مضي الزمن من الخبرة والمران . وعلى
كل حال فالواجب عليك أن تجعل نصب عينيك على الدوام
ألا تتخذ العلم وسيلة لغير العمل النافع . وليس معنى ان يكون
لك السلطان والحكم على الغير ان تلمس الاستفادة من ضعفه
أو سلامة نيته أو أن تستعبده لمصلحتك أو كبريائك . فليس
فضل أن يعلو امرؤ على امرئ طبقة أو طبقات بفعله أو بماله
أن ينتحل لنفسه حقوقاً إذا تذرع بها نزلت بكرامته إلى
الخصيصة . واعلم أن لأهل التواضع والخشوع حقاً ثابتاً في
عونك إياهم كما أن للجهلاء حقاً آخر في الاستنارة بخبرتك
والاسترشاد بعلمك وأن من الواجب عليك أن تناصر الفريقين
وتكون لهم حصناً منيعاً يقيهم نكبات الدهر وبوائق الحداث



آداب وفضائل شتى

نبحث الآن في طائفة من الآداب والفضائل التي وان
تكن بالنسبة لما ذكرناه في هذا الكتاب كالفرع من الأصل
ليست بأقل منها أهمية ولا قدرا من حيث تأثيرها في نفس مريد
العمل بها

يجب على كل راغب في انتهاج الخطة التي رسمها أن يعمل
لأحراز ثقة الناس ومودتهم، وهو مالا يتيسر له الا إذا تأدب
معهم فهش في وجوههم وأحسن اليهم وراعى حقوقهم. فإن كانوا
دونه في المكانة أو في السن فقد حق عليه أن يجعل المجاملة
والمعروف إماما له في معاملتهم أو تكلموا فليصغ اليهم بلا جزع
ولا ملل أو منلوا في حضرته فليتلقهم باللطف والاكرام. قال
يشرل في كتابه (فن التفوق في الاجتماع) ما يأتي: «ترفع البشاشة
من مقام صاحبها في أعين الناس وترجى إلى أذهانهم عنه خير

الأفكار وأصلح الظنون . ومن مزاياها بث الثقة في نفوس من يعاملون بها من ذوى الدرجات الواطية . وهي والأدب شيئان مختلفان ، لذا ينبغي لفت الأنظار إلى التمييز بينهما . فأن الأدب فرض يتحتم عليك أداؤه لكل من تجمعك به رابطة عمل ، أما البشاشة ففرض أيضا واجب لمن هم دونك . والمتأدب هو من يحرص على حق الغير ويتعهده بالأدب والاحترام ، أما البشوش فهو الذى يعامل الناس بالعطف وحسن الرعاية »

إذا صافاك الدهر فوضع في يدك صولجان السلطة وأجرى في الناس حكمك فلا تقم الدليل على عظمتك ورفعة مكانتك بالكبرياء والبطش بل احكم بينهم بالعدل ونزه نفسك عن الشدة والغلظة تعاملهم بها . ومن الخطأ اعتقادك أن فضلك على مرؤوسك لا تتوثق عقده إلا إذا عاملته بالشدة وتحكمت فيه تحكم المستبد الغشوم . وقد نهض الدليل في جميع ظروف الحياة وأحوالها على أنه حيث لا مناص من معاملة الناس بيد من الحديد ينبغي سترها بقفاز من الحرير لأن الضغط بها وهي كذلك يكون أخف إيلا ما والطف وقعا مع احتفاظها بشدتها وصلابتها ، فلا تلبث أن ترى الذين تعاملهم على هذا الوجه منقادين لك مذعنين لا رادتك من غير غضاضة ولا حرج صدر ولقد صور الفيلسوف رينان الاعتدال في أقوم مثال حيث

قال : « الانسان مخلوق من الخشب الذى تصنع منه القسي فكما زدته تقويساً ازداد اعتدالا » فعلى الذين وضعت بأيديهم أزمة الحكم أن يفكروا فى هذه الحكمة البالغة ويجعلوها نصب أعينهم وليس لأحدهم حق ما فى اتخاذ مراكزهم وسيلة للمبالغة فى تقويس القوس البشرية التى عهدت إلى كفالتهم وجعلت أمانة عندهم واعلم أن للمحادثة أثراً بالغاً فى العلاقات التى تربط الناس بعضهم ببعض : لذا كان من الواجب تعلم فنون الكلام وأخذ اللسان بأجادة الحديث . والحديث فن يستدعي فضلاً عن سعة العقل والدراية سلامة الذوق والالمام بالأحوال النفسية للإنسان فإذا عن لك أن تخالف قول محدثك وأن تنقضه فراع فى ذلك السكون والأدب الجم . ولا يكن تكذيبك لقوله أو نقضك إياه على طريق المجابهة بل استهل التكذيب والنقض بمثل قولك : « كنت أعتقد كذا . . المفروض عندى هو . . لقد قلت صواباً إلا أننى رأيت البعض يذهب إلى كذا . . . » الخ التعابير التى تنم عن تمام الأدب وحسن الخلق ، مع عدم تأثيرها فى جوهر الغرض الذى ترمى إليه من التكذيب . والأفضل إذا لم يكن الموضوع المراد تكذيبه أو مناقضته على مكان من الأهمية والخطر جديراً بمثل هذه العناية التسليم به من غير جدل والأمسك عن معارضته خصوصاً إذا كان المحدث رئيساً لك أو أكبر منك

سنا أو سيدة على وجه الإطلاق . قال ريفارول : « الصواب
بتألف من الحقائق التي ينبغي أن تقال والحقائق التي يحسن
السكوت عليها » ويتمم هذه الحكمة قول لابرويير : « من الناس
من لا يجوز الكلام فيهم ولو صوابا وحقا »

الكي تقف متكما في حشد حشيد من الناس ينبغي أن
تكون ذلق اللسان فصيح العبارة وأن تكون قبل اندفاعك إلى
هذا الموقف على بينة مما ستلقيه على الأسماع من القول . أما في
الحديث مع الأفراد فالأفضل تسليم القياد إلى وحي الخاطر
والبعد ما أمكن عن التصنع والتعمل . وحذار أن تكلف نفسك
إيراد الأدلة على صحة ما تقول وتدعيم نظرياتك بالحجة ما لم
يضطرك إلى ذلك ، معارض لأن في تأييدك النظرية بأقامة الدليل
عليها تشكيكا للسامع في صحتها وإضعافا من جانبك وضعف من
ركنك وجانب في عرض نظرياتك الأسهاب بالجل الطويلة الممل
سماعها والعبارات المهمة التي يبعد على الأفهام تناولها
والاصطلاحات الفنية التي ينبو السمع عنها لخروجها عن مألوفه
وإياك والمفاخرة بآرائك أو بمخاصة تحقيرك آراء غيرك ،
وجانب ما استطعت كل قول تبدو عليه مسحة الحكم الجازم
والرأي القاطع في مسألة لم تكن بها ضليعا واعلم أن أصحاب
المجون والمطايبة مملولون مردولون إذا أمعنوا في مجونهم واسرفوا

من مطايتهم، ذلك لأن أشد الناس ميلا إلى معاشرتهم وإمتاع
النفس بظرفهم أقرب إلى الضجر منهم والبعد عنهم
ولا تخر بالحديث أن تبته محدثك بما تظن أنه اللفظ
الشريف الجوهر الحسن الديباجة اللطيف المعنى، وما هو في
الحقيقة إلا التعمل المنافي لفنون البيان وأصول البلاغة. بل حدثه
بما يتناوله فهمه ويسيفه إدراكه من غير كد ولا تكلف عناء
في التفهم، مراعيًا في ذلك سنه ومركزه وحصته من الثقافة في
العلم والأدب. قال اللورد (شستر فلد) لابنه: «لا تتكلف في
حديثك المظهر الذي تحرى به أن تنحل نفسك ما ليس فيها
من العقل والعلم. واتخذ من علمك ما تتخذه من ساعة المواقيت
تضعها في جيب خاص من جيوب بذلتك، لا تخرجها منه أو لا
تدعها تدق الساعات لمحض الرغبة في إعلام الناس بأن لك ساعة
تحملها في جيبك»

ونحا الميسو أميل ديشانل (السياسي الفرنسي) هذا المنحى
في قوله: «لا ينبغي للمتكلم أن يسمو بحديثه إلى ما فوق مرتبة
السامع ولا أن يهبط به دونها، لأن في إرسال الكلام الجزل
اللفظ اللطيف المعنى إلى من لا يفهمه لغبائه أو جهله خروجا عن
مقتضى الحديث وزينا عن جادة الذوق السليم والأخذ بالأنسب.
وما الذوق السليم والأخذ بالأنسب إلا المرونة في التفهيم فيسمو

صاحبهما إلى الطبقات العليا ويخلق فيها عند الحاجة ويهبط إلى
الدرك الأسفل عند الحاجة أيضا . وما العنل في الحقيقة إلا
مسئلة نسبة وتناسب وقياس ، وما العقل الخارج عن هذه الحدود
بعقل أبداً . وإنه لمن سعة العقل أن يلبس صاحبه لكل حال
لبوسها ، فلا يظهر على الدوام بين القوم بأنه من ذوى الحجي « اه
تلخيصا من كتابه المعنون (روح المحادثة)

ولياك والافراط في المطاوعة في القول والتغالى فيها إلى حد
التحمس لها ولا تلاحق سامعك بالقول المتدارك ، بل دعه ايرج
أذنيه من ملل الأنصت لقول واحد وصوت بعينه ، بل وليتنفس
أيضا كي ينشط من جديد لوعي البقية الباقية منه . قالت السيدة
(صوفيا أرنو) الخبيرة بأداب المحادثة : «أرباب العقول كالأزاهير
في طاقة الورود في الواحدة منها كفاية للمستروح دون الصاقة التي
تضم اليها الكثير منها ، فأن استرواحها مجلبة للصداع »

وإنه لسوأة لك لا تغتفر أن تواجه سامعك بقول عن
شخص أو شيء يجهلها أو أف تذكر أحدا على الإطلاق
بما يدخل في دائرة الغيبة والنميمة اللتين لا يتنكس في حضيتهم
سوى الأشرار والنوكى الذين لا يشق عليهم أن تلوث سيرتهم
بلوث تلك النقيصة المذمومة . وقين بك أن تدع هذا السلاح
المفلول لذوى العقول الآفنة والمدارك الضيقة

وإذا كان حسن الحديث فناً جليلاً يعمل النباه لتحصيله والتجلى بحلله، فحسن الاستماع فن لا يقل عنه جلالاً بل هو مما يسمى المتدبرون لأجاده وإحسانه . ولو أنك سألت من اعتمد الاستماع وآثره على الحديث أيهما أفضل عندك . . أصمتك أم موأثبتك الناس بالكلام؟ لما تردد عن الجهر بفضل الصمت مقترنا بالأصانة إلى القول وحسن الاستماع لقائله . فقمين بك إذا كلمك أحد أن تصغي إلى قوله ولا تشغل طرفك عنه بنظر إلى غيره، بل ومحسن بك في خلال حديثه معك أن تبدى شيئاً من إشارات الموافقة وعلامات الاستحسان أو ماجرى مجراها من ضروب الأيماء الدال على فهمك ما تسمع وعلى أن موضوعه لما يؤبه له ويهمك الاطلاع عليه . وأنت إذا أخذت بهذا الأدب والتمست هذا المذهب تشرح صدر المتكلم وترضى نفسه فيلين لك ويعطف عليك فتصيب من حاجتك عنده

أما إذا أصخت إليه لاهياً ساهياً منصرف النظر عنه غير مكترث بما يحويه قوله من المعنى الأنيق في اللفظ الرشيق ولا ما تفيض به قريحته من الآراء السديدة والأفكار المبتكرة التي ليس فيها إلا ما يدل على فضل في الرأي وبسطة في العلم، ولم تقدر كل هذه المواهب قدرها كأنما هو يتحدث إلى حيوان أعجم أو حجر أصم، فأنت ولا شك متهم نفسك بخفة الحلم وسخف

العقل ومقرر لنفسك في قلوب الناس الكراهية والمقت وهابط
بها في نظرم إلى أخط من مكانتك التي انت جدير بها . ولن
يعرضها إلى هذا النقص إلا قدم جاهل ، فقد قال (شو بنهور)
الحكيم الألماني : « الأدب حذق وقلة الأدب حمق وما مثل
من يخلق لنفسه الاعداء إلا كمثل من يضرم النار في بيته »

وفي حسن الاستماع ما يدعو إلى جودة الحفظ والاستفادة
بكل ما يعلق بالذهن مما يسمع ، لأن المحادثة على إطلاقها حتى ما
كان منها مع العامل الحقير بل والطفل الصغير لا تخلو من ثمرة
تجتنى وفائدة يستفيد العقل بها سعة . وإن من عقول الناس العقل
الدائب على الاستطلاع والاستفادة بالجديد ، فهو كالنحل تتنقل
بين الأزاهير تجتنى من هذه تارة ومن تلك أخرى ما يتكون
منه الشهد الشهي . وكما ان النحلة تخط على كل زهرة إذ لا زهرة
عندها عقيم من الفائدة او خلو مما تصنع منه شهدها ، كذلك
العقل الكشاف لا سرار الحقائق لا يستخف بشيء ولا يستهتر
حتى بالكلمة المفردة أو القاعدة العلمية البسيطة او البحث
الصغير في حالة من احوال النفس ، فاذ لا يدع شيئاً من كل هذه
الشوارد إلا ويبادر بتقييمه أو ابده للبحث فيه واستظهار الحقيقة
من غرضه . ولا عليك إذا قضيت ضاعة في حديث بستانى من
أهل الريف فأنتك واجد في كلامه من درر الفوائد وغرر النصائح

ما لا يقوّم بمال وما ربما ينذر ان تعثر عليه في كتاب إذا أعوزك
البحث إلى التماس مظانه فيها ومقتنع في النهاية بأن العلم المكتسب
بين اربعة جدران الغرف او في سكّون الزوايا والأركان يكون
مبتوراً دائماً وعلى غير تمام ما لم تعززه وتوسع نطاقه بما لا بد ان
تعكف على التماسه مدى الحياة كلها من الحكم الضالة واقتناصه
من الفوائد الشاردة . وليس ذا على احد بالأمر انفسير إذا شاء
او تكلف له بعض الجهد في علاقاته الكثيرة بالأفراد والجماعات
وفيما يحسه من الميل إلى استطلاع احوالهم واستمكناه حقائق
اعمالهم وما يحول بخواطرهم من انفعالات النفس بالأمل واليأس
ومن تمام حسن الخلق والأدب صيانة الوعد وحفظ العهد
فإذا قبلت على وعد ففكر فيه ملياً قبل ان تنبس به شفتاك ، فإذا
وعدت فلا تخلف وعدك لأنك ملزم بالوفاء به . وتحرز من ان
تقصّد بالكلام خدع سامعه وإدخال الغش عليه . والواجب على
المرء أن يجانب خلف الوعد وأن يعتبر العهد حكماً غير منقوض ،
وأنه لا فرق بينه وبين الوثيقة يكتبها ويوقع عليها بيده . وليعلم أن
من السفه وسوء الرأي بل ومن حطة النفس أن يخيس بعهد
فينبه في نفس من عاهده شعوراً بالخيبة والاستخذاء لا يلبث
أن ينقلب إلى كراهية ومقت له . وكثيراً ما يتحول هذا المقت
إذا تطاول عهده إلى افتتان بالانتقام والتشفى ممن اخلف الوعد

وخاس بالعهد، بل والتصدى له بتعطيل عمله وعرقلة سعيه وذلك
بأن يبت هذا في كل مكان من سوء سيرته معه ما يدعو السامعين
إلى تسفيهه والغضب عليه والازدراء به . فخلف الوعد كما ترى
يثير كوامن العداوة والحقد ويقيم العقبات في طريق النجاح
واحرص على رعاية المواعيد فليس ادعى إلى الغضب منك
والحقد عليك من قلة رعايتهم لما تستدعيه من ضجر الانتظار
وملله . وليس الحرص على رعاية المواعيد من خلال الملوك فقط
يسمون به على رعاياهم بل ينبغي ان يكون حليته كل فرد منهم
وزينة لمن يحترمون أنفسهم ويشتهون ان يحترموا غيرهم . وقدما
قيل ان شهادة تعطى لمستحقها من عملائه واصدقائه ناطقة بدقته
في الحرص على المواعيد خير من شهادة تجيز بها الجامعة نابغة من
نوابغها . وبدهى ان من يحرص على ميعاده ينظر الناس اليه بعين
التجلة والاحترام ويتبينوا فيه امارات رجل الجد والعمل لارجل
الهزل والكسل ويجمعوا الرأى على نظمه في سلك المجيدين
لأدارة اعمالهم المحافظين على شرف وعودهم الجديرين ، في جلائل
الأعمال ، بالاعتماد عليهم والثقة بهم العارفين بحقيقة الغرض الذى
يرمون اليه فيقرطسون فيه سهام جدهم في الساعة الموافقة
لأصابته . وامثال ذلك الرجل جديرون بثقة الناس ، وهو لو
التساهل منهم لما وجد فيهم من يساومه عليها او يما كسه فيها . وذلك

لأنك إذا لم تأخذ نفسك بالدقة في مواعيدك كأن تخبر بعودتك إلى دارك في ساعة ثم تغشاها في غيرها أو كأن تتعهد بتسليم بضاعة أو سداد دين في يوم معين ثم لا تفي بعهديك فيه أو كأن تختلف إلى مكان عملك في غير الوقت الذي قررته لنفسك ، حكم الناس باختلال نظامك واعتلال عملك ورموك بالعجز عن إدارة شؤونك والوفاء بوعودك وعهودك وجردوا حكمهم هذا من كل أثر للشفقة بك والعطف عليك ومنعوا نفوسهم من أن تسخو لك بخير ابداً ، بل انهم ينقمون عليك ويسخطون منك ويكون من عاقبة امرهم معك ان يحقروا من شأنك على الوجه الذي تزول معه هيبتك وتدول دولة عملك . وإذا هم رأفوا بك ولم يذهبوا معك هذا المذهب فلا اقل من ان يروا في عدم الوفاء بما قطعته من الوعود والعهود مضيعة لوقتهم وإنفاقاً في الباطل لساعاتهم فلا يجراً احدهم فيما بعد على معاملتك ، إذ من الطبيعي ان يستغنوا عنها حتى لا تسكلفهم مرة اخرى ما كلفت من انتظار ممل على غير جدوى ، وهو ما يؤدي حتماً إلى النتيجة السابقة بذاتها

الصفات الجثمانية

ينبغي للطامح إلى شرائف الرتب الطامع في تحقيق الأمان
ونيل المقاصد ان يكون على صحة جيدة وبنية سليمة من العاهات
والآفات . وهو شرط اساسي للفوز في معترك الحياة وعامل من
اقوى عوامل الظفر بالمراد . ولا جرم فأنت بالرئتين اللتين
لا تفسدهما حوادث الجو وبالدم النقي من مختلف الشوائب
وبالعضلات الوثيقة يتوافر الجهد الذي يتغلب صاحبه به على
المصاعب ويقهر العقبات ويسلك من بينها سبيلا إلى اسنى المقاصد
وابعد الغايات . اما إذا كان طالب الظفر بمبتغاه في هذه الحياة
هزيبا سقيما فلن يأنس في نفسه مثل النشاط الذي يألفه القوى
الأساطين كلما هم بعمل وتصدى لانجازه ، بل لن يحس فيها
الرشاقة والخفة اللتين تستفزان المرء عادة إلى التمشي بأعماله
ومشاريعه نحو غايات النجاح المرموقة من العاملين المجدين .
فعليك إذا بالعناية بصحتك وتقوية بدنك وتوثيق اعضائك وهو
مالا يكون إلا بالتصوّن عن الملاهى التافهة والملاذ المشكوك في

مغبتها وحسن أثرها والتي إذا انكبت عليها لا تجد فيها الرياضة
لنفسك ولا الراحة لبدنك بل لا ينالك منها سوى القلق والعناء .
فالأجدى لك إذاً أن تتحرى السكون في معيشتك وأن تبنيها على
نظام مستقر وتجعل لها برنامجاً ثابتاً لا تحيد قيد شعرة عنه
وتأخذ لنفسك بحكم الاعتياد سحنة تطبعك بطابع خاص
وهيئة تميزك عن غيرك واعلم أن جمال الوجه وحسن التقاطيع
وتناسب الأعضاء مما لا دخل له في هذا الأمر . فقد يكون المرء
ديم الخلقه ويكون مع هذا ، بالسحنة التي اتسم بها ، على جانب من
الحسن الجدير بالأعجاب ولفت النظر بل ذا منظر خلاب للب
وهيئة أخاذة بالعقل . والعين مرآة الفكر والجهة صفحته ووضع
الرأس بين الكتفين مخبره . فليكن فكرك شريفاً كريماً تكن
هيئتك موسومة بسمات الشرف والعزة والمجد ، فلا تلبث أن تؤثر
التأثير الحسن في نفوس الناظرين وتستهوى اليك من افئدتهم ما
لا تستهوى هيئة الرجل البارع الجمال ولكنه عديم التفكير ،
ينهض الدليل على عدم تفكيره قرب شبهه بالأنث دون الرجال
واهتمام المرء بأن ينحل نفسه ذاتية جثمانية ممتازة يستجمع
فيها ما لم يكن عاماً على الناس من الصفات التي تكون منها
الشخصية البارزة التي تخرجه من طبقة الكافة وتزج به في طبقة
الخاصة أمر لا يغيب على النبيه الفطن ، فإنه بوفور الهيئة الجثمانية

على الوجه المتقدم يحصل التفات الناس إليها واتجاه انظارهم نحوها،
وبحصول هذا الالتفات تنصرف الرغبات الى التعرف بصاحبها.
وفي هذا الدليل الناهض على أنه لم يعد عداد الخاملين الذين تراهم
في الطريق بالمناكب من غير أن يخطر ببالك التفرد في وجوههم
والتعجب في هيئاتهم، وعلى أن اسمه أصبح معرفة بعد أن كان
نكرة وأن بروزه في الناس سرعان ما يؤثر في نفوسهم ويلقي في
الخير والاضطراب افتداتهم فيكفي اللفظ الواحد يلقيه من فيه
لكي يقرب منه البعيد ويكسر من حدة تلك الكبرياء التي يقابل
المعروفون بها المجهولين والخاملين

نشر الكاتب الاجتماعي بول آدم في جريدة « الجورنال »
الباريسية مقالا تحت عنوان (الاحية والفكرة) كشف النقاب
فيه عن تأثير المظهر الخارجى للمرء في فكرة المتأمل فيه فقال :
ليس مما ينافى المقام او يخالف مقتضى الحال ان نتحدث بتكوين
المرء لنفسه ذاتية جثمانية خاصة

فأنه لامراء في ان هذه الذاتية تؤثر بحسب اختلافها شكلا
وموضوعا في المرضى ومشتري البضائع والعساكر والناخبين
الخب . ولك ان تمن النظر في الصور الشمسية لبعض الخطباء
السياسيين فكليمنسو بشاريه الدالين على رسوخ القدم في الزعامة
وشعره القصير الذى يغنيه عند الوثبة على الخصوم عن تضييع

الوقت في تديره اذا لاح لك بهيئته المعروفة عنه ترك في نفسك بمنظره اترأى يملك على اعتقاد انه رجل هجوم واعتداء وصراحة ورشاقة ونشاط . وجوريس بوجهه الكبير الذي تكتنفه من بعض نواحيه حية كثرة يلقى منظره في روعك احترام العلم الذي يكشف لك عن غطائه والمذهب الذي لا يلبث ان يدعو اليه ويشوب له . انه اذا تكلم تبادر في الحال الى ذهنك انه رسول حضارة البحر الابيض المتوسط والحكيم الذي يزجي الى ذهنك ، في زي القصص وتحت ستار الحكايات والنوادر ، حل عويصات المسائل الحكمية ، ولا يتقاعس عن إفهامك مع علوم الاخلاق والحساب والهيئة فنون السياسة وضروبها . اما المهرطقة فعمله الذي تخصص له وضحي من اجله حياته وادى به كما تعلم الى تأسيس مذهب الاشتراكية ووضع انظمتها وتوثيق قواعدها . وهو الذي حول فكرة التعاون الى شعور عام مجيد واقام الضمير مقام العقل . ومن مقارنة الرجلين احدهما بالآخر في اعمالهما وميولهما وشخصيتهما تستخلص الحقيقة الاكسية وهي أن كليمنسو يمثل لناظره مذهب الحقيقة وجوريس مذهب الخيال وان احدهما يواجه الحقيقة المجردة من شوائب الفساد والآخر بطير في اجواء الخيال وان الاول يرى المرائي في الاحلام والثاني يقيسها ويسبرها بمسبار الحقائق لا الاوهام . انتهى كلام بول

آدم في كتابه (الاحية والفكرة) الذي سبقت الاشارة اليه .
ومنه يستخلص ان الصفات الجثمانية لكل من كليمنسو وجوريس
قد ارشدت ذلك الكاتب الباحث في احوالهما الى طبيعة الفضائل
التي يفضل كلاهما بها الآخر وامتاز بقيمتها وقدرها عليه وان
منظر سجنته قد وفقه لاستكشاف العوامل المتسلطة عليهما
والمدبرة لتصرفاتهما

وقد بحث پول آدم بعد ذلك في إصلاح هيئات الوجوه بما
يستدرج اليها نظرات الاستحسان ، فوصى أصحاب الرؤوس
الضخمة باللحى القصيرة التي تحول بقصرها دون تجسيم الوجه ،
وصاحب الرأس النحيف الطويل بأزالة شعر اللحية حتى يبدو
رأسه أقرب إلى الاستطالة فلا تنبؤ عنه الأنظار ، وصاحب الوجه
الضئيل النحيل بأطلاق اللحية لتستر هذا العيب وتبرز الوجه
ممتلئاً مستديراً ، وصاحب الصلعة بأنماء الشعر على حفاف صلعته
يطرحه فيما بعد عليها ويسترها به . وإذا كان مع صلعته طويل
القامة رشيق القوام فنمو شعره لا يسىء إلى رشاقته وخفة
حركاته . أما القصير القامة في بدانة جسم وضخمه فحق عليه أن
يصرف نظره عن إطالة شعره لما يستتبعه نموه من زيادة حجم
الرأس بما لا يتناسب مع حجم الصدر ومن اختلال التوازن النسبي
بين ذلك كله وبقية الجسم

وقال بول آدم في موضع آخر من كتابه ما يأتي : « إنه لمن أهم الأمور واتسدها خطورة الا يسدر المرء إذا شاء ان يصلح من ذاتيته الجثمانية في غلواء الجديد المستحدث ، ولا ان يلقي بنفسه في تيار التقليد عن عماية وتبذل . وإنما الواجب عليه قبل كل شيء النظر في احوال شخصه من الوجهتين الجثمانية والروحانية ويطيل التأمل فيما تصلحه ويذهب بعيوبه ونقائصه . فإذا كان نحيف القوام فليكن في حركته رشيقاً وفي إشاراته واوضاعه لبقاً لطيفاً ، وإذا كان ضخماً غليظاً فليفرض على نفسه حسن السمات والوقار في حركته وسكونه ، وإطلاق اللحية أليق به ووافق لحسن هيئته . أما الذي بدا من هزاله كأنه الهيكل العظمى في جلد إنسان فليتجر النشاط والخفة والرشاقة في حركاته ولتكن بذلته على الطراز المعروف بالردنجوت او ما يضاهيه مما يرجى معه إبراز اللابس في مظهر الرجل البدين ، كما يحسن به ان يطلق لحيته من ناحية الذقن على ان لا تكون في انبساطها كذب الحمامة ، فإنه يمثل هذا الزي يكسب نفسه من الصفات ما ضنت به الطبيعة عليه . ونحول الجسم في المرء دليل على نزعة للجدل والمناقشة والكفاح كما هو النذير ايضاً بالتدله في الحب ، وضغنه من امارات وفور العقل والميل إلى الشهوات والجنوح إلى الانتظام في سلك رجال الدين . أما النحيل الجسم الذي وصفناه بالهيكل

العظمى متدشراً بجسد إنسان فنجوله من العلامات المؤكدة
لصيورته يوماً ما من كبار الزعماء وقادة الرأي العام ومدبري
الثورات

إذا نظرت فليكن نظرك صادقاً مستقيماً لا كلفة فيه ، وإذا
أمعنته فوطن نفسك عليه بحيث لا تستشف منه معاني التبجح
والاستفزاز ، بل آيات الاهتمام والعطف ، وإذا نظر غيرك اليك
نظراً شزداً قاسياً فلا تتأثرن به أبداً بل قاومه ما استطعت
بالاطمئنان من غير استنزاء ولا قحة . ولتكن اهداب عينيك
ثابتة في مكانها جهد الامكان فليس ادعي الى سلب العين تأثيرها
الصادق وقوتها الساحرة من دوام انطباقها على بعضها وتماق
حركاتها ، وجدد بك اذا شئت أن تعهد من ذلك في نفسك
خصلة غير زائلة أن تقف امام المرأة وأن تشخص في صورتك
المتراثة لك مطيلاً التأمل فيما بين عينيها ، أى عند اصل الانف ،
بضع دقائق في اليوم الاول ثم اكثر من عشر دقائق قليلاً في الايام
التالية وتذهب في التدرج الى أن تبلغ به الى خمس عشرة دقيقة
مديماً في اثناها امعان النظر في تلك البقعة من صورة وجهك
بدون أن تحرك اهدابك فانك لا بد بالغ مشتهاك من جعل عينيك
صادقة النظرات مؤثرة في نفس المنظور بثباتها المستقر وكفيلة
بتحقيق ظفرك في جل الفرص التي تسنح لك ، اذا لم يكن

في كلها

واتخذ من نفسك رقيباً مهيمناً على كل حركة أو إشارة تبدر منك فان الحركة والاشارة متممتان للفظ ومعزتان للفكرة على شرط الاحتياط وحسن التصرف في استعمالهما ، فليس من مكارم الاخلاق اذا حدثت ان تهز جسمك كأنك تزن بهزاته ما تفوه به من الكلم ولا تحرك ذراعيك كما يحركهما الرجل الذي تبتلعه لجة البحر فان لم تبتعد عن هذه العادة القبيحة اصبحت اضحوة الناظرين ومضغة في افواه المنتقدين

ومن الحركات التي ائت جدير بتركها الحركة الفجائية أو المتقطعة او التي ترمى بها الى تقليد اوائك الذين اعتادوا حركة خاصة يبدونها في كل المناسبات على تناقضها ، فانه لاشيء اقبح من الحركة الواحدة للتعبير بها عن المقاصد المتباينة ولا اوشك منها استمزازاً للاحتقار والاستزراء . فلتكن كل حركاتك مضبوطة الوزن كبيوت القصيد ومتفقة تمام الاتفاق مع ما تريد التعبير به عن شعور النفس وما يداخلها من المؤثرات والعوامل

قال الكاتب الاجتماعي (دارد) : « تسهل الحركات وتبدو كأنها طبيعية متى كان الجسم منحنيًا بعض الانحاء ، وهي اذا لم تتناول أكثر من نصف الجسم توافرت فيها صفات الشرف والرشاقة والركة ولهذا كان وجوباً ان تكون رائد العواطف التي يراد التعبير

عنها . ومن تمام حسن الادب التحرز من تحريك اليدين دون
الذراعين لأن الحركة التي لا غبار عليها هي ماتناولات الذراع دون
اليدين . واقتصد ما امكن من الحركة اذ في الاقلال منها ما يجعلها
مجردة من اثر التصنع والكلفة ، ويزيد تأثيرها قوة ونفوذاً . اما
الحركات الصغيرة الكثيرة ففيها ما يخالف الذوق ويتناقض مع
آداب الاجتماع بخلاف الحركات الكبيرة البسيطة فانها باتساع
مداها خير ما يعبر به صاحبها عن دخيلة نفسه ويكشف به الغطاء
عن حقيقة امره . وتحفظ من ارخاء الذراع الى اسفل ، إلا ما ندر
على شريطة ان يكون ببطء وبدون تقطع . وخير لك ان تفتح
ذراعيك عند الجانبين من ان تمدهما امامك . وتغيير اوضاع الرأس
يحتاج الى شيء من العناية وحسن الالتفات ، فانه لكي اتغير وضع
راسك وتحوله من اتجاه الى اتجاه آخر ينبغي ان تبدأ بذلك في
قدميك او في جسمك بمعنى ان لا يدور الرأس في مفرزه بين
الكتفين كما تدور الكرة حول محورها دون ما يحملها من الاجسام .
والاصابع اذا باعدت بينها دل ذلك على شعور الدهش او الاعجاب
او الفجأة ، والذي يحسن وانت متأثر بهذه العوامل ان يرتفع
صدرك ويتسع ما بين جنبيه كي ينفس المجال لاحتواء الافكار التي
ادت اليها ، مثل ذلك الشعور «

ومن المسائل التي لها شأنها في أدب الاجتماع الثياب .

فأن ذوى المدارك السطحية والأحلام الطائشة، وهم الأكثرون لا يحكمون على الناس إلا بحسب ما يبدو لهم من مظاهرهم. ينظرون بعين التجلة والاكبار إلى الجاهل الحسن البزة الجميل هندام اللباس ويفتحون له أبوابهم على مصاريعها، بخلافهم مع العالم الذى يهمل شأن ثيابه ولا يحسن حملها على جسده. والحقيقة التى لا مرء فيها أن إهمال المرء الأصلاح من لباسه والعناية بهندامه لمن العيوب التى لا تغتفر كأهماله العمل الذى يمارسه سواء، وما الأهمال فى العمل إلا النتيجة الطبيعية للأهمال فى اللباس والغفلة عن البروز للناس فى البزة التى لا تتأذى بها انظارهم ولا تخرج اذواقهم. واعلم ان نظافة الثياب وجمال الهندام لا يتوقفان على الغنى إذ كل ما يحتاجه البروز للناس فى البزة الحسنة ألا تكون الثياب من طراز طال عليه العهد أو أصبح برثائه أو اتساخه بالبقع الدهنية أو غيرها غير صالح للاستعمال، فأن تجرد ثيابك من هذه الآفات والأعراض يحول نحوك محبة الناس ويصرف اليك ميولهم. وعليك بسياسة ثيابك وحسن تعهدها فإذا كانت من المجاسد أو ما يليها من الدثار فلا ينبغي ان تقع العين منها إلا على بياض ناصع أو لون غيره لا تشوبه شائبة من القذر أو الرقع أو آثار البلى. وتحرز ما استطعت من وضع القلائس المتعبة لطول عهد استعمالها فوق الرأس وتطويق الرقية

بالأربطة الممزقة ولبس الأحذية التي برزت من ثقبها اصابع
القدمين . واعن العناية كلها بأسنانك وفمك ويديك ولا ترسل
الشعر إلى الكتفين ولا تهمل اللحية فتصير شعثة قبيحة المنظر .
وعلى الجملة يحسن بك ان تتحرى ، بقدر ما يتسع له الأمكان وتسمح
به الوسائل ، جمال الهندام ونظام الزي بلا تعمل ولا مخالفة للذوق
السليم ولا مناقضة لواجب الادب اللائق . وحاذر ان تسبق إلى
ابتكار الأزياء واستحداثها كأن تضع لرباط رقبتك وضعا جديداً
لم يألّفه الناس او تفصل صدريتك على طراز لم يكن لهم به عهد
سابق ، بل دع هذا الأمر لمن فسدت طباعهم وسفلت اخلاقهم
بالكسل والفراغ من العمل وجرّوا على انفسهم الازدراء والمقت .
وصفوة القول في هذا الموضوع هو انه يتحتم على الانسان ان
يتحرى حسن الزي في لباسه من غير ما تصنع ولا كلفة وألا
يدع من يخالطهم من الناس يتسرب اليهم الاعتقاد ، بعد تأملهم
في برّته ، بأنه ممن يحبون المما كسة اذا احتاجوا الى اقتناء جورب
او بنيقة . فانه اذا ترك هذا الوهم يستمكن من نفوسهم انزعوا
منه ثقتهم وما كان لهم الا ان يسلكوا هذا المسلك بعد اذ وقع في
وهمهم انه غير كفء لكسب دريهمات يشتري بها لنفسه اشياء
صغيرة لا غني عنها له في الاصلاح من شأنه
واذا حيت احداً فجيه بعلامات الود الذي لا خب فيه ،

ولتكن مصاحبتك اياه في مظهر من الحماس والاقبال يدل على شدة
الألفة ووثوق عرى المودة . ولا تتوان ، اذا التقيت بصديق او
عميل او لقيك احدهما ، في اظهار البشر والأنس به والاعراب له
عما تستشعره من الهناء والاغتباط ببلقائه . وبادر من فورك بالسؤال
عن صحته وصحة اهله اذا سبقت لك بهم معرفة بواسطته ، ثم
حدثه برفق وتؤدة عن اشغاله ومشاريعه بدون أن تتناول بحديثك
ما ينبغي له ان يطويه في طي الكتمان . واجتهد على الجملة في ان
تترك محادثتك في نفسه اثرا يدل على الارتياح والرضى ويحمله على
تمنى لقائك في كل آونة . ولا تستهر بهذا الادب النافع فانه يدل
على ما في نفسك من قوة جذب الغير الى ناحيتك واخضاعه
لنفوذك وسلاطنتك

ويحسن بنا في ختام هذا الفصل ان نورد نقلا عن كتاب
طبع منذ سنوات في مدينة (بوسطن) بالولايات المتحدة بعنوان
(الاندفاع الى الصف الاول او النجاح في وسط المصاعب) بعض
المبادئ الحكمية التي تضمنها من انشاء مؤلفه المستر (اوريزون
سويت ماردن) قال :

١ — لا تنتظر حتى تلوح لك الفرصة المناسبة تجيء اليك
طائفة مختارة بل اتجه نحوها اذا لاحت ، واسترها من مكانها اذا لم
تلق بعد

٢ - علموا الشباب مع حروف الابدادية ومبادئ العلوم
ثبات العزيمة ، فانكم ان فعلتم بهم ذلك لا يدري احدكم اين ينتهي
افق النجاح امامهم

٣ - لا تضيع دقيقة من وقتك ، فقد كان غلادستون وهو
قطب ربحي السيامنة في وقته لا يكف عن حمل كتاب معه اينما
توجه وحيثما حل خشية أن تضيع دقيقة من عمره بلا فائدة يحصلها
أفلم يكن حقيقاً بالرجل العادي الحرص على وقته ؟

٤ - لا يكن همك إلا اختيار المهنة التي تأنس من نفسك
الاستعداد لمزاواتها . وعليك في هذا الاختيار أن تسائل نفسك
« لاني أمر أصلح ؟ » فقد أصبحت هذه الكلمات في العهد
الحاضر سؤال كل امرئ لنفسه

٥ - قرطس سها مك كلها في غرض واحد ووجه إلى إصابته
كل جهودك ، ولا تتمرغ في حماة التردد الباطل . وحاذر أن
توزع فكرك وجهدك على مقاصد شتى بل اجعلها وقفاً على مقصد
واحد يجب أن تسعى إليه بهمة لا تعرف السكال

٦ - لا يذهبن وقتك ضياعاً في الأحلام والأوهام يترامى
لك فيها شبح الماضي او المستقبل ، بل اخصص بالحال كل عنايتك
وكل التفاتك ، فإن الذي لك من الحياة هو الساعة التي أنت فيها
٧ - كن دائماً منشرح الصدر متهلل الوجه بالسرور ،

وروض نفسك على الرضى بالحياة والاغتياب بها

٨ — حل نفسك بالآداب الحسنة والأخلاق الكريمة ،
فأن من تزين بحلية الأدب استغنى بها عن المال وتفتحت أمامه
مسالك الآمال وأقبل الناس عليه أيما إقبال

٩ — ان تفر من العلم بالقسط الأوفى والقدح المعلى فلن
يعدل هذا النصيب فتيلاً بجانب الذوق وصدق التمييز . وصدق
التمييز هو الفضيلة التي بها وحدها تحرز قصب السبق في مضمار
الحياة

١٠ — احترم نفسك وثق بها ، فأنتك إن تفعل يحترمك
الناس ويثقوا بك . واحترامك نفسك أدعى إلى احترام الغير
إياك وثقته بك

١١ -- شعار الطبيعة : « من لم يعمل يهلك » . فأنتك إذا
أحجمت عن العمل وركنت إلى البطالة والكسل هلكت وتناول
الهلاك عقلك ونفسك وبدنك

١٢ -- وطن نفسك على صدق العزيمة وقوة الإرادة فإنه
لا نجاح حيث لا عزيمة ولا إرادة

١٣ — كن شغوفاً بالدقة والمثابرة في عملك ، فخير لك أن
تزاوّل عملاً واحداً تتمه في دقة وإتقان من أن تبأشر عشرين عملاً
لا تتم واحداً واحداً منها ولا تتقنه

١٤ - لن تكون حياتك في المستقبل إلا ما أنت صانع بها في الحاضر، وما ذلك إلا لأن الدنيا ترد إلينا في الآجلة ما نسلفه إليها في العاجلة

١٥ - إذا فشل أحد في عمل ولم يصب النجاح فخير له أن يتعلم كيف يستفيد من فشله

١٦ - لا شيء خير من الأصرار والتشبث فإنه يبدأ يتردد صاحب الحجبى ويتحسس ويضيع الوقت في الجهود الباطلة يثق المصر المتشبث بالظفر بغنيمته

١٧ - اعمل على ما فيه توثيق بدنك وإطالة عمرك ، فإن أول شروط النجاح أن يكون طالبه «حيواناً من الطبقة الأولى»

١٨ - - كن قصير الحديث واسلك إلى الغاية منه في كلمات معدودة ، فإن خير الكلام ما قل ودل ، وخير الأعمال ما تبين فتيجه من غير إهمال



القسم الثاني

الوسائل

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلته
وآياته وبرهانه
وآثاره وفضله

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلته
وآياته وبرهانه
وآثاره وفضله

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلته
وآياته وبرهانه
وآثاره وفضله

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلته
وآياته وبرهانه
وآثاره وفضله

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلته
وآياته وبرهانه
وآثاره وفضله

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلته
وآياته وبرهانه
وآثاره وفضله

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلته
وآياته وبرهانه
وآثاره وفضله

١ في التجارة

سردنا فيما تقدم الفضائل الممهدة للمرء سبيل الوصول إلى
النجاح والثروة ، وها نحن أولاء ذاكرون فيما يلي من الفصول
خير الوسائل لتحقيق هذا المراد فننتقل به من دائرة الخواطر
والأفكار إلى ميدان الحوادث والأعمال شارحين لطالب النجاح
في الحياة ، كما شرحنا من قبل ، الطرق العملية التي لا رجاء للنجاح
بدونها

قال (برتلو) الكيمياء العظيم في هذا الموضوع ما يأتي :
« لا بد أن ينتهي الأمر بكل امرئ في المستقبل إلى الاعتقاد
سواء من جهة السياسة أم من جهة التطبيقات المادية والعملية
بوجود قواعد إرشادية ومبادئ هادية . وهذه القواعد والمبادئ
قائمة على أسس وطيدة من نوااميس أيديتها المشاهدة وطلما أدت

بالشعوب كما أدت بأرباب الأعمال الصناعية إلى الخراب والدمار»

ولسنا بباحثين ، حذر الأطلالة وتقية الأسهاب ، في كل عمل من الأعمال الصناعية المومأ إليها على حدته . لأن كثيراً منها لا يفضي إلى الثروة المرموقة إلا بعد مشاق تشق المرائر ويتطلب من أصحابه مبلغاً عظيماً من الجهود . لذلك نتخير من بينها للكلام عليها الصناعات الآتية وهي : الجواهر والمصوغات القلانس ، الجمعة (البيرة) ، الأحذية ، التقطير ، المقاولات المختلفة ، الغزل ، الطباعة ، طحن الحبوب ، تكرير السكر ، وعلى الجملة التجارة في المواد الغذائية والصناعة

ومن الحقائق المقررة أن الصناعة التي ينفرد صاحبها بمزاوتها ولا يشرك فيها معه عاملاً أو عمالاً آخرين لا تعطى من الثمرات ما تعطيه لو تحققت هذه الشركة . ذلك لأن كل عامل ينتج من الربح حصة تعدل ما بذله من الجهود لأداء عمله ، ومن ثم ترى أن الكثيرين من أرباب المصانع توصلوا سريعاً بهذه الطريقة إلى إحراز الثروات الطائلة مستعينين في تحصيلها كما قلنا آنفاً بما يؤديه العمال من العمل وبالتالي بما ينتجونه من الربح . وهو ما يؤخذ منه أن خير الوسائل لتكوين الثروة هو ما بني على الاستفادة بعمل الغير واستغلال جهوده فيه

ومع هذا فإذا كان الصانع حاذقاً فطناً ووهبه الله من فضله القدرة على الابتكار والنظر الثاقب والرأي الصائب مع شيء من الشعور بمقتضيات الوقت فإنه يستطيع ، ولو اشتغل بمفرده ، أن يربح ما لا بأس به من الثروة وأن يستعين ببعض هذا الربح في إبان أمره على وضع القواعد لتوسيع نطاق عمله وإثرائه العمال القليلين أو الكثيرين فيه . ومما لا ريب فيه أن هذه الخطوات الأولى هي التي تلتقى في سبيلها بالمعاصر والمزاق ولكنها لا تلبث أن تؤدي إلى الغاية المرومة متى زالت العقبات من طريقها

شرحت إحدى المجلات الشائعة منذ سنوات حال امرأة فقيرة كانت لا تدري أية صناعة تمارس لتسد بئمار عملها فيها الرmq وحات في أمرها فأخذت تجمع من الطرقات ما يقع نظرها عليه فيها من قشور البرتقال وتبيعه أحد الصناع المشتغلين بالنقشير في صناعة الشراب المعروف بـ (كوراساؤ) . ولقد تأملت بعد ذلك في الأمر فرأت أن ثمن الكيلو جرام من تلك القشور لا بأس به وأن تجارتها رائجة فلم يكن منها إلا أن فاوضت بضع نساء ممن التصقن بالتراب فقراً وجوعاً في أن يوافينها بما يجمعنه من قشور البرتقال في نهارهن مقابل درهماً تدفعها اليهن في آخره . وجعلت لكل منهن منطقة في الأحياء البعيدة لالتقاط

هذه القشور فبعد أن كانت لا تحصل في يومها منها إلا ما يعدل
بعض الكيولوجرامات ارتفع هذا القدر شيئاً فشيئاً وعلى توالى
الأيام إلى القناطير . ولم يمض زمن حتى توافر لها من الربح في
هذه التجارة ما تحسد عليه وتيسر لها استخدام ثلاثين نفساً في
جمع القشور واستئجار مخزن فسيح لحزنها واقتناء مركبة كبيرة
لنقل مجرها جواد لتسليمها إلى صاحب المصنع واستخدام عامل
متمهد للتسليم وكاتب للأعمال الحسابية التي تستدعيها هذه
التجارة . وبذا انتقلت صاحبتنا من الفقر المدقع إلى اليسر والهناءة
وكان من أثر مهمتها في جمع قشور البرتقال أن الناس عرفوا قيمتها
فلم يفرطوا فيها ولم يلقوها على الأرض ، حتى أنك لتخترق الطرق
والميادين وتمر بالأسواق فلا تجد على الأرض قطعة من قشر
البرتقال ، بل تعلموا عنها الحرص والاجتهاد فنالوا المراد . وما
أكثر ما يستطيع المرء الاستفادة به من الأشياء التي تبدو له
كأنها من التافهات التي تتخطاها الأنظار فأذا هي مما لو عني به
وأبه له لجاء بما يتجاوز المأمول من الفوائد والأرباح

وليس أقرب على ذلك من أن رأي العين من المتجرين
بالجملة في الخرق البالية ، وهي على ما تعلم لما يتخطاه النظر وتشمئز
منه النفس ، أفندرى ماذا يجنيه هؤلاء من أرباح هذه التجارة !
أنهم يشتررون الخرق البالية بالمفصل من جامعها الكثيرين الذين

يرتادون الشوارع والأزقة ومجامع القمامات والقاذورات ليلتقطوها ويحصلون عليها منهم بالثمن البخس ثم يبيعونها بثمن يعدل أضعاف ما دفعوه . وهل رأيت في عمرك أحقر من خرقة بالية أو ورقة ملوثة أو قطعة حبل لم تعد تصلح لشيء ؟ كلا ولا ريب ، غير أن قطعة الحبل هذه أو ما ذكرناه قبلها من الورق الملوث والخرق البالية بضاعة نافقة السوق تدور المعاملة فيها على محور الاطنان يباع الطن منها بكذا من الأصفر الرنان . وما قيل عن هذه البضاعة الخسيسة في ذاتها يقال أيضاً عن كل عتبق غير صالح للاستعمال كالحديد والمطاط الخ

ومما لا يحصى عنه في إنجاح الأعمال وتنمية الأموال على اختلاف أنواعها وتباينها في الأهمية والخطورة مراعاة النظام فإن النظام من الفضائل الرئيسية لاقتناص طائر الفوز في ميدان الحياة بل هو للأعمال كالحجر الأساس والدعامة الوثيقة للبنيان ، لا يتيسر الذهاب به علواً من غيرها . والذي يملك الربوات (الملايين) العديدة من الدنانير ولا يكون مراعيًا النظام والترتيب في أعماله فقل على ربوانه العفاء لأنها سرعان ما تذهب بها أعصار الاختلال وتزول من عالم الوجود فتكون أشبه شيء بكومة الجليد لا تلبث أن تطلع عليها الشمس وترشقها بسهام حرارتها حتى تذوب وتذهب في كل مسرب وتتلاشى بتشمعها في كل مكان كالماء يتسرب

في قنواته ويصبح صاحبها في الفقر المدقع يعرض الأنامل ندماً على
ما كان من تفريطه في جانب الترتيب والنظام
ويلي النظام والترتيب في الأهمية بالنسبة لمستثمر الأموال
في جلائل الأعمال الصدق والأمانة ، فأنت لك يثق الناس بك
ويعتمدوا عليك ينبغي لك رعاية الصدق في الوفاء بالعهد ومجانبة
إدخال الغش عليهم لكي تنتشر لك بتينك الفضيلتين شهرة
يركنون إليها في الثقة بك

والتجارة تجارتان طيبة وخبيثة فالتجارة الطيبة ما بنيت على
الشرف والأمانة والخبيثة ما قامت على الغش والخيانة . والأولى
هي التي يقبل صاحبها على توريد البضائع لطالبيها خالية من كل
أثر للغش فيها

ويؤثر حسن السيرة وجمال الذكري في الربح المؤكد .
وليس بعازب عن مدارككم السامية أيها السادة أن حسن السيرة
رأس مال أدبي ربما فضل رأس المال المادي وفاقه فوقاً عظيماً .
أما الثانية فهي التي لا هم لصاحبها إلا الانخراط سراعاً في سلك
الوصوليين بأدخاله الغش على بضاعته طمعاً في الربح الكثير وبث
هذه البضاعة المزجاة في أرجاء العالم وإيثار المال الكثير على
حسن الصيت والثروة على الاجلال والاحترام من الناس . هذا
هو رأي شاعر فرنسا الكبير فكتور هوجو ، أعرب عنه في

خطاب ألقاه على مسمع من أعضاء مجلس الأعيان الفرنسي بمناسبة المناقشة في مشروع علامات (ماركات) المصانع وأورده في كتابه الموسوم « قبل النفي ». وفيه الدليل الناهض على انه لا غبار من العيب أو النقص على صاحب العبقرية إذا جعل نفسه قدوة للناس فاشتغل بالشؤون العملية المرتبطة بالحياة العادية لكي يسري الناس مسراه وينهجوا منهاجه .

ولما كان حسن الشهرة من أوكد الأرباح وأوفرها ، فأنتك إن اتهم بيدك صرح مصالحك ومنافعك إذا لم تصرف عنايتك كلها لتجعل نفسك حقيقاً بما انتشر عنك من الصدق والأمانة . وإذا كنت تاجراً فليكن أول همك ان تتولى بنفسك ترتيب ما تود عرضه من بضائعك في واجهة مخزنك وتحكم ذوقك في تنسيقه على اجمل مثال ، فأنا البضاعة التي يجيد صاحبها عرضها على الأنظار ويحسن تنسيقها لبضاعة نافقة السوق لتحقيق الاقبال عليها . ولا تهولنك نفقة الأضواء ، ولا تضعها موضع القصد والوفر بل ابسط بنفقتها يدك ، فأنا من الناس بل ان الناس جميعا كالفراش يتهافت على الضوء . واعتبر بمخازن التجارة الرديئة الأضواء فإنه لا احد يقصد اليها او يقف هنيهة امامها بينما هم يتزاحمون بالمناكب حوالى « الفترينات » التي تسطع ضوءاً وتلمع بهجة وجمالاً بما نسق من ضوئها على المثال الذي يجعل

الناظر لا يفرغ من إعجابه بنظرها حتى يقرر الدخول في المخزن
لشراء حاجته منه

ووضح في البطاقات الصغيرة من الورق أثمان ما تبيعه من
البضاعات. وهذا الأيضاح لا بد منه ولا محيص عنه، لأن في
كل عشرة من الناس الذين يلتزمون قضاء حاجياتهم من مخازن
التجارة تسعة يحجمون عن غشيانها لجهلهم الثمن الذي سيطلب
منهم دفعه عن مشترياتهم أو لتوقعهم المبالغة من الباعة في رفع
الأسعار على الاضطرار إلى مغادرة المخزن بحجة ارتفاع الأسعار
وظهورهم إذا نذروا بهذا العذر في مظهر الفقير العاجز عن شراء
ما أطمح نفسه إلى اقتنائه وقلمما تجد بين الناس من يفضي بسر
فقره إلى القريب حتى يطالع عليه الغريب

والى هذه الطريقة طريقة بيان الأثمان في طريقة تناط بكل
صنف من صنوف البضاعات ترجع العلة الحقيقية لنجاح المسيو
(بوسيكو) مؤسس مخزن (البون مارشيه) التجاري الشهير
وظفره بثروة تقدر بالملايين. فعليك أيها التاجر النابه إذا شئت
الرواج لبضاعاتك أن توقف أمام « فتريناتك » كل السابلة لكي
يعلموا من الأسعار المبينة على البضائع ما سيدفعونه ثمنًا لها. وفي
هذا الأسلوب ما يمنع تردهم ويستفزههم على غشيان مخزنك
ويحضهم على العودة كلما عنت لهم حاجة يريدون قضاءها

وحذار أن تبقى في «فترينات» العرض زمناً طويلاً بالبضاعات المعروضة عينها بل بدل منها غيرها كل حين ، وإذا بدلت منها فاعن بتغيير أوضاع المعروضات الجديدة غالباً حتى لا تقع العين منها على نسق واحد فتمله وتنصرف عنه . وتقن ما استطعت في جعل تلك الأوضاع مع مغايرتها بعضها لبعض جميلة المنظر حسنة النسق فأن الناس طامة يحبون النظر إلى الجميل ويكرهون الوقوف عند شيء بعينه . . . والناجر الفطن هو الذي يعرف كيف يستفيد من هذا الاستعداد النفسي ويستغله . واعلم أن لعناوين الأعلانات والاختارات التجارية أثر فعال في نفس قارئها . فإذا جعلتها من طراز : « فرصة استثنائية » « آخر اختراع في الأزياء » « النماذج الوحيدة » الخ وتحريت ما ضاهي هذه العناوين من الاسماء الجميلة التي تستمدّها بسهولة من أهم حوادث اليوم أو من رواية تمثيلية يقبل الناس على شهود تمثيلها أو من رجل تحولت إليه الأنظار لسبب ما ، فأنتك تؤثر في نفس الجمهور القارئ تأثيراً يتفق مع مصلحتك

ولا تضع البضاعات بحيث تستتر عن أعين المشتريين ، ولا تشحن بها الرفارف مغلقة متضامة لا يرى منها هؤلاء سوى رزم كالطرود المعدة للتصدير ، ولا تجعلها كذلك على الخصوص في الرفارف العليا حيث تتعذر قطعاً رؤيتها ولا يتيسر تمييزها بعضها

عن بعض . والواجب أن يكون وضعك إياها في مكان يسهل
عليهم فيه تناولها بالنظر ولمسها وفحصها للحكم عليها جودة صنف
ومتانة وموافقة لذوقهم ومرادهم

وإذا جاس أحد خلال مخزنك فلا تدعه يضل في تعاريجه
وملتوياته باحثاً عن أحد المستخدمين يعرض عليه طلبه . فإذا لم
يكن عندك مستخدم أو مستخدمون وكنت أنت مشغولاً بالنظر في
مطالب مشتر آخرفقدم اليه كرسيا وتلطف في دعوته إلى الجلوس
راجياً منه الانتظار هنيئة ومعتذراً لديه عن ذلك بجميل العذر ،
ثم بادر بعرض خدمتك عليه ، فلربما يكون في حاجة إلى السرعة
في إنجاز عمله معك فيكون من تباطئك وإسرافك في البيان ما
يضيق به صدره ويحمله على مغادرة محلك بدون أن تنتفع منه بدرهم
وتجنب حين مفاضلة المشتري بين صنوف بضاعتك واختياره
منها ما يميل إليه ذوقه أن تحتم عليه ذوقك ، بل دعه حراً في تقديره
الأشياء التي يرغب في اقتنائها ولا تتبعه بألحاحك الذي تضيق
منه الأنفاس لسكي تبيعه بضاعة دون أخرى . وإذا سألك شيئاً
ما وعين لك شكاه أو قدره أو لونه فلا تجبه بقولك : « لقد
أصبح هذا الصنف مهجوراً » أو « ليس هو من الزى الحديث »
لأنك بهذه الملاحظات أو ما يجري مجراها ترميه إما بالجهل
وفساد الذوق أو بنزوله إلى درك العامة في مذاهبهم ، وهو ما

يستاء طبعاً من سماعه

واجعل لكل صنف من بضاعتك سعراً محدداً لا تتخطاه
زيادة أو نقصاً وذلك حتى لا تلتجىء إلى الخديعة والغش مع
المشتري فتدعى باطلاً أن ربحك يسير أو معتدل وهو ما لا
شأن له به

وكن جمّ الأذب رقيق الحاشية مع جميع المشتريين ، غير
مفرق بينهم من جهة حيثياتهم الذاتية ولا من جهة مقدار ما
يشترونه . فأن الذى يشتري منك اليوم بضاعة لا يتجاوز ثمنها
بضعة الملائيم لا يبعد أن يشتري منك فى الغد ما يعدل ثمنه بضعة
الجنيهات . فأذا لم تعامله فى الحالة الأولى بعين الرعاية والأدب
الذين تعامله بهما حتماً فى الحالة الثانية ، فأنت مضيع على نفسك
بمفاضلتك بين الناس فى أقدارهم وكميات مشترياتهم « زبونا »
لا يعلم إلا الله مقدار ما نخسره من الفوائد بمغاضبته

وإذا كان الشيء المرغوب فى شرائه غير موجود عندك
فأعرب للمشتري عن أسفك ، مع الأمل فى التوفيق عند أقرب
فرصة لقضاء مطالبه كلها إذ تكون بذلك سعيداً ومقتبطاً . وإذا
أزعجك مشتر بطلباته ونالك من جراء هذا الأزعاج تعب فحافظ
على جلدك وتؤدتك حتى لا يؤدى ذلك بك إلى التبرم منه والعبس
فى وجهه . وجماع القول أنه لا ينبغى للزبون أن يبرح مكانك

منفعل النفس بتأثير شيء وإلا فإنه لا يعود إليه أبداً
ومما يجب على المستنبطين للصنوف الجديدة من البضاعات
أن يتخيروا الأسماءها الألفاظ الرنانة القصيرة السهلة الحفظ والكلمات
التي تتردد على الذاكرة لاستجماعها هذه المزايا . وليس هناك
من ضرورة لأن تكون بين الاسم ومدلوله صلة معنوية ما ، وأن
يكن هذا هو الأفضل عند الامكان ، ولكن لا ينبغي أن يطوح
بهم حب التحري عما يلفت النظر من تلك الأسماء إلى الوحشية
والتعقيد إذ الواجب قبل كل شيء في إطلاق الأسماء مراعاة ألا
تكون نابية عن الفهم ولا مستعصية عليه

واعتبر بصانع ورق السكر الشائع الاستعمال بأسم (جب)
فلقد كان موفقاً حينما خطر بباله أن يطلق على ورقه هذا اللفظ
الذي لم يكن في الحقيقة إلا المرفف الأولين من اسمه ولقبه
(جوزيف بارتو) إذ من من المغممين بالتدخين لا يعرف ورق (جب)
الذي هو أصلح ورق لعمل السكر ! وفي ألمانيا يصنع ماء لتطهير
الفم وإصلاح شأن الأسنان أصبح ذائع الشهرة في أنحاء المعمور ،
أسماء مخترعه وهو من الكيميائيين الممتازين بـ (أودول) . وهو
اسم جدير بأن يتخذ مثالا لما نحن بصدده من بيان فائدة الكلمة
الرنانة القصيرة الحاضرة دواماً في الذاكرة ، تطلق علماً على صنف
ما من صنوف البضاعات . وليس من بأس أن يكون ذلك اللفظ

من لغة أجنبية لا اعتقاد الجمهور غالباً بأن ما يصنع في بلد آخر لا بد أن يكون أجود صنفاً وأجزل فائدة مما يصنع في بلده . وحذار من الاسماء الحديثة التي يخيل لواضعيها أنها أكثر انطباقاً على الذوق الجديد والحالة العصرية ، ذلك لأن هذه الاسماء تزول كما تزول مسمياتها ويحل محلها اسماء آخر حديثة بالنسبة لوقتها

وخليق بالتاجر اللبق أن يتحرى ذوق الجمهور ويستقصى حاجياته الوقتية أو الدائمة . ولو كان هذا الذوق وهذه الحاجيات مخالفة لوجوه الصواب والعقل . وليس له أن يفسح المجال لذوقه الخاص فيفضل شيئاً على غيره بل أن يحسب الحساب كله لأذواق المشترين وميولهم . وكل ما عليه أن يقوم به حيال هؤلاء أن يقدم إلى كل منهم الشيء الذي يلائم ذوقه بعد إذ يكسبه صورة من الصور الخلابة الجذابة ، وهذا إذا لم يكن الذي يرمون إلى اقتنائه خسيس الصنف رديء الشكل بذاته فيقدمه اليهم كما هو على علم منهم بعيوبه وتقائصه

المهنة الصغيرة

ورب قارىء لما تقدم من القول يعترض علينا بأننا أفضنا في الحديث على الناس كافة وعلى التجار والصناع خاصة، أولئك التجار الذين بنوا أعمالهم ومشاريعهم على أساس رأس المال واستوثقوا من نجاحهم فيها بواسطة ولم نخص بكلمة واحدة التجار والصناع الذين لا رأس مال لهم يستثمرونه بجدهم ونشاطهم في مختلف الأعمال والمشاريع، وبسائلنا عما هي الذرائع لحصول هؤلاء على الثروة وعما إذا كان في وسعنا بسطها لهم ليسترشدوا بها في تسديد خطواتهم نحو هذه الغاية المبتغاة

وللاجابة على هذا السؤال نقول : نعم إن السبيل إلى اقتناص طائر الثروة واضح المحجة وأنه ليكفيها أن نوجه أنظارهم إلى تلك المرأة جامعة قشور البرتقال ليكون مسلكها مثلاً مضروباً وقدوة

صالحة لنيل المراد من النجاح . ولسنا نريد بسوق هذا المثل اليهم
أن نحضهم على أن يكون كل منهم جامع برتقال ، بل أن نذكرهم
بوجوب طرقهم أبواب الرزق حيث كانت . فأمامهم مثلاً ما يلقي
في الطريق من فدام القنينات وفي زبالة المطابخ من عظام الأطلعمة
وما إلى ذلك من الأشياء التي تبعث حقارتها الظاهرية على طرحها
كل مطرح وقلة الاكثراث بها . ومن ذا الذي يخطر بباله أن
لبعض أنواع المحار مثلاً قيمة لا بأس بها !

فأن من هذا المحار ما إذا سحق صالح صلوحاً تاماً لتغذية
الطيور الداجنة ويزيد في بيض الدجاج والبط وتباع المائة كيلو منه ،
لهذا السبب ، بمبلغ يعدل ١٥ فرنكا . وهناك صنف من البرقوق
البرى تنمو شجيراته على الجدران ويصطنع منه شراب مقبول
الطعم سائغ للشاربين . فالقطن صاحب الهمة من طالبي النجاح
في الأعمال هو الذي يتحرى موارد الرزق من هذه الأبواب فيصطنع
هذا الشراب الذي لا يكاد يكلفه شيئاً ويرتاد به معاهد العمل
ليبيعه العمال الذين يلتمسون ما « يبل ريقهم » أثناء عملهم الشاق
فلا يجدون . نعم ربما كان ما سترجحه من هذه الصناعة الجديدة
قليلاً ضئيلاً ، ولكنه ربح على كل حال سيتمكون لك منه رأس مال
صغير إذا أحسنت سياسته وكنيت فطنا وفيك لباقة استطعت
إنماءه بما تزيده عليه من الدراهم فالدينانير كل ، يوم وباغتنامك

فرص الربح تثب عليها في الوقت المناسب لاغتنامها . واعلم أنك
بالمثابرة والأقدام ستضاعف ذلك المال وتوسع بمضاعفته نطاق
الأعمال ، قال (هزiodوس) الحكيم : « إذا أضفت إلى القليل
قليلا وثابت على هذه الأضافة فإنه لا يلبث أن يصير كثيراً ،
والذي يصعد في الدرج واحدة بعد أخرى بتوادة وتحرز من
العثرات والمزالق لا بد واصل إلى القمة العليا التي ينتهيها والمرتبة
الشريفة التي يرنو إليها . ولسنا نقول إنه بالغ إلى هذه الغاية عفواً
ومن غير مشقة ، بل نقول إن الصعوبات ستعترضه حتماً في طريقه
وأنه لا بد له من مكافحتها لتذليلها وأنه قد يؤوب من هذه
المكافحة أحياناً بالفشل واليأس وما إليها من مصاعب هذه
الحياة ومحنها ، ولكنه سيتغلب في النهاية عليها بعزمته ومثابرته
ومصابرته ويتسكن ذروة المجد والثروة بما سيحرزه من النجاح
والفوز في عمله

وكم من الثروات الكبرى في مختلف الأمم ترجع في أصلها
إلى أسباب حقيرة كنتلك التي أوردنا فيما تقدم ذكرها . وللذين
شادوا صروحها أن يفتخروا بها على معاصريهم وأن تتخذ ذكراهم
مثالاً للنبوغ والهمة وقوة الإرادة ، لأنهم أوجدوا شيئاً من لا
شيء ولا أنهم استفادوا وأفادوا . قال (جابريل موري) : « كل
جهد يبذله الإنسان ، مهما يكن صغيراً ، يكسب صاحبه شرفاً

وجمالاً . وإنما الحركة الصغيرة يتكيف بها جسم العامل مؤدياً عمله
مظهر حقيقي جليل للقوة المنظمة للحياة . وما من عمل يدوي إلا
وله نظام يشبه الوزن في الشعر والأيقاع في الغناء . ولشد ما
يكون هذا الأيقاع المؤثر في النفس منطقياً وصادقاً ومنبعثاً بذاته
وقوياً بمطابقته المطابقة التامة منذ القرون والأجيال لحاجة النوع
البشري وميوله . وهذه ذراع الفلاح الذي يبذر الحبوب التي
يتوقف عليها الحصيد الآتي تراها تلقى البذور في الخطوط بحركة
موزونة ما أشبهها بحركة رجل الأكليروس مؤدياً وظيفته الدينية .
ولو حللت سلسلة الحركات التي يؤديها الشيال يشحن طرود
البضاعات أو يفرغها ، لسطع لك منها جمال الجهد المبذول في انتظام
واتساق . ومثل هذا يقال عن حركة النجار « يصفى » لوح
الخشب والنحات ينحت الحجر ليسويه وعلى الجملة فأن في حركة
الإنسان يكافح المادة ابتغاء إخضاعها لأرادته ما يدل على العظمة
والجلال »

فليضع القارئ هذه الحكم الغالية نصب عينيه ، وليجعل
أسطرها ماثلة على الدوام له ، فأن فيها مذكر بأن طبقة العمال
ذوى الأيدي المتقلعة جدرة بأن تعارض بها وفي غير ما استحياء
سائر الطبقات وبأنه لا يذهب مذهب التفرقة بينها وبين هذه في
الفضل والاستحقاق سوى الأغرار والجهلاء

واعلم أن اختيار العمل الذي تخصص به نفسك منوط بما فيك
من الاستعداد الفطري للقيام به ومتوقف على ظروف المكان
والزمان . وإنما الرجل الثاقب الفكر الصائب النظر البصير بالحقائق
هو الذي يهتدى بهذه المزاي إلى مظان العمل المجدى ويرقب الجمهور
مستطلعاً حاجاته غير مفرق فيه بين العامل المجد والكسول الخامل
فإن الإنسان ، مهما تكن طبقة في الاجتماع ومهما تكن الحرفة
التي يمارسها أو الباعث الذي يبني عليه سعيه ، مجبول في كل مكان
على تحرى العمل الذي يتكبد في سبيل إنجازه أقل ما يمكن من العناء .
وهذه الفرصة لما يحسن بك ، إذا كنت ليدياً فطناً ، الوثوب
لاغتنامها إذ تستطيع لكي توفر عليه عناء العمل أن تجعل نفسك
الوسيط لتحقيق مشتهاه أو أن تكون همزة الوصل بينه وبين
الغاية التي يرمي إليها . وكن ذا ثقة بأن سعيك هذا سيكون
مرضياً عنه ومقبولاً منه وأنه سيرى فيك الوسيط الذي لا محيص
له عن الاستعداد بهمة ودرايته في قضاء حاجاته

وخليق بالبائع المتنقل في الطرقات ، كما هو خليق بالصانع
والتاجر أن يكون خبيراً بأحوال النفس دقيق الملاحظة فيها
وأن يستطيع الجزم سريعاً بصدق نظره وصحة حكمه وحضور
ذهنه فيما يجب عليه أن يفتنمه من الفرص للانتفاع بعادة من
العادات الاجتماعية أو شهوة من شهوات النفس أو اندفاع عام

من الجمهور نحو غرض من الأغراض، فإنه لا يلبث أن يصل إلى
سدره المنتهى من النجاح في عمله وأن يصبح من رجال المال
المرموقين بعين الاحترام والأجلال

وقد أورد كوفنيون في كتاب أسماه (بلاط باريس)
كناية عن شوارعها ومسالكها ، وهو كتاب أخرج للقارئ
في سنة ١٨٨٥ ، الحادثة الآتية مثالا للطموح إلى المعالي والنشاط
والهمة في البلوغ إليها . قال :

« في سنة ١٨٦٥ كان أحد رجال شرطة باريس ماراً بالقرب
من براح في ملتقى شارعي (تاران) و (سان بيير) ، حيث يمتد
الآن شارع (سان جرمان) . فأبصر بائعا جوالا يبيع المارة
أصناف البضائع الصغيرة ، فسأله الترخيص الذي يسمح له التجوال
في الطريق . ولم يكن الترخيص معه فلم يبرزه ، فسأفه إلى دار
الشرطة حيث عرف الضابط من لهجته أنه من أبناء بلده فتنقل
به فوراً من الاستجواب الرسمي ، إلى أحاديث الوداد التي اختتمت
بأطلاق سراحه ، موعوداً بعدم تعرض رجال الشرطة له
والذي يخيل للقارىء أول وهلة ، أن هذا الحادث مما لا
يترك أثراً في مصير صاحبه ، لما يتفق من وقوع أمثاله ، ولا اشتغال
المفوض اليهم حفظ الأمن بها صباح مساء . ولكن القبض على
ذلك البائع الجوال الحقير ، وسوقه إلى دار الضبط لمعاقبته على

تقصيره ، كانا أساس الثروة الواسعة التي اشتهر بها
قضى الرجل زمناً يبيع بضاعته على السابلة في الشوارع
الباريسية ، تكلاؤه عين عناية الضابط . ثم تخصص لمبيع البضائع
المتبقية في بيوت التجارة ، بعد انقضاء الفصل الموافق لها . وهو
المبتكر لفكرة عرضها في مخزن قائم بذاته ، فراجت أعماله أيما
رواج ، وبلغت من النمو والانتساع مبلغاً دعاه إلى إنشاء السوق
المعروفة تجاه محطة (سان لازار) ، ثم السوق المعروفة في شارع
(ريفولي) باسم « بازار ريفولي » . وهي التي بلغت من السعة
مبلغاً استوجب الدهشة والاستغراب

تتجلى للقارئ من هذه القصة صفتان كانتا دعامتي نجاح
الرجل وفوزه في معترك الحياة التجارية : أولاهما الطمع والثانية
الحذق في اغتنام الفرصة

فبالطمع طمح إلى الاتجار بالبضائع المتبقية في بيوت التجارة
بعد انقضاء الفصل . وهذا النوع من الاتجار يقتضى من الخبرة
والدراية أكثر مما يتطلبه منهما الاتجار بالبضائع الصغيرة ، في
الطرق العامة . ويستلزم ما لا يستلزمه هذا من الأقدام على
المجازفة بالأموال ، والتعرض لأخطار الخسارة ، والأمل الكبير
في الربح إلى غير هذا من الصفات التي يحتاج التاجر إليها . وهي
ضربة لازب له في النوع الثاني من الاتجار دونها في النوع الأول

وطمع الرجل في توسيعه نطاق تجارته ، هو الذي حمله على استئجار حانوت لعرض بضاعته فيه . ثم على إنشاء السوق الأولى فالسوق الثانية . وبدهي أن شوقه إلى احتياز الثروة كان شديداً ، وأن درايته بأساليب الترصّد لاقتناص الفرص السانحة كانت واسعة ولولا هالمأ صبر على مضض الانتظار ، بوقوفه لها بمرصد إلى أن أوقعها في شباكها الممدودة

عرف الرجل بحذقه ولباقتة ، كيف يستفيد من انتمائه إلى البلد الذي ينتسب إليه صاحب الشرطة ، وعرف كيف يتلطف معه ليحمله على مساعدته والعطف عليه ويسترق منه الوعد بعدم تعرض رجاله له ، في تجواله ببضاعته . فكان هذا الحادث على بساطته ، من أهم بواعث نجاحه في تجارته ، ووصوله إلى الدرجات العليا من سلم الثروة والجاه ، لا سيما وأن التجار أمثاله يبنون رواج أعمالهم وتوطيد ثقة العامة بهم ، على ما يوهمون بها به من الانتماء إلى ذي جاه أو سلطة كذلك الضابط . وكثيراً ما يتذرعون بهذه الوسيلة إلى استمالة المشتري اليهم

ولو أن بائعاً غيره اعتمد زوراً على ذلك الانتماء لترويج بضاعته ، لأفضت الحال به إلى عكس ما أفضت إليه مع صاحبنا . إذ كان يساق حينئذ إلى موقف التهمة بأنه أدلى إلى القابضين على زمام السلطة العامة بالبرطيل

مما سلف يؤخذ أن حصول بائعنا من أحد رجال السلطة على الوعد بعدم تعرض أعوانه له في تنقله لترويج بضاعته ، كان الأساس المتين الذي شاد عليه صرح نجاحه . ومن الأدلة الناهضة على حذقه وكياسته في ذلك ، اختياره أوفى الأوقات لاغتنام الفرصة التي وسع فيها نطاق تجارته ، باستئجاره حانوتاً لعرض بضائعه فيه

ثم اعتبر بما في حياة المستر (وايتلي) صاحب مخازن التجارة المعروفة في لندن باسم (مخازن وايتلي ، المورد العام) وقد مات قتيلاً في أوائل سنة ١٩٠٧ لأسباب ما برحت مجهولة فإن فيها من العظات والعبر والحكم ما هو خليق بالطامحين إلى المعالي الطالبين للثروة بالمشاورة وعلو الهمة ، أن يستفيدوا به . وليس لأحد أن يزعم في الواقع أنه بالغ إلى ما بلغ هذا العبقرى من الثروة والمجد وفضائل الهمة واللباقة وحضور الذهن ، فإن الغاية التي بلغ إليها فوق مقدور الكافة ولن ينتظر أن يسمح الزمان بكتيرين من طرازه فهو نسيج وحده ونادرة وقته . غير أن هذا لن يمنع هؤلاء من السير على منهجه والاهتداء بفضائله العالية ، فيما يبذلونه من الجهود لتحقيق المراد من الثروة والجاه .

وقد نشرت جريدة الطائف في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩٠٧ ، بمناسبة مصرعه ، طرفاً من حياته حيث

قالت : « إن حياة المستر وايتلى ملأى بالعبر ، فقد ولد في سنة ١٨٣١ بقرية حقيرة قريبة من مدينة واكفلد ، وكان بجوار دار أهله حانوت لبيع الأجواخ فدخله وايتلى للتمرن فيه على المعاملات التجارية . ولكن الطموح إلى الثروة كان الشغل الشاغل له ، فلما بلغ من عمره إلى العشرين ، أي في السنة التي أقيم فيها بلندن المعرض العام ، أغراه ما سمعه من عجائب هذا المعرض بالقدوم إلى العاصمة الانكليزية حيث استطاع في مدى أربع سنوات الانخراط في سلك مستخدمي بعض المحال التجارية الكبرى المعدة لبيع الأجواخ وتمكن خلالها من درس أحوال السوق التجارية وأطوارها وتقلباتها . ثم عاد بعد تلك السنوات الأربع إلى (أجبريج) وهي قريته التي ولد فيها وشارك التاجر الذي تمرن عنده في رأس ماله . ولكنه لم يلبث معه سوى بضعة أسابيع لأن مدينة لندن أثرت في نفسه بجلالها وانفساح المدى فيها لذوى المطامع والهمم العالية . وكان قد اقتصد في حياته العملية الماضية مستخدماً في أجبريج ولندن ثم شريكا في آخر الأمر لتاجر الأجواخ في القرية ، مبلغاً لا يتجاوز ٦٨٠ جنيه اقتصده بوسائل الحرمان والأمساك عن مراد النفس . فلما كانت سنة ١٨٦٣ اهتدى إلى مخزن تجارة بالقطاعي بشارع وستبورن جروف رقم ٣١ فاشتراه من صاحبه فكان هذا المخزن الصغير الحقير النواة لمخازن وايتلى

الفسيحة الأرجاء التي تشغل الآن ستاً وثلاثين داراً كبيرة يتألف منها شطر كبير من الحي المعروف بحريّ (بزاز رود) « وقد بدأ وايتلي عمله في ذلك الخزن الصغير بمستخدمين اثنين وخادم فتجاوز عدد مستخدميه في وقت وفاته ستة آلاف أما رأس ماله الذي لم يكن يزيد على ٦٨٠ جنيهها فقد بلغ إلى نحو المليونين من الجنيهات

« ولم يكن وايتلي ممتازاً في عمله بعلو الهمة والفطنة وصدق النظر فحسب، بل كان فوق ما تقدم صاحب جرأة نادرة وحضور ذهن وسعة حيلة لا يباريه مبار في هذه الخصائص العالية. ولقد لقب نفسه بالمورد العام فكان هذا اللقب من أهم بواعث نجاحه وثروته. وكان حينما تلقب به يزعم القدرة على موافاة معامليه بكل ما في استطاعة امرئ أن يحصل عليه بالمال. وأصبحت هذه الحقيقة مشهورة مأثورة عنه حتى قال بعضهم لو أن آدم هبط مخازن وايتلي وليس ما يستر عورته سوى أوراق من شجر الجنة وكان بيده بعض أوراق مالية من بنك انكلترا لخرج منها مكسواً على آخر طراز ومتزوجاً ومستأجراً داراً لو غشي غرفة الطعام فيها من فوره لوجد الحساء على المائدة يتصاعد من إنائها البخار ثم جاءه من يخبره بأن يختبأ خاصاً به ينتظره في أقرب مرفأ لينقله إلى حيث يلتبس الرياضة وتوافر له أسباب السرور والهناء

« وكان المستر وايتلى على نصيب وافر من قوة الابتكار وسرعة الخاطر . أراد بعضهم اختباره ليتأكد أهليته لتلك التسمية التي أسمى بها نفسه ، فسأله أن يبيعه فيلا ضخما فلم تمض أربع وعشرون ساعة حتى كان الفيل الضخم بين يديه . وسأله آخر تابوتا قديما لأحد الموتى فما هي إلا ساعة حتى كان التابوت في بيت طالبه . وعهد اليه ثالث توريد قدح من البراغيث الحية فعهد في الوقت إلى أحد مستخدميهِ إنجازهِ . ومما كتبه بقلمه في هذا الموضوع قوله : سألتى المستخدم كيف يتصرف في هذا الطلب فأجبتهُ — إنجازهُ على الفور — ثم كتبت إلى المستر بارتلت مدير حديقة الحيوانات والمستر جامروك تاجر الضواري راجيَ منهما أن يمشطا ما عندهما من القُرود ، لاستجماع ما يتخلل شعرها من البراغيث . فحصلت بهذا الرجاء على نصف قدح من هذه الحشرات بعثت بها من فوري إلى الطالب مع كتاب ذكرت فيه أن المقدار المرسل من البراغيث هو قصارى ما يمكن أن يوضع منها في قدح واحدة ، وأنه إذا ترك النصف الباقي خاليا فما هو إلا لكي تتنفس البراغيث بما فيه من الهواء الضروري لحفظ حياتها فقبل الطالب البراغيث ودفع ثمنها

« وكان وايتلى ، بصرف النظر عن تلك الطلبات الشاذة التي رام بها أصحابها امتحانه وتبين قدرته ، يقدم إلى زبائنه كل ما يطلبونه

منه من الحاجيات والكفايات حتى استدعى ذلك أن يوسع نطاق مخازنه توسيعاً أصبحت معه من أغرب الأماكن التي تقع عليها عين الناظر . فأن الجائس خلالها يتنقل من القسم المعد لبيع الخضرة الطازجة إلى القسم المخصص لمبيع الآثاث على اختلافها وتعددها فألى القسم المجهز بأصناف اللعب للأطفال يتلوه قسم بيع صنوف الجبن فقسم الفطائر والحلويات فقسم السكاثر والسيكار وهكذا إلى ما لا يحيط بالبال من صنوف البضائع برمتها . وكان وابتلى فوق ما ذكر وما لم يذكر من البضاعات يتعهد بنقل لأمتعة من الدور إلى دور غيرها وتنسيق الأمتعة الجديدة في الحجرات والنازل ويخلص على البضاعات المستوردة أو المصدرة ويعطى الضمانات على حياة الأشخاص وسلامة الأشياء ضد الأخطار بمختلف أنواعها كما يتعهد بطهي الأتعمة الشهية وتهيتها وتقديمها للآكلين

« ولم يكن يعز عنده شيء إذا طلبه منه طالب . فأنتك إن سألته طبيباً أخصائياً حاذقاً هان عليه إرساله إليك كما يهون إرسال العامل الكهربائي لأصلاح سلك النور أو خديم السماط أو الخادم لفرع ما من فروع الأعمال المنزلية . ولقد ذهبت بسهولة الحصول على كل ما يراد منه مثلاً مغروباً في الأمة الانكليزية ومجالاً للحديث ، حتى أن بعضهم كان ينصح بعض الوزراء الذين

يخونهم الدليل يدعمون به أقوالهم وتصريحاتهم أن يقصدوا في
الحصول عليه إلى محلات المستر وايتلى فأنها لن تقصر عن أدائه
إليه بالثمن

« ولا تظنن مع هذا أن ارتقاء محلات وايتلى المورد العام
واتساع نطاقها لم تعترضهما العقبات في سيرهما المطرد إلى الأمام
فلقد شبت النار فيها أربع مرات بفعل فاعل دبت عقارب الحسد
إلى قلبه وهو ما حدا بشركات التأمين إلى رفض تأمينها من جديد،
فلم يكن من المستر وايتلى الذي لا تنقصه الحيلة أبداً إلا أن أمن
نفسه لدى نفسه كما أمن مزارعه الواسعة وملحقاتها من الأبنية
حتى مغسل الثياب إذ أسس شركة للتأمين برأس مال لا بأس به .
وكان المستر وايتلى يحافظ في المعاملات التجارية على مبادئ عاهد
نفسه ألا يتخطاها إذ كان يدفع على الفور أثمان البضاعات التي
كان يستوردها من كبار الموردين بالجملة وكان يقول دواما
لمستخدميه : - ضموا ضميركم إلى رأس مالكم إذا وددتم أن
تنجحوا في حياتكم ، واتخذوا من تجارتكم الشغل الشاغل لكم
ما بقيتم أحياء وراعوا الأمانة والعدل مع الناس وفوزوا منهما
بأوفى قسط فأنكم لن تخشوا إذاً أحداً -

« وكانت حياة وايتلى كلها خير قدوة في الاجتهاد والمثابرة
على العمل فإنه بالرغم من ثروته الواسعة لم يلق حتفه إلا وهو في

مكتبه وسط مخازنه العديدة على مقربة من قسم المثقيات
(الدانتيل). وكانت عادته موافاة مخازنه في الساعة العاشرة
صباحاً فيظل دائماً على العمل حتى الساعة السابعة مساءً رغم طعونه
في السن ، إلا أنه كان شديد المحافظة على يوم الأحد إذ كان لا
يزاول فيه عملاً لا هو ولا أحد من مستخدمييه . وهو ما قضى
عليه باستثناء اللبن من البيع في مخازنه لأنه مما يتختم توريده إلى
المستهنفدين في صبيحة ذلك اليوم

« ولقد شرح وايتلي بنفسه ما وقع له من الحوادث في إبان
أمره إذ قال : لما فتحت في ١١ مارس سنة ١٨٦٣ مخزني الصغير
لبيع « الخردوات » متأخراً عن ميعاد فتح مخازن التجارة في
الصباح كان أول من غشيه للشراء . إنه إحدى السيدات ، فاعتذرت
لها مما تراه من الاختلال في نظام المحل ومن فتحي إياه متأخراً
عن الميعاد بأن ذاك اليوم هو أول يوم من وجوده فقالت السيدة :
لعني أول مشتريه منك وزبونة لك . فأجبها نعم . فقالت : إذن
تأذن لي في أن أبسط كفي لجيب الدعاء أن يسدد خطواتك
نحو غاية النجاح . وفي ذلك المخزن الصغير وعلى مسمع من
مستخدمي الاثنين والخادم وهو فتى صغير كنت أتقذته قبل
يومين من الغرق في غدير ماء وجهت السيدة إلى باري النسم
صالح الدعوات لنجاح عملي وقد ظلت ما بقيت على قيد الحياة

تتردد على مخزني لشراء حاجتها منه وروجت بدعائها أعمالاً
وسددت خطواتي نحو النجاح المؤكد —

« وفي سنة ١٨٩٩ تحول محل وابتلى إلى شركة رأس مالها
٤٥٢٥٢٠٠٠ فرنك بلغ صافي ربحه أول وهلة ٢٥٠٠٠٠٠ فرنك »
هذا مجمل من حياة الرجل أوردناه للمعظة والاعتبار فأن
تتعظ وتعتبر فاعلم أن وقائع الحياة وحروبها كالوقائع الحقيقية التي
تستبجك فيها الجيوش وتلاحم صفوفها في ميادين القتال يعقد النصر
فيها كما يعقد في هذه لأصحاب الأقدام والشجاعة والروية . فقد
جاء في كتاب نشر منذ سنوات بالولايات المتحدة تحت عنوان
(نصائح تاجر لابنه) ما يأتي مقتضباً من بعض فصوله :

« أول ما ينبغي تلقيه من المبادئ للمرء هو الإرادة ثم من
بعدها تلقين "علوم" . وإن من أشهى الأمور إلى نفسي يا بني
أن تكون طالباً مجتهداً في التحصيل ومجداً في العمل غير أن الأمانة
التي أضعها فوق الأمانى كلها أن تكون رجلاً شهماً بالغاً الغاية
من النظافة . وإذا أتيحت لك إتمام الدروس بقلب سليم ونية لم يعترها
شوب فلن يهمني أبداً أن تكون معرفتك باللاتينية كاملة أو
مبتورة »

(لم يكن الغرض الألمان بكثير من حقائق الأشياء بل
الوقوف على حقيقة شيء واحد والتخصص له حتى يتيسر لك

(الانتفاع به)

(إذا غلطت فلا تخادع نفسك بأنكار غلطتك إذ الواجب

منذ تكوين العرش إفشاء البيض الفاسد بألقائه بعيداً عنه)

(إن يكن الصواب معك فاكبح من جماحك واكسر

من حدة طبيعتك وإن لم يكن معك فاكظم غيظك فأن كظم

الغيظ يعصمك من الزلل)

(صاحب الذوق السليم ينتزع حمة النحلة من غير أن

يلسع بها)

(من تجاريبي في الحياة أن الكبرياء سلاح صالح للقوي

وسبب لفناء الضعيف)

(إذا هببت من النوم في صباحك فلتكن على علم يقيني بما

أنت معتزم القيام بعمله في نهارك، هذا إذا وددت أن تنام في

المساء معتبطاً بنفسك)

(ليس الذي يهدم صرح الصحة هو ما يقضيه المرء في نهاره

من ساعات العمل بل ما ينكب عليه من أعمال أخر في غير هذه

الساعات)

(إذا عملت بالمبدأ الذي سأذكره لك بعد فقد حصدت مغبة

أمرك. أظفر على الفور بكل ما يعرض عليك أو يقدم إليك.

تلك كانت العادة التي درجت عليها ولا سيما في إبان أُمري، فإنه

بالدودة الصغيرة تصاد سمكة أكبر منها وبهذه السمكة تصاد أخرى تعدلها في الحجم مرات كثيرة وهكذا حتى تصاد السمكة الجديرة بأن تهيأ طعاماً مريئاً للآكلين)

(لا يهمنك أن يكون عملك خطيراً أو غير ذي بال فأنتك ما دمت ناهضاً بأعبائه فقد حولت الأنظار نحوك واستدرجت الناظرين إلى الأعجاب بك . واعلم أن من الأعمال ما يشبه الزيت في طبيعته لا يمكن أن يمتزج بأي سائل من السوائل)
(المرأة التي تبصر بصورتها منقوشة في الدولار لأكثر نساء العالم تجرداً من العاطفة فإذا شئت أن تكون لها ندا وطابت نفسك لمنازلتها ومكافئتها على صعيد واحد فقد وجب أن تدع العاطفة جانبا فإن الأعمال الجدية لا يصح أن تهيمن عليها العواطف)

(ينبغي في محادثة رجال الأعمال رعاية جملة من القواعد والمبادئ في النهاية القصوى من البساطة وسهولة الفهم وهي :
أولاً أن يكون عندك من الشؤون ما تريد الجهر به . ثانياً أن تضع مرادك في قالب مقبول من القول . ثالثاً أن تلزم الصمت بعد ذلك)

(دع الكلمة الأولى للحق والخيرة للنساء)
(من لم يطع إلا وأمر يعجز عن إعطائها)

(تردد قبل أن يفوه لسانك بكلمة عتب ولا تدع فرصة
حتى تغتنمها للنطق بالقول الطيب والكلام العذب)
وغني عن البيان أن التاجر الذي تلك غرر نصائح ودرر
حكمه البالغة لفى طليعة المجربين العارفين بأسرار الحياة والحكماء
الجديرين بأن يهتدى بهديهم ويستضاء بنورهم



الاعلان

لا يكفي في نجاح التجار والزراع والصناع أن يكونوا على إرث من الأمانة والقصد وحب الترتيب وقوة الابتكار ، كلا فأن هناك عاملاً جديداً أقوى من هذه العوامل في توكيد النجاح ولم يكن هذا العامل موجوداً ولا مألوفاً من قبل إذ لا يتعدى تاريخ ظهوره وإقبال الطبقة المنتجة عليه أوائل الثلث الأخير من القرن التاسع عشر . وما كاد يظهر ذلك العامل حتى انقلبت العادات المرعية في ترويج التجارة رأساً على عقب وثار ثائر التنافس بين المنتجين وتحول محور الأقبال على التجارة من قطب إلى قطب آخر واشتدت المكافأة في ميدان الكفاح للحياة وتضاربت المصالح التجارية وتعارضت المنافسات على شكل لم يكن معهوداً ولا معلوماً من قبل

ذلك العامل الجديد هو الأعلان المقنع الذي يساور قارئه
مساورة لا يخلص من عذابها إلا بتصديق ما جاء فيه من تمجيد
وإغراء بالأقبال في نهاية الأمر على الشراء . وقد ذاع الأعلان
في أربعة أركان العالم ورضخ لحكمه كبار التجار والصناع والمنتجين
وصغارهم كما أذعن بالطاعة له فريق المستنفدين ووقف بين الفريقين
متسلطا على نفوسهم ومستبدا بأرادتهم كالحاكم الجائر الذي تعنو
له الجباه ويمتد سلطانه في كل مكان . وأعجب العجب أن فرنسا
مع انخراطها في سلك الدول الكبرى والأمة التي أخذت بالقسط
الأوفى من العلم والحضارة ما برحت تتحسس في هذا الميدان ،
ميدان الأعلان لترويج تجارتها ، كأنها لم تقف حتى الآن
الوقوف الكافي على أهميته ولم تعترف له بالقدرة والتأثير في
هذا السبيل . فترى التجار يكرهون الأعلان عن تجارتهم بل
ويحتقرونه غالباً إذا استثنينا جملة من أصحاب المحال التجارية الكبرى
يعدون على الأصابع وهم لم يثابروا على الأعلان عن محالهم إلا بعد
أن أدركوا نفعه وأيقنوا صدق أثره ، وإلا فالسواد الأعظم منهم
يعدون الأعلان عملاً غير نافع فضلاً عن أنه يكلف النفقات
الفادحة التي هم في غنى عن بذلها . ولقد نشأ عن هذا التهاون
بل عن هذا الحرص الشديد على المال والتأخر في ميدان التنافس
التجاري أن الأنكليز والأمريكيين والألمان قبضوا بفضل

الأعلان على ناصية التجارة وملكوها زمام التصرف في الأسواق فأصبحت تجارتهم فيها رائجة دون التجارة الفرنسية . وما ذلك إلا لأقبالهم على الإعلان عن متاجرهم وعدم ضياعهم في هذا السبيل بالمال مهما بلغ . ببلغه

وإنه ليكفي القارئ ليوقن هذه الحقيقة أن يتصفح الصحف اليومية والمجلات الدورية في تلك الأقطار إذ يرى أن صفحات برمتها قد خصصت للإعلان وأن طبقات التجار على اختلاف ثروتهم مقبلون كل الأقبال عليه وأنهم لا يفوتهم النشر عن الاختراعات الحديثة مهما صغرت ولا عن أي حادث ولو تافه له مساس بالأشغال التجارية ولا عن الاستكشافات في كل باب ومطلب ، يلفتون بذلك إليها أنظار القراء ويلقون ذكرى فائدتها ونفعها في روعهم فلا يحجمون عن طلبها إذا احتاجوا إليها . ومن الدلائل الناهضة على أن الإعلان جم الفائدة أن دائرته آخذة بالاتساع على الدوام وأن ثروة المعلنين ما برحت في نمو مستمر وأن أبواب الأسواق ما زالت تفتح كل يوم لمختلف البضائع كتب المستر (هـ . ويزبي) في عدد جريدة (اندبندنت) التي تصدر في مدينة نيويورك بتاريخ ٤ فبراير سنة ١٩٠٤ أن التجار والصناع في الولايات المتحدة ينفقون على الإعلان في كل سنة ٥٠٠ مليون دولار أي ١٠٠ مليون من الجنيهات أي قدر ما

تنفقه حكومات روسيا وألمانيا وفرنسا والنمسا وأسبانيا معاً على
جيو شهرن . وفي سنة ١٩٠٥ أخبرنا المستر (كوللنس) والمستر
(هولدن) أن تقدير نفقات الإعلان بالولايات المتحدة الأمريكية
يختلف من ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ مليون ريال أى من ١٢٠ إلى ٢٠٠
مليون جنيهه . وقال المستر (ويزبى) أيضاً : (إن الاعتماد على
الإعلان يزداد بالتسارع نطاق التجارة فقبل الحرب الأهلية التى
شب ضرامها فى الولايات المتحدة كان الناس يعدون مبلغ الثلاثة
الآلاف دولار (٦٠٠ جنيهه) الذى خصصته شركة (فيربانك)
صاحبة معمل الموازين لترويج مصنوعاتها بالإعلان تبذيراً لا
مبرر له . أما الآن فقد أصبح هذا المبلغ وأشباهه مما ينفق صغار
التجار أضعافه فى هذا السبيل ، لأن تلك الشركة عينها قد
خصصت لميزانية الإعلان عن مصنوعاتها ٧٥٠٠٠٠ دولار
(١٥٠٠٠٠ جنيهه) سنوياً . وهناك شركات كثيرة للصناعة
والتجارة تنفق الواحدة منها لترويج بضائعها بالإعلان مثل هذا
المبلغ أو ما يقرب منه قلة أو كثرة . فشركة الصابون المعروف
بصابون (ساپوليو) تعلن عن مصنوعاتها من هذا الصنف منذ
نحو الثلاثين عاماً وكانت تنفق فيه نحو ٣٠٠٠٠ دولار فى السنة
(٦٠٠٠ جنيهه) أما الآن (أى فى سنة ١٩٠٤) فيبلغ ما تنفقه فيه
يومياً ألف دولار . والمخازن الكبيرة للمبيع بالقطاعى فى الولايات

المتحدة وهي التي على نحو مخازن (البون مارشيه) و (الوفر) في باريس يخصص الواحد منها بمدينة نيويورك نحو أربعة ملايين دولار في السنة للأعلان عن نفسها في الصحف . أما في شيكاغو فالأعلى فيها عن البضاعات أكثر ما يكون ذيوغاً بالبريد إذ ترسل الأعلانات والكتالوجات المبينة لأثمانها إلى أفراد الجمهور بأسمائهم وعناوينهم . وقد بلغ من بذل أحد مخازن التجارة المعروف بأسم (سيرس ريهوك وشركاه) أن نشر في أرجاء المعمور كتالوجاً في شكل مجلد ضخيم وزن أربعة أرتال وفيه ١٢٠٠ صحيفة في كل صحيفة ثلاثة أنهر وقد اتفق أصحاب المخزن في تصديرها إلى مختلف جهات العالم ٦٤٠٠٠٠ دولار (أي ١٢٨٠٠٠ جنيه)

وقد يصطبغ الإعلان أحياناً بصبغة يبدو لغير الأمريكيين أول وهلة ، أنها من ضروب التهوس في المبالغة ومجـاوزة الحد الأليق . من ذلك أن أحد الشبان الممثلين في نيويورك اعتمز التطوح في غمار التمثيل الجدي يلتمس من ورائه المال والشهرة فتلقى من إحدى شركات الأعلان كتاباً تقترح عليه فيه ، إذا أراد لفت الأنظار إليه ، أن يذاع عنه أن اللصوص سطوا عليه ليلا مدججين بالسلاح وأن يذكر في خبر هذا الحادث أن آثار دم استكشفت على الأبواب والجدران الخ ، كل ذلك بمبلغ لا

يزيد على مائة دولار

ومن ثم يحزر القارىء مقدار تطلع الجمهور لمشاهدة ذلك
الممثل الذى كاد يودى اللصوص بحياته وتشوقهم إلى تقدير
كفاءته فى فنه

ومن الأساليب الاعلانية المتبعة فى أمريكا أن تاجراً
بمدينة بوسطن ، اسكى يلفت الأنظار إلى محل تجارته ويستوقفهم
أمام معروضاته ، وضع جملة سلاحف تحمل كل منها على ظهرها
حرفاً من أحرف اسمه ولقبه وخصص جائزة جنيتين لمن يثبت
وهو واقف لرؤيتها أنه شهدها فى وضع يستطيع معه تلاوة الاسم
بحسب الترتيب الطبعى لحروف هجائه . ومن ثم كان الناس
يتزاحمون بالمناكب أمام حانوته

وقد يكون فى هذا الأسلوب وما يجرى مجراه من
الأساليب المبتكرة للأعلان شيء من المبالغة وتجاوز الحد ، ولكن
القوم لم يغفلوا عن طرق أبواب آخر للأعلان ليس فيها ما يخالف
المعقول فضلاً عما تفضى إليه من الفوائد والمزايا الجليلة . فأنما
الغرض من الأعلان لفت نظر الجمهور الراغب فى الاشتراء
والاستئثار بانتباهه ويؤثر ذلك فى ذاكرته أثراً لا يكون لها
معه مفر من حفظ اسم الشيء المعلن عنه وشكله ولونه . ولا تنس
ما لاختيار الألفاظ والجمل والعناية بالصور والألوان التى تصور

بها من صادق الأثر في استدراج المشتري إلى الاشتراء . والقاعدة العامة في الأعلان أن يتوافر فيه ما يحفز النفس إلى الالتفات بدون بذل مجهود عقليّ ما . ففي وسع المعلن أن يتفنن في أساليب الأعلان بحسب ظروف الأحوال وعلى مقتضى طبيعة النشر فيوقظ في نفس الجمهور مثلاً حب الاستطلاع أو شعور الفزع أو الحزن أو يحفزها إلى الاهتمام بأمرها . وأن الكلمة الواحدة مسطورة بحيث تتراءى لعيون النظارة كأن تكون مكتوبة بأحرف مجوفة ، والجملة التي لقصرها وبلاغتها يدل مبناها في الحال على معناها والصور المبهجة بألوانها الساطعة المتلازمة لمن خير الذرائع إلى الأعلان وأدعائها إلى رواج الشيء المعلن عنه وهالك طائفة من الأمثلة على ما تقدم يمكن التفنن في تنويعها :

أبدا

لن تجدوا فرصة أنسب ولا أجزل فائدة من
الأقبال على اشتراء أنواع الأقمشة

المعروضة في محلات فلان وشركاه

انتظارك

حتى يفسد المرض صحتك ويسطو على جسمك وبحثك عن الطبيب
بعد ذلك تلتمس منه الشفاء لمن فساد الرأي وسوء التدبير

فاذا شعرت بمرض فبادر من فورك

إلى عيادة فلان في جهة كذا

أنت مدعو الى تناول الطعام

في مطعم كذا بشارع كذا

حيث في مقابل خمسة قروش تستطيع أن تأكل الخ

وقد اخترع أحدهم دواء لعلاج مسامير القدم (الكالو) فجعل
عنوان إعلانه عنه كما يأتي :

الى كل من له قدمان يمشى عليهما

ثم أنشأ يطنب في مدح دوائه

يمكنك السير باستمرار ومن غير تعب

إذا اشتريت أحذيتك من محل فلان بشارع كذا

انى بصحة جيدة
فهل لك ان تقول ذلك عن نفسك
سؤال صدر به إعلان عن بعض الأدوية النافعة للصحة

لاتقرأ هذا الاعلان

إذا كنت لا تريد أن تعرف أن أجود . . الخ
واغتم في أيام الانتخابات لمجلس النواب أن تطبق حوادثها
على إعلانيك فتجعل عنوانه كما يأتي :

إن ١٤٨١٢ صوتاً

لا تقي بمدح مزايا ورنيش الجزم الخ

ولك أن تستثير في نفس الجمهور غريزة الاستطلاع بأن
تجعل عنوانك كما يأتي :

إن ما سيراه الناس اليوم

هو

العرض الكبير لبضائع . . . في مخازن . . .

وقد نشر أحدهم إعلاناً أعرب فيه عن ارتياحه من إفلاسه
إذ جعل عنوانه كما يأتي :

لقد افلسنا !

ووضع علامة التعجب في نهاية هذا الخبر من شأنه أن
يزعج خواطر القراء وأفكارهم فيما يتعلق بالمعاملات التجارية
فيكون هذا الأزعاج من بواعث انتقاشه في ذاكرة القارئ
ومبادرته من فوره إلى اغتنام هذه الفرصة التي سيكون انخفاض
السعر أساساً لها

ولك أن تعتمد على آداب اللغة والسياسة في ترويج بضاعتك
على شرط أن تجعل الارتباط وثيقاً بينهما والحوادث الحاضرة .
ولنطرح على نظر القارئ جملة من الأمثلة على ذلك :

في بيوت النساجين

« .. أول ما يقع عليه النظر إذا أقبلت على بيت النساج
ذاك الدجاج الجميل وقد نشر أجنحته ليصقلها بأشعة الشمس
ولأنك لا تكاد تتخطى عتبة حتى ترى شاباً جالساً إلى النول
تروح أجزاءه وتغدو تنسق خيوط الحرير بألوانها الزاهية المختلفة
والى القرب من هذا الشاب عجوز قوس ظهرها الهرم لا تقفأ

تدير بيدها عجلة المغزل . أما نافذة البيت فيطل الرائي منها على
منظر خلوي من أبدع ما رآته العين فمن أثوار تتقاطر إلى حيث
ينبغي أن تعاود صاحبها على الحراثة إلى مزارع ناضرة تمتد
كبساط سندسي حتى تتواري خلف الأفق »

وتستدرج حلاوة الموضوع وطلاوة الانشاء الروائي
القارئ بعد ذلك إلى استيعابه مطالعة فلا يخرج في النهاية منه
إلا إلى الأطناب في مدح فوائد الشراب الأمريكي المعروف
بمنقوع تشاكرس

وقد يبني الأعلان على استفزاز عواطف الرحمة في نفس
القارئ فيسهل بمثل :

« إنا لنستدر الرحمة من عواطفكم الوالدية أن توافونا بكل
بيان تهتدون إليه عن فتى صغير في الثانية عشرة من عمره . لم يعد
هذا الفتى إلى منزل والديه الوالدين منذ برحه في صبيحة أول
نوفمبر وكان يلبس بذلة من المخمل الأسود تطوقها حول الرقبة
كلفة من المثقب (الدانتيل) وقد مشوه في الأيام الأخيرة
بمنظرة أحد مشارب القهوة في طريق كذا يتعاطى قدحاً من
شراب — ديبونيه — »

وإذا بهذا الأعلان عن فقد غلام إعلناً عن شراب ديبونيه
المعروف . ويبنى أيضاً على ما يدخل من القول عداد المستغربات

أو المستحيات كما كتب في الأعلان الآتى :

« من الأنبياء التى هبطت الأرض من السموات العلى أن
القديس أنطوان الذى ضاعت الحيل فى استدراجه وإغوائه بارتكاب
الخطيئة قد وقع أخيراً فى خطيئة الشراهة والنهمة ، فقد روي عن
هذا القديس أنه نهش صاحبه من الرأس إلى القدمين . ولقد سئل
عن خطيئته وعن السبب فى شراهته ونهمته إلى هذا الحد فأجاب
بأنه ما كان لمدمته إلا أن تتسع لكل مأكل كؤل منذ اعتاد تعاظمي
شراب — فويانتين — وهو الشراب الكوثرى الذى يصنعه
رهبان الدير فى ليموج »

ويبنى على الفكاهة الباريسية كما فى الأعلان الآتى عن

مطعم :

« زعم جوزيف پرودوم أن الاجتماع الانسانى أصبح مهدداً
بالأخطار وقد شوهد يوماً وهو باسط كفيه إلى السماء يصيح
بصوت تخنقه العبرة : — إلى أين نحن سائرون ياربى وفى أى
طريق نحن مسوقون ؟ فأجابه جافروش مستنكراً : إلى أين
نحن سائرون ! وفى أى طريق نحن مسوقون ! الأمر أهون من
أن تختار فى السؤال عنه . نحن سائرون نحو مطعم بوستوك . فأى
الاثنين أجافروش أم جوزيف پرودوم أميل إلى الصواب ؟ أولهما
بلا ريب بدليل أن پرودوم هو الذى اقتفى أثر جافروش فى ذلك

الطريق . ولقد عاد من هناك وملء صدره الانشراح والسرور
وعلى استعداد لأن يذهب مذهب الديكتو بانجلوس في الحياة
وأن الأحوال في هذا العالم الأرضي جارية على خير ما تجرى عليه
في العوالم الأخرى »

ويبنى على آراء الفلاسفة والحكماء في مثل الأعلان الآتي :

حول الزواج

آراء لوثر وسقراط وبيكون

« خلاصة رأى لوثر في هذه المسئلة الخطيرة : — أنه ليس
على وجه الأرض من سعد باتخاذ حليمة له — وذهب سقراط
الحكيم هذا المذهب حيث قال : -- إذا تزوجت فأنتك تندم وإذا لم
تتزوج فأنتك لن تندم أبداً — وقال باكون أكبر فلاسفة
انكلترا : — إذا كنت شاباً فلا تتزوج وإذا ناهزت الشيخوخة
فلا تتزوج أبداً — تلك هي أقوال أولئك الحكماء الثلاثة ، ولك
أن تعمل بها وألا تعمل . فاذا عن لك ألا تأخذ بها ورأيت أن
الزواج خير لك من العزوبة فاعن العناية كلها باختيار الزوجة
السليمة البدن من العاهات والأمراض ، ذلك لأن مرض المرأة
وضعف بدنها ينبوع للنزاع والشقاق لا ينضب ولأن المريض
لن يكون ، ما دام متأثراً بمرضه ، رحب الصدر طيب النفس بل

يكون عصبي المزاج سريع الفئمة إلى الغضب والشر ومنغصاً
لحياة معاشره . ومن ثم جاءت ضرورة وجود حبوب بنك في
كل بيت وفي كل مكان . . الخ
وهاك مثالا آخر للأعلان روعي فيه ميل المرأة إلى الروائح
العطرية :

« إن المرأة إذا ماست في ثوبها الخز وسارت نحوك سيرها
الوثيد ارتفع حجاب أذنيك لسماع حفيفها اللطيف، وإذا أرسلت
إلى القلوب نظراتها النافذة الأشعة ففتنتك فأن أريج رائحتها
العطرية تحيط بك من كل جانب فلكأنك في جنات النسيم . وما
الروائح العطرية التي ينطبق عليها هذا الوصف إلا من تركيب
محل يبنو . . الخ »

وتصلح حوادث السياسة كقواعد يقام عليها الأعلان كما
في الأعلان الآتي :

المسيو بيشون في تونس

« قدم المسيو بيشون سفير الجمهورية الفرنسية ومعه رئيس
ديوانه والقومندان (باراً) لمقابلة الأمير محمد ولي عهد الأيالة
التونسية . ولقد تلقاه الأمير حفظه الله بمظاهر التجلة والاکرام
في قصر المرسى . وقد كان مما خلب عقل المسيو بيشون وفتن لبه

في هذه الزيارة ما وقع نظره عليه في هذا القصر الفخم من التحف الشرقية النفيسة كالسجاجيد والمطرزات الدقيقة وغيرها مما لا يوجد له نظير إلا في مخازن . الميكادو . بشارع الأوبرا رقم ٤١ »
وهناك ظروف دورية خاصة يكون الإعلان فيها جمّ الفوائد كإخلاء سبيل فرقة من الجنود أو تجنيد غيرها أو كابتداء السنة المدرسية أو كإنهاءها فأنك إذا تفننت في الإعلان على وجه يلفت إليه نظر هذه الطبقات المختلفة الكثير عدد أفرادها ضمنت لنفسك النجاح والرواج وحمدت غيب السرى من يقظتك بدون ريب

واعلم أن الإعلان على اختلاف صنوفه ، إعلاناتاً في الصحف أم إعلاناتاً موزعاً على السابلة أو ملصقاً على الجدران ، قد لا يحتاج إلى مثل هذه الحيل المراد بها جذب الجمهور إلى تلاوته ، فإنه إذا كنت ذائع الصيت معروف الاسم يكفي ذكر اسمك للفت الأنظار إليه . ولا تنس أن لألوان الحبر الذي تطبع بها الإعلانات أثراً مهماً في الإقبال على تلاوتها ، وأن أحسنها وأشدها تأثيراً في نفس القارئ الأحمر والأخضر والأسود . ولا بأس باللون الأبيض مظلاً بالسواد على رقعة زرقاء ، فإن حروف الكلام تبدو به واضحة للعين وضوحاً تاماً فضلاً عن أنها لا تبهج في المساء مرئية لها بينما تكون حروف الإعلانات

المطبوعة بغير هذه الصفة قد اندثرت معالمها وانطمست آثارها
بمحاكمة الظلام

واحذر الأسهاب في عبارة الأعلان لأنه مدعاة إلى
اختلاط الكلم وتراكب الحروف على وجه يتعذر على العين معه
استفسارها . وليكن همك التعبير عن مرادك في اختصار وتأكيده
بعبارة خالية من البيانات الفنية المعقدة ، وافسح بين السطور إذ
لا بد أن يتخللها الفضاء كما يتخلل صفوف المنازل الهواء ، وذلك
حتى لا تمل العين بسبب ما تستدعيه التلاوة من الجهد في مثل
هذه الأحوال . وبدهي أن الأعلان الذي يقرأه القارئ وهو
سالك سبيله أو وهو راكب مركبته وبدون أن يحتاج إلى
الوقوف أمامه أفعل في النفس من كل إعلان غيره ، واتخذ لكتابة
اسمك نوعاً خاصاً من أنواع الكتابة كأن يكون في اللغات
الأروبية بالحروف الرومانية أو المصرية أو القوطية الخ أنواع
الحروف في هذه اللغات . أو أن يكون في اللغات العربية أو
التركية أو الفارسية بالقلم الثلث أو النسخ أو الفارسي أو الرقعة
أو الكوفي أو الديواني الخ ، ولا تكتبه مرة أخرى إلا به . ذلك
لأن كتابة الاسم دواماً بنوع واحد من الحروف ينطبع في ذهن
القارئ . وينغرز في ذاكرته فيساور على الدوام خاطره بخلافه إذا
تنوعت كتابة حروفه في كل إعلان ، فإن أثره في الذاكرة لا

يلبت أن يزول

ومن أحسن وسائل النشر وأجداها أثراً الأعلان
بالمصنوعات الصغيرة الشائعة الاستعمال كالتقاويم السنوية والمراوح
وأقلام الرصاص وأنايب مناديل الطعام والمرايا الجيبية الخ فإن
المرء، لكثرة تداوله هذه الأشياء وترادف رؤيته إياها وشعوره
بها وهي على منضدة أو مكتب أو أي مكان بارز للنظر أو في
يده أو جيبه، يزداد علماً بالشئ المعلن عنه وإقبالا عليه حتى بعد
اندثارها لأن موضوعها يبقى عالماً بذهنه أمداً طويلاً

وإذا كان ما تروم الأعلان عنه عام الفائدة ويهتم به الناس
كافة فخير الوسائط للنشر عنه إعلان يلصق بالجدران مع آخر
يدرج في الصحف والمجلات الواسعة الانتشار. أما إذا كان مما
لا يهتم به سوى الخاصة أو طبقة معينة منها كأن يكون من
التحف الثمينة التي لا يقدر سوى الأغنياء على اقتنائها، أو أدوات
الزينة والتجميل الخاصة بالنساء أو من الكتب الفنية في موضوع
علمي معين فلا يكتفى بالنشر عنه في الصحف والمجلات الباحثة
في هذه الشؤون كل منها على حدته بل يبعث بها بيان مستقل على
يد البريد بمنواين أفراد تلك الطبقات المختلفة من الناس، فأدوات
الزينة والتجميل ينشر عنها في مجلات الأزياء والآلات أو
الكتب الفنية في علم أو صناعة ترسل إلى الفنيين بواسطة البريد

في بيان خاص يتضمن صورها وشرح مزاياها الخ . وكلما كانت هذه البيانات حسنة المرأى بجودة ورقها وطبعها ازداد أثرها في النفس ولا سيما إذا تعددت الألوان والصور المتقنة

أما الأعلان الصغير المندس بين الأعلانات الكبيرة المهمة فلن يكون له أثر في نفس قارئه إلا من ناحية كونه يحول دون ثقته به وتصديقه ما ورد فيه . والحق يقال فأن القارئ يشك في فائدة الأقبال على محل تجارة يضمن إلى هذا الحد على النشر عن الأصناف التي يحتويها . والواجب ، ما لم يكن التاجر ذائع الصيت شهير الاسم في جميع الأرجاء ، ألا يقل ارتفاع الاعلان في الصحيفة عن عشرة سنتيات أي قدر ما يحتوى من عشرة أسطر إلى خمسة عشر سطرأ بأحرف يحسن اختيارها من بين الأحرف الواضحة التي تلفت النظر بحسن تنسيقها . ولقد صدق من قال إن خمسة أسطر مجوفة الأحرف خير من خمسة عشر سطرأ دفيقتها وأصدق منها أثراً في نفس القارئ

وأشار أحد الخبيرين بضروب الأعلان إلى صنوف التأثير الذي تؤثر مطالعة الأعلان به في نفس القارئ فقال :

« أول إعلان ينشر للدفعة الأولى لا تقع عليه عين القارئ »

« النشرة الثانية منه يراها القارئ ، ولكنه لا يقرأها »

« النشرة الثالثة يقرأها »

« النشرة الرابعة تدعوه تلاوتها إلى التأمل ملياً في سعر
الشيء المعلن عنه

« النشرة الخامسة تستفز للاحتفاظ بعنوان صاحب الإعلان

« النشرة السادسة تحمله على التحدث إلى امرأته في الشيء

المعلن عنه

« النشرة السابعة تحبب إليه شراءه

« النشرة الثامنة يقدم بعدها على شرائه

« النشرة التاسعة تدفعه إلى مخاطبة أصدقائه في الشيء الذي

اشتراه وإرشادهم إلى الإعلان المنشور

« النشرة العاشرة يتحدث هؤلاء الأصدقاء على أثرها إلى

نسأهم في موضوع الإعلان

« وتكون النتيجة بعد هذا كله أن الإعلان لا يأتي بالفائدة

الرجوة منه إلا إذا نشر عشر مرات على الأقل »

والمثابرة ألزم في هذا المقام منها في غيره . وليس النجاح فيه

إلا ثمرة الأناة وطول الصبر . واجعل نصب عينيك أنك إذا لم

تجهز بالقول ولزمت انصمت فقد جهل الناس وجودك وأن من

يرد أن يسمعه الناس فليرفع صوته عالياً ، ولكن لا يفوتك أن

من بين الآذان آذاناً ينبغي الترفق بها في إنفاذ صوتك إلى

صماخها لأن صاحبها قد يكون ممن لا يصدقون إلا بالبرهان

المقنع والحجة القائمة فلا بد من حسن الحيلة في تزجية مرادك إلى يقينه ، وليكن شأنك كذلك مع المتغافل وغير المكترت وإن تكن طامحاً إلى إعلاء شأن محلك التجاري بتوسيع نطاقه وزيادة رأس ماله فضع لنفسك نظاماً لن تحيد عنه في إتمام أرباحك ومضاعفتها بقوة الأعلان عنه . واعلم أن كل الصيد في أن تنثر اسمك في كل مكان وتبثه بين الناس وتلقح به ذاكرتهم حتى لا ينساك أحد ، واعمل على ترويج بضاعاتك ملحاً في ذلك وملحفاً حتى تخرج عن العادة التي ألفوها ، وهي الانصراف عن الأعلان وقلة الاكتراث به . واعلم أنك في جهودك التي ترمى بها إلى هذا الغرض قد لا تصادف النجاح المأمول ولكنه خليك بعاليهمة ألا يدع القنوط يتسرب إلى نفسه من جراء هذا الفشل ولو تكرر ثانية وثالثة ، فأن بالمثابرة وحدها مقترنة بشيء من التشبث والألحاح في ملاحقة الجمهور بالأعلان عن تجارتك تستطيع أن تهر النزعة التي ينزع إليها بطبيعته وهي قلة المبالاة بالأعلان . والواجب عليك أن تكون جهودك موجهة كلها إلى غاية واحدة : نقش اسمك أو العلامة التي تختارها شعاراً لحل تجارتك في الأذهان . وهذه النتيجة لن تجني ثمرها إلا بالأعلان المتتابع في الصحف الرائجة والمجلات التي يقبل الناس على تلاوتها

القسم الثالث

في الصحة

جودة الصحة خير من الغنى الوافر

شالنامہ سقا

تجدید

الحالہ زمانہ میں قصیدہ

١ النظام الغذائي

الصحة أتم كنز يحرزه المرء في حياته لأنها تمكنه من
من مواجهة الحياة بثبات المصارع الوثيق القوي يواجه وحشاً
ضارياً مقبلاً عليه لافتراسه . ذلك الكنز بل تلك الهبة الربانية
العجيبة بل ذاك التوازن الصحيح بين الوظائف العضوية بل
الاعتدال الذي يراه العالم رأى العين من غير أن يجد له تعليلاً إنما
هو الذي فرطنا فيه واستنكرناه فلم نحطه بشيء من العناية والرعاية .
وترانا لما اتصفنا به من جهل وغباً لا تمتد جهودنا إلى الاحتفاظ
بذلك الكنز النفيس بل إلى التفريط فيه بالانصراف عنه إلى ما
عداه من المقاصد ولو كانت بليغة الضرر والأذى ، في حين أن من
أقدس واجبات المرء وأولها وأولها بالأداء الدفاع عن ذلك
الأثر الجليل الذي هو خير من الكنوز والنفائس والأعلاق

وبم تصان الصحة ويكون الدفاع عنها ؟ برعاية أصول علم
الصحة والعمل بقواعده ووضع نظام للتغذية واف بالغرض
وتطبيق هذه الأصول والقواعد على الجسم في حالتي العمل من
حيث صلابته ومبلغ مقاومته ، وعلى الأهلية الجثمانية والعقلية
الواقع المحسوس هو أننا لا ندرى كيف تنفس ولا كيف
نمشى ولا كيف ننام ، وأننا نهمل العناية بعضلاتنا كما نسيء
التصرف بأعصابنا ونمهد الطريق للجراثيم الأمراض تسلكه إلى
جسومنا فتصيبها بشروورها وتفتك بها الفتك الذريع . لذلك كان
حقاً علينا جميعاً أن نتفاوض في خير الوسائل لوضع الخطط
الكفيلة بدفع طغيان تلك الجنود المجندة من الجراثيم حتى لا
تختصر حصون جسومنا وتنفذ إليها من ثغرات أسوارها ، وأن
نتعلم كيف نأكل ونشتغل وكيف نستريح ونتنفس وننام .
وليس هذا الأمر بالعسير علينا أن نصل إلى غايته ، فإنه بصدق
العزيمة وحسن الإرادة يستطيع المرء أن يصبح متين بنيان
البدن وثيق أركانه وأن يكون جندياً لا يقهر في ميدان التنازع
على الحياة

اعرف ذاتك بذاتك - أصنع إلى هذا القول الحكيم وخذ
به . فقد قيل إنه مما يخلق بالمرء أن يتحقق مزاجه الأصلي الغالب
ليطبق عليه ما يناسبه من قواعد الصحة والتغذية والرياضة .

ومعلوم أن الأمزجة المثلثي أربعة هي : المزاج اللنفاوى والمزاج الدموى والمزاج العصبي والمزاج الصفراوى . وقد بينا فيما تقدم الصفات المميزة لها فليرجع القارىء إليها في موضعها ليزداد بها علماً وليستنتج من مطالعتها أنه من النادر جداً أن يكون المرء متكيفاً بمزاج واحد من تلك الأمزجة الأربعة وأنه غالباً ما يكون متكيفاً بمزاجين أو ثلاثة تجتمع فيه كلها بدرجات متفاوتة إذ تكون الغلبة لواحد منها هو المزاج الأصيل له ويكون المزاج الثانى أو هذا والثالث تبعاً له . وذلك المزاج الأصيل هو الذى يعتمد عليه فى نسبة الإنسان إلى أحد الأمزجة ويحسب حسابه فى جعل تصرفاته وأعماله ونظامه الغذائى مترتبة على ما يوافقها من الحاجيات

النظام الغذائى - إن جهلنا بنظام التغذية لما تحمر له الوجوه خجلاً واستحياء فأنتك إذا سألت صاحب مطعم أو طاهياً أو ربة بيت أو أي امرئ فتوسم فيه العلم بنظام التغذية وما ينبغى للمرء أن يتطعم به وما يجب عليه أن يلفظه من الطعام ، بل لو سألت أحدهم عن القيمة الغذائيه لصنف ما من صنوف الغذاء فأنتك ستعجب العجب كله من إجابتهم على سؤالك ، إذ تستشف منها الجهل المطبق بحقيقة ما يعالجونه من الاغذية صباح مساء سواء من جهة الصحة أو من ناحية الاقتصاد المنزلى

والواقع أنه يمكن اعتبار المعدة موقداً والأطعمة وقوداً لها وأن ظاهرة الهضم تحدث أثناء ما يعتورها من التفاعلات الكيميائية بالاتحاد مع التنفس، الحرارة التي عليها قوام الجسم وبقاؤه ويرتبط بها تمثيل الأغذية المختلفة. وتقدر هذه الحرارة بالوحدة الحرارية (كالورى) التي يرى الفسيولوجيون أنها تتراوح من ٢٨٠٠ إلى ٣٠٠٠ وحدة في الشاب السليم البدن من الأمراض

وهاك بناء على أبحاث الأستازين (لاندوزى) و (لايه) مقدار الوحدات الحرارية التي تنتجها الأغذية الشائعة الاستعمال باعتبار أن كل غذاء منها وزن ١٠٠ جرام، ومنه يؤخذ أن وحدات الحرارة التي تحدثها ١٠٠ جرام من السمك هي ١١٣ وحدة حرارية:

١٠٠ جرام من	وحدات الحرارة
السلطة	١٢
الجمعة (البيرة)	٢٦
الكرب	٢٧
الفواكه الطازجة	٣١
الخضر الطازجة	٣٧
النبيذ	٥٥

١٠٠ جرام من وحدات الحرارة

٦٢	اللبن
٨٣	البطاطس
٩٤	اللحوم
١١٣	السّمك
١٣٣	لحم الخنزير الطازج
١٥٣	البيض
٢٥٥	الخبز
٣٤٥	الأرز
٣٥١	فخذ الخنزير المملحة (الجامبون)
٣٦٢	الخضر الجافة والنشويات
٣٨٠	السكر
٤١٥	الشكولاته
٤٦٦	الجبّين
٧٥١	الزبدة

ويمكن الحصول على ٢٨٠٠ وحدة حرارية بتناول المقادير المعينة إزاء الأطعمة المبيّنة فيما يلي :

الطعام	المقدار بالجرام	وحدات الحرارة
الخبز	٦٠٠	١٣٥٠
اللحم	٢٨٠	٢٦٣
السمك	٥٠	٥٦
البيض	٣٠	٤٥
الخضار الطازجة	٢٠٠	٧٤
البطاطس	٥٠	٤١
النشويات	٤٠	١٤٤
الفواكه	٤٠	١٢
الزبدة	٢٠	١٥٠
الجبن	١٠	٤٦
السكر	٢٠	٧٦
النبيذ	٦٦٠	٣٦٣

المجموع ٢٠٠٠ جرام ٢٨٠٠ وحدة حرارية
 ومقدار ما يلزم المرء من الطعام في اليوم يزن كيلوجرامين .
 والذين تضطربهم أعمالهم إلى المسكوث والاستقرار في مكان لا
 يحتاجون إلى مثل هذا القدر من الطعام بل يضرون أبدانهم إذا
 هم تناولوه . وقد يكفي الواحد منهم أن يقتصر في نهاده وليله من
 الأطعمة على ما لا يتجاوز المقادير الآتية :

الغذاء :	جرام
خبز	٣٥٠
لحم	١٥٠
خضر طازجه	١٠٠
بطاطس	٢٠٠
لبن	٢٥٠
سكر	٤٠
زبدہ	٢٥
أرز	١٥
فواكه	١٠٠
نبيد	٥٠٠
قهوة البن	١ كأس

وهذه المواد بمقاديرها المعينة تنتج ٢١٠٠ وحدة حرارية
أما الذين تدعوهم أعمالهم إلى بذل الجهود البدنية المستطيلة
المتعبة فلا بد لهم من مجاوزة هذه المقادير على وجه يستطيعون
معه استحداث مقدار من الوحدات الحرارية يتراوح بين ٣٢٠٠ و
٣٦٠٠ وحدة وألا يجعلوا اللحم متسككهم في الحصول عليها لأنه
لا يعطي سوى ١٠ في المائة من المواد الزلائية وهيدرات
الكربون والشحم وكلها من المواد الذي يحتاج البدن إلى التغذي

بها بل على الخبز واللبن والبيض والأرز والفاصولياء والعدس والفواكه والسكر وكلها تحتوى من تلك المواد ٢٣ فى المائة . ومن المقرر أن كيلو جراماً واحداً من البقول كالقول والفاصولياء والعدس والبسلة يعدل ثلاثة أرطال ونصف رطل من اللحوم ويحتوى الخبز واللبن والبيض جميع العناصر الضرورية للتغذية فهي حرة إذاً بأن توصف بوصف الأغذية الكاملة . ويتلوها فى قوة التغذية الأرز والنشويات واللحوم الحمراء من البقر والضأن . أما اللحوم البيضاء من العجل والدجاج والخنزير والبقول الخضراء ، فأضعف مما تقدم فى قوة التغذية إذ العناصر المغذية فيها أقل منها فى تلك

أما السكر فهو الغذاء النافع ولا فخر ، بل هو المجدد للقوى والمصلح للبدن والذاهب بآثار التعب والمعوض لما فقد من الغذاء على اختلاف صنوفه والذي تظهر آثار فائدته جلية للأنظار بدون أن يعرف الناس علة نفعه ويستطلعوا سر فائدته . ولقد أقاموا على هذا الجهل زمناً طويلاً حتى برز لهم الكيميائي الكبير (داماس) معلناً لهم قوته الغذائية وتأثيره المصلح للجسم

ومن الأطعمة الجزيلة الفوائد السمك ، فإن الفسفور الذى يحتويه ينبث فى تكوين الهيكل العظمى والمجموع العصبي ومن ثم كان حتماً على كل من يشتغل بعقله وعلى الأطفال أن يأكلوا

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

السّمك ما استطاعوا ليعاونهم على النّمو . ويؤخذ من أبحاث
الأستاذ (متشنيكوف) من معهد (بستور) أن اعتياد شرب
اللبن كل يوم يذهب بآثار الهرم ويطيل الحياة وما ذلك إلا لأن
اللبن يحتوى جرثومة من شأنها أن تبديد المكروبات الضارة التي
تعيش في الأمعاء الغلاظ بمقدار لا يحصى عدده

ويحتوى الخرشوف مقداراً وافياً من التّنين . ومن ثمّ عدّه
الأطباء من الأغذية الممتنة للبدن والقابضة والمضادة للأسهال
والمدرّة للبول . أما الكرنب فليكونه عسر الهضم لا يناسب
أرباب المعدّات الضعيفة ، والأسفاناخ ملين شديد الفعل ولذا
سموه «ممكنسة الأمعاء» ومن خواصه كالكرات تنقية اللون
ومن مزايا الحمّاض أنه يسهل الهضم ، ولهذا يحسن بمن
لهم استعداد للأصابة بالحصوة الامساك عن أكله تماماً
بالنظر لما يحتويه من أوكسيد الأوكساليك بمقدار وافر .
أما الطماطم ففاتح للشهية ومرطب وليكنه لعين الأسباب التي
ذكرناها بشأن الحمّاض يحسن بالمصابين بالنقطة والحصوة
ووجع المفاصل (الروماتزم) أن يمسكوا عن أكله . والكرفس
إذا أكل نيئاً تعذر هضمه ولكن أكله باعتدال يفيد المرضى
بالأعصاب ، وإذا طبخ أفاد المنقوتين فائدة جلي .

والهليون المعروف باسم (كشك الماز) مدرّ للبول

والواجب ان يؤكل طازجاً لمتحقق فيه هذه الفائدة . أما البطاطس الذى يميل إلى أكله أصحاب المعدات السليمة القوية فهضمه غير مستطاع لأصحاب المعدات المتعبة إلا إذا عجن عجناً ، والخس مرطب ومفيد فى التهابات المعدة وأمراض السكى ، والمقدونس ممتن ومهيج للعرق ومدبر للبول وقاتل للديدان المعوية وقاطع للحمى . وهو يجرى شهية الطعام ويسهل الهضم . قال ذلك وأيده الدكتور (مونا)

وحذار من إنضاج الخضر فى الماء الغزير كيلا تفقد ما تحويه من الأملاح والمواد الأزوتية الداخلة فى تركيبها . والشليك (التوت الأفرنكى) يحتوى مقداراً بالغاً من حمض ساليلىك ولذا كان مفيداً للمصابين بتصلب الشرايين والنقطة ، ويقول الأستاذان (بلان) و (إميل جوتييه) أن الشليك الجاف إذا نقع كان من أجود الممتنات للمجموع العصبى وأفاد المشتغلين بالأعمال العقلية إذ يذهب بكل أثر لما يتكبدونه من التعب

الس الشوكى

وخواص الشليك مجتمعة فى القرمبواز (التوت الشوكى) إلا أن الأخير أسهل هضامه بكثير . وقد أوصى الأستاذ (فان سوتين) بالكرز غذاء صالحاً للمصابين بالهستيريا ومضاداً للأمراض الروماتزمية . أما الخوخ فهو فاكهة المصابين بالبول السكرى والدواء الناجع فى علاج قروح المعدة . والتفاح مضاد للتشنج ويقوم

مقام البرومور والمواد المنومة . والتين يفيد أصحاب الأمراض الصدرية فائدة جزيلة لاحتوائه الكثير من البيسين . والكثيرى إذا كانت باردة خيف منها على المعدات الضعيفة . والليمون قاطع للحمى فإذا أضيف إلى قهوة اللبن الساذجة قام مقام الكيين وأفاد فى علاج داء الاسقربوط (فساد الدم)

والبرتقال أخف سائر الفواكه على المعدة . ولوز الجاف قيمة غذائية لا نظير لها فهو إذاً عبارة عن كرات غذائية صنعتها يد القدرة الإلهية لفائدة الانسان . ويقول الأستاذ (أورهل) إن العنب ينبغى أن يؤكل بالطريقة الآتية : « إذا كانت صحة الآكل جيدة فليكتف بابتلاع لحم العنب دون قشوره وبدوره التى يجب أن يعرض عنها جانباً . فإذا كان مصاباً بالأمساك حسن اتخاذ العنب مسهلاً بأن تبتلع البذور مع اللحم وتهمل القشور . وبهذه الوسيلة يمكن استعمال العنب طعاماً مغذياً ودواء شافياً لا يجمع بين صفتيه هاتين غذاء آخر »

وفى قهوة البن تتوافر الصفات الممتنة للجسم لأنه شراب منعش وترياق مضاد للسم . والشاى إذا تعوطى صباحاً أفاد شارب به القوة والنشاط وسهل عليه التنفس ، أما إذا أخذ عقب السير الطويل والعمل المتعب فإنه ييث فى النفس الشعور بالهناء والاعتباط ويحرك فيها ساكن الهمة والنشاط

ويحسن بصاحب المزاج اللنفاوى اختيار الأغذية الممتنة للجسم
المعوضة لما يفقده كلحم البقر أو الضأن محمراً أو مشويا واللحوم
السوداء ولحم الأرنب البرى والتدارج (الديكة البرية) والحجل
والخيز الجيد النضج بمقدار وافر والبقول المرة الطعم المدرة للبول
مع الأقلال من الشراب . ويجوز له أن يتعاطى من آن إلى آخر
قدحاً صغيراً من شراب ما على أن يكون معطراً . أما النشويات
فالواجب عليه الاعتدال فى أكلها بسبب ما تحدثه من السمن فى
جسم الآكل ، واللفاوى من أكثر الناس استعداداً للسمن
والأغذية غير الصالحة له بوجه عام هي الأطعمة النيئة
وجذور النباتات على اختلافها والخس والشكوريا والاسفاناخ
والجزر والنباتات المرطبة المليئة

أما صاحب المزاج الدموى فيحسن به التقشف فى طعامه
وشرا به حتى لا يزيد عدد السكرات الحمراء فى دمه كأن يقتصر
على اللحوم البيضاء كلحم العجل والدجاج والأرنب الأهلى ويكثر
من تعاطى اللبن والخضر والفواكه الحمضية ويمسك عن
المشروبات الروحية إلا القليل منها عند مسيس الحاجة ، وإذا كان
الشراب نبيذاً فليشبهه بكثير من الماء . وقهوة البن الخفيفة مصلحة
لبدنه بخلاف المتبلات والعقاقير . وإذا كان بطبيعته يفرز جسمه
العرق الكثير فمن الواجب ألا يعمل بطريقة ما على منع هذا

الأفراز

والأصلح لصاحب المزاج العصبي أن يقتصر على الأغذية اللطيفة اللذيذة كالبيض والدجاج والألبان وسمك الماء العذب وأن يجتنب المنبهات كاللبن والشاي والمشروبات الكحولية وأن يكثر من أكل الخس والكرفس، وذلك لأن عصارة الخس المسماة (لكتوكاريوم) مسكنة للأعصاب. ومن خواص الكرفس إذا أكل نيئاً أن يصون الجسم من الاضطرابات العصبية ويقوى الأعصاب ذاتها ويشفى خفقان القلب. وإذا طبخت نفسه إلى شرب النبيذ فليتجر النبيذ الجيد والأشربة العطرية الحارة أو إلى الطعام قليلاً منه بقدر الأمكان مع إكثار عدد الوجبات والامتناع بالمرّة عن حمل النفس على تعاطي ما تكرهه.

والأفضل لصاحب المزاج الصفراوي اختيار الأغذية الكثيفة من اللحوم الحمراء مع الاكثار من النباتات والبعد ما أمكن عن المواد الشحمية والدقيقة. والأرز من أصالح الأغذية له كما أن قهوة البن من أضرها لبدنه. وعليه بالأشربة الغزيرة الخفيفة والأقلال ما أمكن من النبيذ والامساك بالمرّة عن بقية الأشربة الروحية. ومن أوفق الطعوم لمزاجه الفواكه الناضجة اللذيذة والخس والطماطم فإنه مصلح للكبد.

وأهل الأقاليم الحارة تجود صحتهم بالأغذية النباتية فهي بهم

أليق بخلاف أهل الأقاليم الباردة فمن الواجب أن يكون غذاؤهم حيوانياً والمواد الدهنية من أشد الأغذية ضرورة لهم . وليعلم أن الخبز الطازج غذاء ضار بالصحة يخالف لمصلحة البدن وذلك لتعذر مضغه فإذا وصل إلى المعدة كان وصوله إليها قبل أن يخضع لعملية المضغ وهي شرط أساسي لهضمه وإلا فإنه يتحول في المعدة إلى كرات ضخمة لا يؤثر فيها ما تفرزه المعدة من العصير الهاضم فيبقى فيها طويلاً على هذا الشكل ويكون سبباً في أمراض المعدة وغير خاف أن أمراض المعدة تؤدي على توالي الأيام إلى اضطراب الدورة الدموية وأوجاع الرأس والامساك والالتهابات المعدية ، وإنما الخبز الطازج الذي يقدم للآكل ساخناً ومكسواً بطبقة من الزبدة سم قاتل بلا ريب

ويحسن في تحريض الشهية تعاطي شيء من مرق اللحم بارداً قبل الطعام بساعة ، وعلى شرط تجريده من كل أثر للدهن وذلك لأن تعاطيه بهذا الوصف يساعد على إفراز العصارة الهضمية ويحرض شهوة الطعام . ومن أصدق الوسائل نفعاً في تحريض الشهية أن تنقع قليلاً من بذور الجزر في نصف لتر من الماء المغلي وتشرب بعض المنقوع بين طعامين ممزوجاً بشيء من العسل فأنك مع تحريضك شهيتك تتأكد هضم الطعام . ومن الأدوية التي في متناول أيدينا في حالة عسر الهضم المشروبات الساخنة

على اختلافها ولو كانت ماء صرفاً، فقد جاء في إحدى الصحف الطبية ما يأتي بالحرف: «إن لتعاطي السوائل الساخنة تأثيراً مهدئاً ظاهر الأثر في الغشاء المخاطي للمعدة ومسكناً للأوجاع التي تعقب تناول الطعام. وهو خير منه لوظيفة الهضم. والظاهر أن جودة صحة اليابانيين وصلابتهم وجلدهم على تحمل المشاق يرجع الفضل فيها إلى اعتيادهم تعاطي السوائل الساخنة ولا سيما الماء فإنهم يرتشفونه ساخناً في فصول السنة كلها. وهم يقولون أن الماء البارد يضغط على الأطراف وعلى تجاويف الكبد والرئة ويسبب السعال ويطفئ الحرارة الطبيعية التي عليها قوام الحياة» وراع النظام في مواعيد طعامك فإن أعضاء الجسم تتطلبه وتنادى به لميل فيها إلى سرعة التكيف بالعادات التي تدرج عليها وإلى أن تؤدي وظيفتها بسهولة ونشاط عند تحديد المواعيد لأدائها. قال الأستاذ (إميل جوتييه) في هذا الموضوع: «ليست الحياة في الحقيقة إلا قصيدة شعرية متقنة الوزن منسجمة القافية وما الكائنات الحية إلا آلة متقنة الصنع مضبوطة الوضع وما الإنسان في الحقيقة إلا أداة بالغة المبلغ الأقصى من الدقة والانتظام فكل وظيفة فيه جمالية كانت أم نفسية أم عقلية لها حركة اهتزاز منتظمة ومجرى للسير متسق لا يتعطلان إلا إذا وقع بالأداة اختلال غير منتظر يضطرب له ذلك النظام

البديع المنسق

« وإذا نظرنا إلى الواقع المشهود فأنا نرى أن لكل حادث من حوادث الحياة ميقاتاً وأن لهذه الحوادث تعاقباً متسقاً منظماً كتعاقب القوافي في القصائد الشعرية . وهو أمر تتضح بدايته لك إذا ضربنا لك المثل بضربات النبض وخفقان القلب وبالتنفس شهيقاً وزفيراً »

« ألسنا نستشعر بالحاجة إلى النوم كل يوم في ميعاد واحد؟ وحينما ننام مدة ما من الزمن لا يتغير متوسط طولها على ممر أيام السنة ، وحينما يقف بتعطيل حركة الأعضاء ونشاطها أثناء النوم تولد السموم أي المواد المتعبية للجسم وينشأ عن ذلك توازنه واعتداله أفلا نهض من نومنا مباشرة ومن غير عناء ويكون من شأننا حينئذ ما يشبه ساعة الميقات تدق كلما قطعت مدى الساعة في ستين دقيقة بلا زيادة ولا نقص ؟ »

« ثم ألم يكن الجوع والعطش خاضعين لمثل هذا الناموس وهل لم يكن في قاع معدة كل إنسان ساعة كرونومترية محكمة الضبط لا يسهل على الدوام والاستمرار الخروج عن دالاتها ومناقضة أوامرها وإرشاداتها؟ ليس فيما نستشعر به من حاجيات الحياة صغيرها وكبيرها حقيرها وشريفها إلا ويقع تحت تلك الملاحظة ، لأن الإنسان من أية ناحية تأملته وعلى أي وجه قلبته

لا ترى فيه إلا أداة متحركة بذاتها حركة ناشئة عن تفاعلات ميكانيكية وطبيعية وكيميائية منتظمة ومرتبة الأجزاء بحيث تتنفس كل ثائنتين أو ثلاث ثوان وتشعر بالحاجة لتناول الطعام في أوقات معينة وللنوم زمناً محدوداً من اليوم والليقظة بعد انتهائه الخ . وليس لأرادته المحدودة بذاتها والموزونة بدقة الوزن في الشعر والأيقاع في الغناء سوى تأثير نسبي في تلك الأداة »
وتعمل في تناول الطعام ولا تلاحق جوفك بسرعة الازدرداد كما يفعل المنهوم وجود المنغ حتى لا تكلف المعدة مؤنة عمل هو من اختصاص أسنانك لا من اختصاصها . وكل لقمة ترفعها إلى فمك ينبغي أن تمضغها عشرين مضغاً على الأقل ، فقد ثبت أن الغذاء الذي أجيد مضغه أصالح للجسم وأكثر تغذية له من الغذاء الذي يزدردد الأسكل ازدرداداً ، كما ثبت أن اللعاب والعصارة المعدية ينفرزان في هذه الحالة على أتم وجه ويمتزجان امتزاجاً جيداً بالمأكل فيسهل هضمه ويستفيد الجسم بأجزائه المغذية . وفي الأمثال الذائعة على الألسن : من أكل يبطء عاش طويلاً وهاك بحسب ما قرره الأستاذ (بومون) متوسط المدة اللازمة لهضم الأطعمة أو بعبارة أخرى متوسط مدة بقاء الأغذية الشائعة الاستعمال في قرار المعدة :

١	ساعة واحدة	الأرز والكروش والكوارع
١	» ٣٠ دقيقة	البيض النيء، والسمك
١	» ٤٥ »	المنخ المغلى
٢	» ٣٠ »	الفاصولياء والبطاطس المحمر
٢	» ٣٠ »	لحم الديك الرومية والأوز المحمر
٢	» ٤٥ »	لحم البقر المصلوق والدجاج المقطع إرباً
٣	» ٠٠ »	الدين المغلى والبفتيك ولحم الضأن المحمر
٣	» ٣٠ »	لحم البقر المحمر والأشماك المحمرة
٣	» ٣٠ »	الخبز الطازج والبيض المصلوق والجبن بالزبدة
٤	» ٠٠ »	لحم البط المحمر
٥	» ١٥ »	لحم الخنزير المملح
٤-٦	» ٠٠ »	لحم طيور الصيد

وإذا كان تناول الطعام طبقاً للشعور بالحاجة اليه مع رعاية مقتضى مزاج الآكل عملاً مهماً من أعمال الحياة فأهم منه وأشد خطراً الخروج عن هذا الواجب بأطلاق العنان للبطن تدلى إليها بكل مطعوم وكل مشروب في كل زمان وكل مكان ، فلا يلبث الجسم أن يصاب بما لا يعد ولا يحصى من الأذواء الخطيرة كالأمساك المستعصى والالتهاب المعوى والزائدة الدودية وغيرها من الأمراض التي ترجع في الواقع ونفس الأمر إلى الأمساك

الناشيء عن اختلال النظام في تناول الطعام
فمن الواجب المحتوم إذن أن تأخذ الأمعاء بتنظيم وظيفتها
لأن الأمعاء كالمعدة تلتزم الاعتقاد وتميل إلى تعيين وقت لها
من اليوم تؤدي فيه وظيفتها فعليك مساعدتها على التعود بهذه
العادة الصحية المحمودة بأن تعين وقتاً من يومك كالصباح ، تذهب
فيه إلى بيت الخلاء سواء أدعتك الحاجة إلى التبرز ألم تدعك
فأنك في الحالة الثانية لا تلبث أن تتعود إخلاء جوفك من
فضلات الطعام في ساعة معينة من اليوم بما يترتب عليه نهوض
الأمعاء بعبء واجبها في وقت معين منه أيضاً . فإذا استعصى
الأمر عليك ولم تستطع تعويد نفسك هذا النظام بالرغم مما
بذلته من الجهود في سبيله فعليك باتباع الطريقة التي سأشرحها
لك وتطبيقها على جسمك وأنت في سريرك عقب الانتباه من
النوم . استلق على ظهرك مع المباشرة قليلا بين الساقين ومدّهما
في استطالة ومن غير انحناء واقض نحو عشر دقائق أو خمس
عشرة دقيقة في الضغط بيديك على البطن مبتدئاً بما حول السرة
ومعقبا بما يليها من أسفل البطن إلى الناحية اليمنى على أن يكون
الضغط خفيفا تصعد اليد فيه من هذه الناحية إلى الناحية اليسرى
في شبه قوس وهكذا ، فأنت لا تلبث أن تحصل على النتيجة
المرومة .

مبادئ صحة

لا يكفي التبصر في التغذي لحفظ الصحة ، وإنما الواجب معه رعاية بعض قوانين علم الصحة وقواعده . ومن هذه القوانين والقواعد أن تشغف بالنظافة وأن تحب الماء حباً جما تغسل به جميع أجزاء بدنك لتكفل بهذه النظافة دوام انقراز العرق من مسام الجلد . والماء البارد يضيق هذه المسام كما أن الماء الساخن يوسعها ولذا كان الماء الفاتر أصح في الاستحمام من البارد والساخن . وإذا كان من تأثير الماء البارد أن يكسب الجسم قوة وشدة فإن الماء الفاتر يهدى الأعصاب ويذهب بكل أثر للتعب والعناء . أما الماء الساخن كثيراً فإنه يضعف الجسم ويذهب بنفسيته

دع نافذات غرفتك مفتوحة غالباً كي يتخلل جوها الهواء

والضوء شتاء وصيفا ولا تغلق الأبواب طلبا للدفء من أيسر طرقه فأن ما تقتصده من ثمن الوقود يذهب أضغافه ضياعا في سبيل الطبيب والدواء . واعلم أن الغرف التي يتخللها الهواء ينبوع للأمراض والأوبئة وخير مستنبت لجراثيم الزكام والالتهابات الصدرية وأوجاع الحلق والأنفلونزا . ودع الرياح في فصل البرد تتخلل غرفتك وتمر منها وتصفرفأنها تحمل على جناحيها الغذاء المقوى لرئتيك والدواء المطهر لبيتك من العفونات

رض نفسك على التنفس فأن التنفس علم مجهله كل الناس بينما يتحتم عليهم استيعابه والأحاطة به . ألم يكن الهواء هو الذي يجدد الدم ويبت الحياة في الأعضاء كلها ؟ ألم يكن الهواء هو العون على حفظ توازن الجسم وصيانة الوظائف الجثمانية والنفسية ؟ قال (أرنست بوسك) في كتابه على التنفس : «إننا بتلك الحركة الميكانيكية ، حركة التنفس التي تتوقف عليها تقوية الرئتين ننشر مطوي ما يتراوح عدده بين ١٠٠ و ١٨٠٠ مليون من الخلايا تتألف منها هاتان الرئتان . ومعلوم أن هذا العدد من الخلايا يغطي ما مساحته السطحية ١٤٠ متراً مربعا لو جعلت متلاصقة بعضها ببعض فإذا استخلصت من أبحاث كبار العلماء الفسيولوجيين أن سواد الخلق لا يتنفسون إلا من ثلث هذا السطح بل رבעه بل خمسة أيقنت أن مسطح الخلايا التي يتنفسون منها بفرض

انتشارها متلاصق بعضها ببعض لا يتجاوز ٤٦ بل ٣٥ بل ٢٨ متراً
مربعاً فقط . وهو ما يتبين لك منه ضعف مقدار الهواء المخزون
في الخلايا بالنسبة للمقدار الصالح نظرياً لأن يخزن فيها »
وبانه لنفي الدرجة القصوى من الضرورة الانتفاع بأكثر
عدد ممكن من الخلايا ، وهو ما لا يتم إلا إذا تنفس الإنسان
بملء رئتيه فيستنشق أكثر ما يمكن من الهواء بحركة الشهيق
ويطرده بحركة الزفير . وينبغي أن تكون الثياب واسعة
فضفاضة في أجزائها المتصلة بالجذع حتى لا يعوق ضيقها حركة
الصدر منفعلاً بعامل الشهيق والزفير . ويحسن أن يستغرق الشهيق
من الزمن ست ثوان تقدرها بحسابك الأعداد عقلياً من ١ إلى ٦
ثم تنتظر ستاً مثلها والهواء منحبس في صدرك فإذا انتهيت من
عددها على المثال المتقدم فالخرج الهواء من جوفك بحركة الزفير
قليلاً قليلاً بحيث تستغرق هذه العملية ست ثوان أخرى .
والواجب أن يكون دخول الهواء وخروجه من طريق الأنف
لا من طريق الفم الذي يجب أن يبقى محكم الإغلاق . ولك أن
تتأبر على هذه الرياضة الأولى عشر دقائق . فإذا كانت الأيام
التالية جعلت مدة الشهيق ثمانياً ثوان بدلاً من ست ومدة الانتظار
ثمانياً أيضاً ومدة الزفير مثلها . وتظل في هذه الرياضة مثابراً على
زيادة هذه المدة شيئاً فشيئاً فترفعها من ثمانياً ثوان إلى عشر إلى

اثنتي عشرة بل إلى أكثر من ذلك بحيث تطبع حالة التنفس عندك بطابع الاتزان والانسجام في بطء واستطالة ينفذ الهواء معهما إلى ثنيات الرئتين ويشبع دمك بالأكسجين الذي هو ينبوع الحياة والهناء والصحة

وأفضل مكان تروض نفسك فيه على هذا الضرب من التنفس الخلوات، تروضها عليه وأنت متمدد على الأعشاب الناضرة بجوار الأشجار الوارفة الظلال أو وأنت سائر بخطوات موزونة في طريق يمر الهواء فيه مشبعاً بأريج المروج والحقول لا يعوقه عائق ولا تحول دونه عقبة. فإذا فعلت ذلك، وما إخالك إلا فاعلاً إن شاء الله، فقد أكسبت بدنك صحة ونشاطاً وجعلت لنفسك سلطاناً منها عليها

واستفد بما يتبقى بعد عمالك من أوقات الفراغ، فخصص ساعتين منها كل يوم للسير على القدمين فإن هذا الضرب من الحركة لمن خير الرياضات وأجداها نفعاً للجسم إذ تجلوه وتزيل صدأه كما يزال صدأ الحديد. وهو خير واق من مرضي تيبس المفاصل والضمور إذ يكسب البدن خفة وليناً ورشاقة ويجعل حركات أعضائه منتظمة ومنسجمة. وهل شهدت في حياتك منظرًا أقبح من ذي بطن متكور يعوق حركته ويسبب له الغناء والتعب إذا بذل أقل جهد ويصيبه بصنوف الأدوية وفي مقدمتها

التعرض لداء السكتة؟ أما وأنت تقضى فى السير على القدمين ساعتين من أوقات فراغك اليومى فأنت لا تحشى السمن فيبقى جسمك حافظا للنسبة الدقيقة بين أعضائه وتخلص عضلاتك وقد تقوت بهذه الرياضة المعقولة من كل أثر للشحم المعطل للحركة فتظل على الدوام مرنة شديدة حتى فى أيام الشيخوخة

ولا تقتصر فائدة المشي على الجثمان بل تتمدها إلى الوجدان فقد ذهب شكسبير كبير شعراء الانكليز إلى أن هناك ارتباطا وثيقا بل الرياضة بالمشي وبين نزاهة الضمير وصفاء السريرة . وقد أيد العلماء هذا الرأي إذ قالوا إن المشي يفيد العقل رشداً وسلامة ويطفيء فى النفس نار العداوات ويستل منها الأحقاد ويلهم صواب الرأي والعزيمة ، دع أنه الرفيق الذى يرجع اليه عند الاستشارة . فقد قال (لوسيان ديكاف) فى رسالته المعنونة (مدح المشي) إن خير عمل الكاتب والفنان ما يبتكرانه أثناء المشي .

وينبغي أن يكون المشي سريعا بخطوات واسعة متوسطة سعتها ٧٠ سنتيا بشرط أن يكون الارتكاز على الأرض بهشطي القدمين أكثر منه بالكعبين وبشرط إعطاء الذراعين أقصى مدى لحركتهما المنسجمتين مع حركة الساقين أثناء السير . ولا تنس ما للحركات المقصود بها رياضة الجسم من الأثر النافع

في تقويم صحة البدن بتسهيل التنفس ودورة الدم والتغذية وتأثير
العناصر العصبية ومن ثم كان وجوباً على جميع الناس أن يلتزموا
الرياضة بالسير على القدمين خصوصاً بعد اتخاذهم الأوضاع الثابتة
من نوم أو جلوس أو وقوف أو اضطجاع مدة ما من الزمن
وإذا كان العمل الذي يؤديه صاحبه بانتظام وعلى وجه
يناسب قوة مجهوده من غير إرهاق ولا إملال عاملاً من أهم
العوامل المعززة لصحة البدن فإن الراحة من النوم ليس
الفسولوجية التي لا مفر من الخضوع لحكمها القاهر لما يترتب
عليها من توافر الموازنة بين الأعضاء وصيانتها في حالة تستوجب
الرضى والارتياح . فمن الواجب إذاً أن تتخلل هنيهات الراحة
أوقات العمل لتعود الأعصاب التي أهاجها التأمل أو الالتفات
أو غيرهما زمناً ما إلى سكونهما الأصلي ولتلتئم العضلات في
خلالها ما فقدته من المرونة بالجهد المبذول . ومما لا ريب فيه أن
التماس الراحة ساعة من الزمن بعد العمل المتواصل أربع ساعات
لا تعدل فائدته فائدة ربع ساعة من الراحة بعد ساعة من العمل .
ذلك لأن تعب الجهد المبذول مدة ساعة واحدة تصلحه ملازمة
الراحة خمس عشرة دقيقة بأسرع مما تصلح الساعة برمتها تعب
الجهد المتواصل أربع ساعات . نعم أن هناك ظروفًا تقضى على
المرء بمواصلة العمل زمناً مديداً فيهم حينئذ ، إذا كنت قد

أتممت عملك ، أن تلتبس من الراحة كل ما ييسر لها أن تعطيكه
من القوة المصلحة كأن تعطي جسمك الوضع الذي يلام راحته
بعد أن تتجرد من ثيابك الضاغطة على صدرك وتبدل منها ثيابا
واسعة فضفاضة أو تتمدد في كرسي مستطيل مادّا إلى الأمام
ساقيك وذراعيك وتسكن في هذا الوضع مع العلم بأن سيكون
العضلات شرط أساسي للراحة وأن أقل حركة لها تحمل
الخليلات عناء عمل جديد هي في غنى عنه . وليكن تنفسك منتظما
منسجما مع غمض العينين وطررد الهموم والأشغال عن الخاطر
وتمثل الصور الجميلة للأشخاص أو الأشياء بتذكر المناظر الخلوية
التي وقع النظر عليها في رحلة من الرحل الأخيرة مثلا . وليكن
من مضي الدقائق وأنت في هذه الحال ما يؤثر في نفسك التأثير
الذي لا يلبث أن يتحول إلى نعاس خفيف يحصل الجسم
به على الراحة من عنائه . وحذار من قطع سلسلة هذه الاستراحة
بحركة عمل أو قول فأنك إذا أدت مجهوداً ما حرمت نفسك
أثرها النافع ومزاياها الجليلة . وينبغي أن تظل محتفظا بذلك الوضع
نحو عشرين دقيقة أو نصف ساعة فأنك تنهض من مكانك
بعدها خفيفاً نشيطاً ومتحفزاً للوثبة على عمل جديد بعد إذ تكون
قد عوضت بالراحة ما فقدته في العمل من نشاط الحياة ووضعت
في أجزاء جسمك وأعضائه الزيت اللازم لحركتها بانتظام

وانساق وانسجام

ولما كان الإفراط مذموماً لأنه من أشد الرذائل ضرراً
بالإنسان فحذار من الاسترسال في الراحة والافراط منها . لأنه
إذا كان التجاؤك إليها مصلحاً للبدن والنفس فجاوزتك الحد فيها
داعية إلى الضرر الذي من أقرب مظاهره الإصابة بأمراض
معينة في زمن قريب . دع أنت الفراغ من العمل في حد ذاته
مفسد للصحة وضار بها أكثر من الإفراط فيه . والعمل الكثير
خير بلاريب من الفراغ الكثير

وغير خاف أن الشقة بين الراحة والنوم ليست بعيدة ،
فلننظر الآن فيما هو النوم الجامع لشروط الفائدة . يقول علماء
الصحة أن المدة الزمنية اللازمة للنوم تتفاوت بتفاوت الأعمار
فينبغي ألا تقل عن ١٢ ساعة لمن عمره من ٣ سنوات إلى ٤ و ١٠
ساعات لمن عمره من ٧ سنوات إلى ١٦ سنة و ٩ ساعات لمن عمره
من ١٦ سنة إلى ٢١ و ٨ ساعات لمن تجاوزوا هذه السن . والنوم
إذا لم يكن وافياً جمل النائم عرضة للأمراض المختلفة كفقير الدم
وتعب الأعصاب والضعف العام

واعمد إلى النوم عقب طعام العشاء بساعتين مع رعاية ألا
يكون مخدعك حار الجو وذلك بأن تفتح إحدى نوافذه وتسدل
الستار دونها حتى لا يمر الهواء بالوجه والجسم . وليكن النوم على

الجانب الأيمن حتى لا يعوق حركة القلب عائق . وتعود
التنفس من الأنف لتتقي جفاف الحلق وبالتالي الغطيط المقلق
المردول . واطرح من بالك عند النوم أشاغيل النهار وهمومه بل
تجرد من كل خاطر فأن النوم لا يلبث أن يفرغ عليك جلبابه .
وواجب الدموي المزاج عند النوم أن يضع رأسه على مخدة مرتفعة
منعا لصعود الدم إلى المخ بخلاف الضعفاء وفقراء الدم فيحسن بهم
جعل رأسهم أثناء النوم أوطأ ما يكون

وتحرز من وضع سريرك في قبة أي في مكان من المخدع
يفصله عن بقيته حائل ومن إحاطته بالستر التي تعوق مرور
الهواء ومن النوم على الفرش المحشوة بالريش . وعليك بالفرش
المحشوة بالقش المعروف بالكريفة الملطف بطبقة من الصوف
فوقه ولا تشعل ضوءاً في غرفة نومك فإنه يتعب النظر ويستنفد
جزءاً من أوكسيجين الهواء

وإذا تنفس الصبح فلا تنهض من سريرك فجأة ولا تبرحه
مسرعاً بل تريث حتى تعود حياة الأعضاء إلى مستقرها ويرجع
إلى المخ نشاطه الحيوي وانتظر على الجملة بضع دقائق لك أن
تتمدد وتتقلب فيها ماشئت . ولا ضير عليك إن وصفت أو
وصف غيرك هذا الفعل بوصف الكسل لأنه أفضل بكثير
وأجدي لصحة البدن من الإسراع بترك السرير عقب اليقظة ،

وهو الاسراع الذى من نتائجه احتقان الدم وصعوده صعوداً فجئياً واضطراب الأعصاب اضطراباً يخشى منه الضرر بالجسم
 صحة اللباس - للبرد تأثير بالغ فى زيادة خطورة الأمراض المختلفة ، فإنه ما من امرئ إلا ويحمل معه حتى وهو فى ملء صحته جراثيم جملة من الأمراض الخبيثة كالنزلات الصدرية والأنفلونزا وأمراض الحلق وغيرها . تتقلب هذه الجراثيم فى أمعائه ورثتيه ولعابه ، ويكفى أن يتعرض للبرد البسيط على أثر الاختلافات الجوية كهطول الأمطار أو بسبب لبسه النعال الرقيقة التى ينفذ منها الماء إلى قدميه لتصيب أنسجة الجسم وتفتك بها . ومن ثم كان لزاماً على كل إنسان أن يتحصن من هذه الأعراض بأزالة أسبابها أو سببها الوحيد وهو التعرض لتأثير البرد

وخير وسائل الوقاية والتحصن فى هذا الموضوع اختيار الثياب الحافظة للحرارة التى لا ينفذ البرد ولا الماء منها . ولا يخطر بالبال أن الثياب السميكة من أفضل الوسائل لأصابة هذا الغرض ، فإن الثوبين الرقيقين الخفيفين يلبس أحدهما فوق الآخر يحفظان الحرارة أكثر مما يحفظها الثوب الواحد السميك . والملابس التى تصف الجسم لالتصاقها به باعثة على فقد جزء من حرارته أعظم مما إذا كانت واسعة فضفاضة ، ذلك لأن الهواء المعترض فى الحالة الثانية بين الجسم والثوب موصل

ردىء للحرارة ، فوجوده بمثابة طبقات تتخلل الثياب التي يحملها
الإنسان داع إلى حفظ الحرارة وصيانتها من التبدد وفي حالة
اتصال الملابس بالجسم وضغطها عليه . وقد قاس (برجونيه)
العالم الفسيولوجي الشهير قياسا دقيقا درجة الوقاية من البرد في
الانسجة المختلفة كما يأتي :

١١٠	غلالة راكبي الدراجات من القطن ملتصقة بالجسم
١٣٥	صدرية من الفلانلا متوسطة القوة
١٣٥	قطن أجور
١٤٠	تريكو خفيف من الصوف
١٥٠	نسيج من الصوف والحرير دقيق الأسلاك مندمجها
١٥٥	مولتون أبيض غليظ
١٦٠	صدرية من الجلد مبطنه بالفلانلا
١٦٠	صدرية صيد من التريكو السميك
١٩٠	جوخ شفيوت اسود سميك مبطن بالفلانلا
٢١٠	ماك فرلان صوف
٢٥٠	معطف شتاء سميك مبطن بالحرير
٢٥٠	صوف جبال البرينات
٤٥٠	المعطف الأمريكي المبطن بالفرو
	فخير وسائل وقاية الجسم بالملابس ما كان بالمعطف

الأمر يكي المبطن بالفرو ، ويتلوه في هذه المزية الأنسجة
الصوفية المتخذة من صوف جبال البرنات . أما غلالة راكي
الدراجات القطنية والصدريّة الجلد فأنهما لا تقيان لا بإسهما تمام
الوقاية من سطوات البرد

وخليق بك أن تعني بأمر حذائك ، ذلك لأن مقداراً وفيراً
من حرارة الجسم يتبدد بواسطة القدمين لاتصالهما المستمر
برطوبة الأرض وأنت لتحول دون هذه الخسارة بعملية بسيطة
جداً ألا وهي وضع ثلاث طبقات من ورق اللف المعروف
مخروطة بهيئة نعل الحذاء ، فإن البرد لن تجد منك منالاً بواسطة
القدمين

وإذا خرجت من غرفة ارتفعت فيها درجة الحرارة فاعن
بسد فمك وأنفك بمنديل وذلك كيلا يدخل الهواء البارد منهما
إلى الرئتين فجأة بل بالتدريج . وكما أن البرد بليغ الضرر بالصحة
فأن الحر الشديد ضارّ بها أيضاً إلى حد أنه قد يسبب الموت .
وناهيك بما يتواتر وقوعه في شهرى يوليو وأغسطس من
حوادث لطشة الشمس . ومدمنو المشروبات الروحية أكثر
من غيرهم تعرضاً لهذا العارض القتال . ولا يحسن في فصل الصيف
تعاطى المشروبات الثلجة مهما اتجهت رغبتك إليها . وعليك
لبس الثياب الواسعة الخفيفة ودع البنيقات (الياقات) العريضة

العالية فلا تستعملها أبداً. ولا تبرز إلى الشمس عاري الرأس فإذا كان ثمة ما يضطرك إلى هذا الفعل فقم نفسك حرارتها بشيء تغطي به قفاك أو باتخاذ شمسية تتظلل بها

طول العمر — قال (سنيكة) الحكيم وأيد هذا القول بعده كل من (ستاهل) و (بروسيه) أن المرء لا يموت ولكنه يقتل نفسه . وقد تابعهم في رأيهم العلامة (جان فينو) في كتابه (فلسفة العمر) حيث قال إن الحياة البشرية لم تكن ثمرة القوى الميكانيكية والاتحادات الكيميائية في الجسم ليس إلا ، فإن فوق هذه الآثار المادية قوة سامية بل أصلاً رئيسياً يسيطر على هذه الآثار ويدبرها ويتصرف فيها أسماء الفلاسفة تارة بالذات وتارة بالفكر وتارة بالعقل ، فألى هذا الأصل الرئيسي والمبدأ الفعال ينبغي الرجوع لتنظيم وظائفنا العضوية . وفي الواقع فإنه لا بد لتوافر الصحة أن تقصد إلى هذه الغاية بأرادتك وعزيمتك . وهذه حقيقة لا تحتاج إلى دليل إذ يكفي أن يطرأ على الإنسان طارئ نفسي يؤثر بشدة في قلبه كي يتحول هذا التأثير إلى مرض ما من الأمراض . ولكل من الغم والخوف تأثير كبير في النظام العضوي يوقع به الاختلال والضعف ، كما أن للأمل والاعتباط تأثيراً مثله في هذا النظام يفضي إلى تمتينه وتقويته . فإذا كان الإنسان مريضاً تتأثر من علته وانبثت حرارة الحياة في دمه

واكتسبت عضلاته قوة جديدة منشطة . ومن ثم ترى أن
للفكر أثراً بيناً في حالة الجسم وأن في استطاعة كل امرئ أن
يجعل نفسه على الدوام في حالة من القوة البدنية والصحة الجسمية
تظهر عليه معها سمات القوة والشباب المبشرة بطول العمر في
حياة طيبة وهناءة ونعيم بال

قالت مدام (نورا واين) : « إن الهرم داء يصيب الانسان
بمحض اختياره ولكنه لم يكن مما تتعذر الوقاية منه » . وليست
مسألة السن مسألة تواريخ زمنية وتعاقب سنوات أو أيام وإنما
هي مسألة ميول طبيعية واستعدادات نفسية ، وماذا يهم عمر
الجسم في الحقيقة إذا بقيت الغرائز والمشاعر في شبابها وقوتها .
وليس الشباب دوراً من أدوار الحياة ولكنه صفة من صفات
الأرادة وحالة من أحوال النفس كما أن الهرم ليس إلا صورة
من صور الكبرياء وحب الذات »

إذن فما الذي ينبغي لنا أن نعمله لصيانة تلك الصفة حتى مع
الطعون في السن وانقضاء الشطر الأكبر من العمر ؟ الواجب
أن نتخذ القناعة في المأكل والمشرب منهاجاً لا نحيد عن جاداته
قيد شعرة وأن نعمل بأصول علم الصحة التي سبق الكلام عليها
في هذا المصنف على أن يكون هذا العمل مصحوباً بممارسة
رياضة النفس وتقوية صحتها كما تقوى صحة البدن سواء

فنجعل من أنفسنا رقيقاً عتيداً على أفسكارنا وخواطرنا ونتحرز من اليأس وثبوت الهمة اللذين هما ثمرة من ثمار النعم والاستسلام إلى الخواطر الرديئة السوداء ونغلق الباب بأحكام دون الشكوك والتصورات الفاسدة التي سرعان ما تسرى عدواها وتفسو أضرارها لا سيما إذا كان موضوعها ماساً بالهرم وما يلزمه من الآفات والأضرار والمصائب وما إليها من مزيجات الحياة الطيبة والهناء والسعادة

فهذه الفكر ونعيم البال من أئزم الشروط وأحقها بالمراعاة لأطالة العمر في هناءة وسعادة فإن التوازن يختل في الإنسان بالتصورات الرديئة التي تجعل الطيب خبيثاً وتفتح الأبواب على مصاريحها يدخل منها مختلف الأعداء . وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه فيما خلا الموت بحادث غير إرادي يكون الموت انتحاراً حقيقياً أو جريمة ترتكبها النفس ضد الجسم ، إما لجهلها وإما لسوء تدبيرها . ومن ثم يرى القارئ أن السر في طول الحياة يرجع إلى التحرز من الخواطر الرديئة والخيالات السوداء التي تقصر حبل الحياة وإلى رحابة الصدر واحتقار الموت وصفاء النفس . فإن تكن كذلك فأنتك بالغ إلى مائة الستة من العمر في شباب وقوة وهناءة

القسم الرابع

الجمال

وَبِأَعْيُنِنَا رَوْحُنَا

بِالْبَهَاءِ

مميزات الجمال الجاذب للأُنظار الخالب للعقول والافكار
قد لا تكون المرأة بالغة من توازن الأعضاء وحسنها المبلغ
الذى تشهيه لتندرج عداد الجميلات وقد يكون في بعض أعضائها
أو ملامحها عيب يرجع إلى اختلاف الشكل أو شذوذ الخلقة ، غير
أن هذا كله لم يحل دون ظهور نساء من هذه الطبقة التى ضنت
عليها الطبيعة بالمحاسن الخلقية فى مظهر من الجمال فاتن للعقول
سالب للأفئدة . وإنما كان ذلك بفضل ما بذلته من العناية بأصلاح
تلك العيوب وتفرغن له من محو معالمها وآثارها فى جسامهن
قال بعضهم : « لا يوجد بين النساء امرأة دميمة الخلقة إذ
لكل منهن حتى تلك التى لم تحبها الطبيعة بشيء ما من المحاسن
حسن خاص بها وجمال تستره العادة التى ألفتها أو يخفيه عدم
الاكتراث الناشئ عن اليأس . والحقيقة أن شيئاً من العناية
تبذله المرأة فى سبيل الأصلاح من شأنها يكفى لرفعها فى أعين
الناس من الخسوف الذى تنكست فيه إلى المستوى الذى تحرز
عنده الأتعاب والاحترام . وما ذلك الشئ من العناية إلا القليل
من العزيمة والأرادة تجمله رائداً لها فى الحصول على المراد
ولنذكر الآن بعض الوسائل والحيل المصلحة لعيوب
الخلقة :

اللون — إذا كان لون البشرة نقياً واضحاً فى نقاء الصدف

وشفافيته فقد أنسى الناظر ما يكون في الوجه من عيوب ناشئة
عن اختلال في توازن ملامحه وتقاطيعه وأكسبه صفات الشباب
الناضر الدائم . وحسن لون الوجه دليل على جودة الصحة لأن
الصحة الجيدة تكسب الوجه نوراً ونعومة كأنها لمس الحرير .
والمشدة (الكورسيه) إذا ضغط به على الجسم ضغطاً شديداً ،
والثياب إذا تعددت طبقاتها فأثقلت الجسم أضرت بطراوة اللون
وبهيجته . أما النظام الغذائي فينبغي العناية به على وجه خاص فلا
تعالج الأطعمة بالتوابل ولا يكثر من أكل لحوم الصيد والاسماك
البحرية ويراعى الاعتدال ما أمكن في تذوق النبيذ الجيد . ولا
مناص من الاختلاف إلى بيت الخلاء ولو مرة واحدة في اليوم ،
واستعمال الماء الفاتر في النظافة والطهارة . وخير ما تطفى به البشرة
من المراهم لتحسين لونها والاحتفاظ بطراوتها خليط بأجزاء
متساوية من عصارة الليمون والقشدة . وماء المطر إذا نقع فيه
المقدونس يؤثر تأثيراً حسناً في البشرة . وقد يقوم الزنبق
والورد وزهر البابونج مقام المقدونس في ذلك ، فإن لهذه
النباتات تأثيراً حسناً في البشرة . وقطرة واحدة من عصارة
الليمون على بثرة أو دمل يهددان البشرة توقف نموها وتذهب
بأثرهما .

الغضون -- إن أشاغل الحياة وغمومها وهمومها وما

يتخللها من اضطرابات ومحن تولد في الوجه الغضون أو الأسارير
فيظهر صاحبه أكبر سنًا مما هو في الحقيقة . فإذا أردت أن
تحفظ لوجهك نضرتة وبهجته وانبساط بشرته من غير ثنيات
ولا أسارير فتحرّز من الاسراف في البكاء والضحك سواء ولا
تفرط في استعمال المراهم الدهنية للعناية بالبشرة كالدهون المعروفة
باسم كولد كريم والفازلين والجليسرين لأنها تلين الأنسجة وترهلها
واستعمال الماء الساخن طلباً للنظافة يفضي إلى هذه النتيجة بعينها
ومن الوصفات ذات الأثر الصادق في إزالة الغضون أن تغلي
ملء الكف من الشعير في قليل ماء إلى أن تنضج حبوبه نضجاً
تاماً ثم صفه من خلال مسام قطعة من القماش دقيقة السلك ضيقة
الثقوب وأضف إليه بعد ذلك بضع قطرات من دهن الطيب المكي
ثم ضعه في قنينة ورجها رجاً شديداً حتى يمتزج الدهن بالشعير
امتزاجاً جيداً واستعمله في غسل الجبهة والعينين ، فإن هذا الماء
فضلاً عن كونه من أصدق المركبات أثراً في إزالة الغضون ينعم
البشرة ويحسن لونها . وهذه الوصفة من أقدم الوصفات ولكنها
أحسنها وأولى بالاتباع من سائرهما
وقد اخترعت في عصرنا هذا آلات لذلك بالكهرباء يقصد
باستعمالها إزالة الغضون . والمعروف أنها أتت بالغرض المقصود منها
فلا بأس إذن من الاقتناع بها

وهناك وصفة أخرى لأزالة الغضون أبسط من التي شرحناها الآن وهي أن تأتى بقطع مستطيلة من التافتا الانكليزى الجيد الصمغ ثم تبسط مكان الغضون بين بعض أنامل اليد اليسرى وتلصق باليد اليمنى قطعة من هذا القماش به وتظل الأنامل في مكانها بضع دقائق بينما تضغط بشده على القماش في أثناءها . وتعمل هذه العملية في المساء قبيل النوم وتبقى قطعة التافتا في مكانها طول الليل حتى إذا أسفر الصبح أزيلت بالماء الفاتر ، وتكرر هذه العملية كل مساء إلى أن تزول الغضون

العين — كان حكم الشعوب كافة على العين أنها رمز الذكاء والعقل ودلالة القلب والضمير . وبلغ من تقدير القدماء لها أن أسموا الشمس (عين الكون) . ومهما يبذل الانسان من العناية بالعين فما هو إلا القليل مما يجب لصيانة العين والاحتفاظ بحسنها . وأغلب ما يصيب العين من الآلام الضوء الشديد وإدمان المطالعة والأمعان في السهر . والواجب في وقاية العين من أعراض الأمراض إذا كانت سليمة غسلها بالماء البارد قبل الرقاد وعند القيام من النوم . والأحسن إذا كان بها التهاب التحرز من الماء البارد واستعمال الماء الساخن بقدر الأمكان بدلا منه . ولا تتم تجاه نافذة منعاً لأشعة الضوء من الوصول إلى عينيك رأساً عند القيام من النوم . وإذا أحسست تعباً فيهما فضع بضع قطرات من

العرقى الجيد فى راحة كفك ودعها تتباخر بتأثير حرارة الجسم
معرضاً إياهما مفتوحتين للبخار المتصاعد منها . وهناك وصفة
أخرى لأزالة تعب العينين بأن تنقع طول الليل فى الماء زهر
الترنجمان جافاً كان أو طرياً فاذا أسفر الصبح غسلتهما بالمنقوع .
وغسل العينين جملة مرات فى اليوم بمنقوع الشاي الفاتر غير المحلى
بالسكر يذهب بالتهاب الجفون ويزيل الورم ويعطى اللحظ
بهاء وبهجة

الشعر — إن الشعر كالنبات إذا أسرفت فى دهنه بالمرام
والزيوت مات كما يموت النبات إذا أسرفت فى ريه بالماء الغزير .
والسبب فى ذلك أن مسام الجلد تنسد بهذه المواد فيعوق انسدادها
نمو الشعر فضلاً عن أنه يصيب الرأس بالأوجاع المختلفة من
صداع وغيره . وأبسط الوسائل لصيانة الشعر وأقلها كلفة ومؤونة
قصه فى غالب الأحيان ثم ترجيله يومياً بالمشط فالفرجون (الفرشة)
لتنظيفه من الهبرية ، وهى تلك القشور البيضاء التى تتسوخ بها
الشعور ويصيبها الضرر من جراثيمها . وينبغى القيام بهذا العمل فى
الصباح لتهوئتها وإزالة ما بها من عرق الليل ، ثم يكرر فى المساء
لأزالة ما تراكم فى أثناء النهار من الأوساخ بسبب الحرارة
والعثير ، ولا بأس من غمس المشط بين آن وآخر فى ماء معطر
بماء كولونيا مع التحرز من غمر أصول الشعر بهذا الماء حتى لا

تتأذى بالرطوبة . وهذه الطريقة إذا استعملت كل يوم باحتراس
وتدبير اكسبت الشعر اللين والبهجة وطهرته من أثر الرواح
الردئية الناشئة عن تراكم العرق بين أصول الشعر . ويمكن
في أثناء الصيف للوصول إلى هذا الغرض غسل الرأس مرة
واحدة في الشهر، إما بماء الردة لأزالة المواد الدهنية العالقة بالشعر
وإما بالمناقيع العطرية بحسب ما إذا كان المراد تسكين ما يصيب
جلد الرأس أثناء الحرارة من التهيج والتأكل أو تقوية الجذور
الشعرية . وهذه المناقيع مفيدة أيضاً لأطاله الشعر

وإذا كان الشعر زينة الجمال النسوى فمن الواجب لصيانة
هذه الزينة ترجيله بمشط لا باللين ولا بالشديد الصلابة، على أن
تغمس أطراف أسنانه في ماء ممزوج بسائل كحلي لطيف كماء
البرتقال ويرجل بعد ذلك بمشط متقارب الأسنان إلى الحد الذي
يستطاع معه تطهير الشعر من المواد الغريبة التي علقته به في
النهار . وإذا كان الشعر دهنيًا بطبيعته أو جافًا ففي الحالة الأولى
يستعمل الفرجون مبللاً بماء برتقال الصنف وفي الحالة الثانية
بفرجون خاص دلكت أسنانه الشعرية بمرهم جيد للشعر . وليست
الزيوت وأنواع المراهم بنافعة للشعر إذا أصابه الجفاف بتأثير
الهرم أو الحوادث المحزنة

ولمنع سقوط الشعر وصفات عديدة نذكر هنا بعضها : إن

منقوع خشب البقس ينمي الشعر تنمية عجيبة . ونبات الانجرة وواق
من سقوط الشعر ، بل يزعم بعض الباحثين أنه ينميه من جديد
إذا كانت جذوره لا تزال موجودة . وطريقة الاستعمال هي أن
يؤخذ ما زنته ٢٠٠ جرام من جذور الانجرة وبعد قطعها قطعاً
صغيرة رقيقة تغلى مدة نصف ساعة في نصف لتر ماء ونصف لتر خل
ثم يدلك الرأس بهذا المنقوع قبل النوم . ووصف طبيب هولاندي
حمض اللبنيك محلولاً بنسبة ٦٠ جزء منه في ١٠٠ جزء من الماء
كعلاج صادق الأثر لمنع سقوط الشعر ، وطريقة الاستعمال على
ما قرره الطبيبان (باين) و (ستوكافوفتش) أنه بعد إزالة ما
بالجلد من المواد الدهنية بواسطة مزيج من الكحل والأثير
يدلك بقطعة من القطن المعقم بعد إشرابه بحمض اللبنيك . وقد
يحدث هذا الدلك ألاماً خفيفاً فعندئذ يوقف الدلك ويطلق جلد
الرأس بالفازلين البوريكي ويحسن غسله يومياً بمحلول السليمانى
بنسبة ١ في ٢٠٠٠

ويرى الناس في ظهور الشيب نذيراً بالهرم فسرعان ما
يلجأون إلى الصبغات يسترون بها هذا العارض الذي يعدونه عيباً
ولكن لما كانت هذه الصبغات لا تدعو تراكيبها إلى الاطمئنان
وكان لا بد لمن وخطه الشيب أن يؤم بأنه يعيش في ربيع مقيم
فخير الوسائل لصبغ الشعر وأبسطها استعمال محروق قشر شجر

الفلاين في أحد المراهم أو منقوع قشور أشجار البلوط والجوز والتوت الأسود، وبالجملة كل المواد النباتية الكثيرة مادة التين وذلك بأن يغسل به الشعر باستمرار فيسود على توالي الأيام. ويمكن باستعمال الأمشاط الرصاصية للوصول إلى مثل هذه النتيجة من أقرب طريق

الحواجب — لا يتم معنى الوجه ويكمل حسنه سوى الحواجب الحريرية الملمس الغزيرة الشعر المستدقة الأطراف في تقوس منتظم. فإذا لم يكن حاجباك، لسوء الحظ، غزيري الشعر ولا طويلين ففي استطاعتك سد هذا النقص بأن تضع عليهما رماد قشر شجر الفلاين مسحوقاً ومخلوطاً بمزئين متساويين من الجلسرين وماء الورد

الفم — الفم من أحق أعضاء الجسم بالعناية إذ عليه يتوقف جمال الجسم وصحته وقد قيل: «الفم السليم والأسنان البيضاء تقي المرء كثيراً من الأمراض». وحركة عضلات الفم إذا طال تكرارها أحدثت بجانبه غضوناً تذهب بمعالم حسنه فمن الأفضل إذن ألا يفرط في الضحك لأنه يدعو إلى حركة العضلات فالى الغضون. واصيانة الفم والأسنان تضع شيئاً من (بي بوركس) أي ثاني البورق على فرجون (فرشة) الأسنان وتدللكها به وينبغي قبل استعمال الفرجون وضعه في الماء الساخن مدة عشر

دقائق . وبعد هذه العملية تضيف إلى ما مقداره ملء ملعقتين كبيرتين من الماء الفاتر ملء ملعقة واحدة من المركب الآتى :
١٢٥ جراما ماء فينيكي بدرجة ١٠٠ و ١٢٥ جراما من الماء ، ملء ملعقة بن من الكلوروفورم ، ويستعمل هذا المزيج فى مضمضة الفم وهذا العلاج كفيل لمن يتبعه بيباض الأسنان وحفظ صحة الفم والحلق ووقايتهم من الأمراض

اليدان — لا كساب اليدين لونا أبيض نقيا يكفى أن تضيف فى صبيحة كل يوم إلى الماء الذى تغسلهما به شيئا من دقيق الشعير ونشارة الخشب فأن غسل اليدين بهذا الماء ودلكهما أثناء الغسل دلکا شديدا يكسبهما بياضا وطراوة لم يكونا لهما من قبل . وغير خاف أن جمال اليد أو بعبارة أخرى العناية بها مع نظافة الأظافر دلالة على حسن التربية . وما من أحد إلا وينظر إلى يديك يستدل بهما على حقيقة أمرك . وهو بهذا النظر يصل إلى معرفة ما خفى من أحوالك أكثر مما لو سألك عنه فأجبتة على سؤاله . فكن على الدوام نقي اليدين ليحسن ظن الناظرين اليهما بك ويعتمدوا عليك

خفة الروح والنجابة

خفة الروح -- إذا استرعى الجمال نظر المرء فوقف أمامه
باهتاً دهشاً فأقل ما في خفة الروح من المحاسن الفاتنة أنها
تستهوى إليها النفس وتأسرها وتملك عليها حواسها . فما هو إذن
سر خفة الروح وبم يستطاع تعريفها ؟ أنها لنكرة لا تعرف
وعدم هو الوجود كله ، إذا توافر في المرأة التي لم تظفر بجمال الخلقة
أكسبها حسناً موقفاً وبهجة وطلعة لا تمل ولقت إليها إلا نظار
حتى من ناحية الذين لا يكثرثون بالجمال ولا تخفق قلوبهم لروعة
وبهجته . وإذا قلنا إن خفة الروح نكرة لا تعرف فما في هذا القول
أثر للمبالغة إذ ماعسى أن يكون التعريف العام للمحاسن الآتية
متوافرة في النفس الواحدة : لطف الإشارة وشرف الحركة
وحسن الاستواء في الجلوس وسلاسة الحديث في لهجة رشيقة

وصوت رقيق وبسامة الثغر وتوقد الذهن وصدق النظر ودقة
الملاحظة واصطناع المعروف وسلامة الذوق في مظاهر الحياة
على اختلافها. وهناك طائفة أخرى من المزايا التي ترتبط وثيق
الارتباط بخفة الروح لا ترضخ لحكم التعريف والتحليل لأنها
من الاسرار الكامنة في النفس والصفات العالقة بها لن تشبه
ما يقابلها في نفس غيرها. ومن ثم كان لكل امرئ خفة
روحانية ومحاسن جذابة ورشاقة خلاصة به لا تعداه إلى
سواه يشعر الأغيار بقوتها الجاذبة دون أن يروا لها أثراً محسوساً
ويرضخون لحكمها وهم لا يدرون من أين سرت إلى أفئدتهم تلك
القوة المغنطيسية ولا كيف يستكشفون سرها الغريب

فعلى قارئات هذا الفصل إذا شئن أن تملكن تلك المحاسن
الفاتنة من ناصيتها بالانجماع هنيئة عن الناس للتأمل في أحوال
أنفسهن وعرض ما حبتهن الطبيعة أو التربية به من المحاسن على
أنظارهن. ومفهوم أن بعض المتملفين والمداهنين، وهم كثير
في هذا العصر، قد أطنبوا طلباً للزلفي منهن في مدح بعض ما
أحرزته من المحاسن، ثم لا بد أنهن قد عرفن عند ما يتراءين في
المرآة أي هذه المحاسن لفت إليه أنظارهن. وإذا كنا نفرض
أنهن على جانب من الدراية والذكاء والفهم فأول ما نطلبه اليهن
أن تضربن عرض الحائط بما سبق إلى أسماعهن من الفاظ الملق

وعبارات المداهنة وأطرح جانباً ما علق بأذهانهم من حسن
الظن بأنفسهم على أثر ترائيهم في المرأة وتبرين بعد ذلك لنقد
أنفسهم كما لو فعلوا لنقد نساء غيرهن فأذا عن لا أحداهن ، بعد
بحث وتحقيق ومراجعة وتدقيق ونجرد من الغرض الباعث على
التحيز ، أنها مجملة بشيء من تلك المحاسن فلتعمل بمجد واجتهاد على
تسميته بيقين من يعتقد ان الوردية لا تتفق اكلامها بذاتها وإنما بعمل
البدستاني في تعهده إياها بصنوف العناية الكفيلة بتنميتها . وما قيل
عن الوردية يصدق على الصفات والمزايا والخصائص . ومن ثم
كان لزاماً على المراد الناهية ان تتعهد الصفات التي يلوح لها ان
الطبيعة لم تضن بها عليها بما يكفل نماءها وبلوغها إلى حد الكمال ،
فتمارس تنظيم حركاتها وإشاراتها وتنسيق نغمات صوتها وترتيب
أحوال نظراتها وتتوفر بالجملة على تدبير شؤونها النفسية بحيث
لا تترك في كل ذلك أثراً ما للتصنع والتعمل فأن في هاتين
الخليتين ما يجلب اليها الازدراء والمقت والسخرية من الناس وليس
هذا هو ما ترنو إليه وتبذل الجهد للحصول عليه

ولتتحرر في تثقيف عقلها مطالعة المصنفات النفيسة التي
تسمو بالفكر إلى شرائف الغايات ولتختلف إلى المتاحف ومعاهد
الفنون تهذب بالنظر في محتوياتها ذوقها وطبعها . وإذا كانت هذه
الممارسة واجباً عليها فالواجب منها ممارسة إتياء المعروف واصطناع

الجميل ، فإن المعروف هو أسمى غاية يرمى المرء اليها بفضائله
النفسية العالية ، ومنه تتشعب المحاسن الجذابة وسائر المزايا
والفضائل . ولا عجب فاعتقاد المرء إيتاءه المعروف من يستحقه
يكسب صوته نبرة قوية فعالة في نفس السامع ونظيره اتقاداً ونوراً
وبهجة وحركاته وإشارات شرفاً ونبلاً وثغره بسامة ترضخ لقوة
سحرها الأفتدة وعقله مرونة وسعة . فابذرن أيتها السيدات
بذور المعروف تحصدن المحبة واصطنعن الجميل لا ترعين منكن
إلا جميلاً ولا تأنس القلوب فيكن إلا ربيعاً مقيماً وشباباً ناضراً
ولو بلغت أرفل العمر وأكل الدهر عليكم وشرب

النجابة — خصلة تسمى بصاحبها على الاقران وهبة نادرة
تميزه عنهم بالرفعة والنبالة وما اليهما من الخصال التي لا توافر في
الغالب إلا من طريق الفطرة . ومن كان على إرث من النجابة
وجب أن يعد نفسه من السعداء لأنها قلما تكتسب من غير
ذلك الطريق وإذا اكتسبت فلا بد لاستقرارها في النفس من
الممارسة الطويلة والاختلاف إلى البيئات التي تتوافر فيها أسباب
القدوة الصالحة

ومن أخص آيات النجابة وعلاماتها لين العريكة في المعاملة
وسلاسة الحديث ورفعته وضبط الحركات في الايمان والتأني في
اللباس بما لا ينافي الحشمة والدراية بمقتضيات الحال في المحادثة فلا

يساق القول جزافا ودون مناسبة . تلك هي علامات النجابة
المميزة لها عن غيرها من الخصال . وانما ينبغي أن تنضاف اليها
طائفة كبيرة من خصال أخرى تبرز المتصف بها في مظهر من
يتخذ بينه وبين الصلف والكبرياء هوة سحيقة ويتحلى بحلية
التواضع في غير استحياء ولا خجل ويتحرى الحقائق ويحفل
باستكشافها فيما لم تكن له دراية تامة به من شؤون الناس واحوال
الاشياء ويثبت على طباع واحدة فلا يتقلب من طبع الى طبع
طوعا لما تتأثر نفسه به من العوالم الطرائية ويتقبل من الناس بأدب
جمّ وخلق رضى مظاهر التكريم والتبجيل ويرد عليها بأحسن
منها ويكون سليم الذوق على الجملة في العمل لما تتطلبه ظروف
الزمان والمكان .

وان تكن من السعداء الذين آتتهم الأقدار بقسط من
النجابة غير واف بسد مطعمك منها ففي قدرتك تحصيل هذه
الفضيلة وامتلاكها من ناصيتها لا بمحض المطالعة في كتب السير
والسلوك بل بالعمل المتواصل لتنميتها في نفسك وهو ما لا يتأتى
لك الا بالتحرز والتدقيق في اختيار معاشرتك واتخاذك اياهم ممن
امتازوا بالنجابة والنبالة والاجتهاد في الاقتداء بهم بالاصغاء
لأقوالهم والالتفات لحركاتهم واشاراتهم . ولا حرج عليك اذا
ترسمت خطواتهم في ذلك ماداموا على إرث من الصفات والفضائل

التي ترنو الى التحلى بحلاها . ومتى كنت على استعداد للاقتداء بهم
فقد هان عليك أن تطيع ما تكسبه من خلاطهم بهذه القدوة
بطابعك الخاص وتسمه بالسما التي تتفق مع ميولك الذاتية وذوقك
الذي فطرت عليه . ومن ثم تخلص من قيود التقليد المحض الذي
يجعل صاحبه أقرب الى القردة منه الى بنى الإنسان .
أمعن النظر فيمن اتخذته من أولئك الفضلاء النبلاء نموذجاً
للاقتداء ودقق البحث في تصرفاته جميعاً من الائمة الصغيرة
الى الحركة الكبيرة ومن الكلمة المفردة تنبس بها الشفتان
الى الحديث المستفاض ينطلق به اللسان وقس الائمة والحركة
بمعياريهما وزن الكلمة والحديث بميزانيهما واخترنفسك من ذلك
كله ما ترى بصدق نظرك أنه في الكفة الراجحة . ثم أعد النظر
ممعنا في لباسه فإذا ألفيت هندامه ممتازاً بتناسب الألوان وتطابق
الأجزاء وأن ما يتحلى به من الجوهر والمصوغ جدير ، مع قلته
والقصده فيه ، بالأعجاب لوضعه في مواضعه اللائقة به وأن حذاءه
وقفازه لا غبار عليهما وأن ما يتطيب به من الطيب لا يصل
شميمه الى الأنف إلا خلصة ، فلا عليك إذا حذوت حذوه في كل
ذلك واتبعت فيه طريقته . ثم أصنع الى قواه محدثاً ترأه لا يذهب
بنبرات الصوت زاعقاً وأنه يختار له المعنى الشريف في اللفظ
لجزل الحسن الرنين في أذن السامع وأنه لا يراعى في موضوعه

إلا ما يقبله ذوق السامع ويونق أذنه . فلا عليك أيضاً أن تذهب
مذهبه في حديثه لاسيما إذا كان موجهاً منه كمرؤوس إلى رئيسه
وبالعكس أو كنظير إلى نظيره .
وأولى لك فأولى إذا لم تأنس من نفسك استعداداً للتخلق
بهذه الأخلاق العالية أن تدع الاقتداء جانباً وإلا زلت قدمك
في التعامل الذي يفضل عليه ما أنت فيه من سذاجة الفطرة والبراءة
من وصمة التكلف

قال المؤلف في خاتمة كتابه :
الآن ، وقد بلغت إلى الغاية القصوى من هذا البحث ، لا
يبقى إلا أن أشكر للقراء إصاخرهم لما أوردته فيه من الآراء
راجياً منهم مشايرهم إياي ما ذهبت إليه فيه من الأمل في تحقيق
موضوعه لينشأ في المستقبل القريب جيل من الناس عارف
بواجباته ، واثق بقدرته على مواجهة مصاعب الحياة ومحنها بجهاد
ثبت وجأش قوى ، منحر عن طريقه كل ما يعترضه فيه من القوى
الطبيعية أو الاجتماعية العمياء الغاشمة ليخلص منه إلى النجاح
للرجو والسعادة المأمولة والخير الوفير وما إلى ذلك من الوسائل
الكفيلة بنعيم الحياة .
على أنني لا أود مفارقة أولئك الأصدقاء قبل أن أوجه

اليهم كلمة وداع استمدها من عواطف ميلى اليهم وحي الخيرهم
وهنا هم .

ليست الموضوعات التى طرقت أبوابها فى هذا المصنف من
الأبحاث الجديدة ولا من مبتكرات العهد الذى نعيش فيه ، وإنما
هى موضوعات يرجع تاريخها الى الزمن الذى تألفت فيه هيئات
الاجتماع الانسانى . ولقد تصدى لبحثها وتحييصها فريق كبير
من فطاحل الرجال وثقاتهم فقرروا فيها الحقائق وأرسوا القواعد
فأذا أنا قد تصديت للبحث فيها ، فما هو إلا لتلخيص هذه القواعد
والحقائق وسبكها فى القالب الذى يجعلها فى متناول القراء على
تفاوتهم فى الفهم والادراك .

وإذا كان قد بدا لنا من جانب الشعب الأمريكى فى هذا
العصر ما استفزنا الى العجب من قوته الحيوية ، وجعلنا نبهت
أمام مواهبه الفكرية والعقلية وفطانيته فى الانتفاع بالاختراعات
العلمية وإرضائها لمقتضيات الحاجة فى الاجتماع ، فما ذلك إلا
لأن طائفة من الكتاب والمفكرين قد وقفوا أنفسهم على تهذيب
أفرادهم وتثقيف عقولهم وتنمية إرادتهم وشحن عزيمتهم بالتعاليم
السهلة الصريحة فى أغراض تمتاز بشرفها وجلالها . ومما لا ريب
فيه أن مجال القول فى هذا المصنف ما برح متسعاً للبحث فى
موضوعات شتى ترتبط بالتى أوردناها فيما تقدم ولو أننا عاجلناها

فيه لبرز الى القراء أجل وأجل منه عاطلا من حليتها . ولا كفننا
فضلنا الاقتضاب على الأسهاب رغبة منا في ترك هذا المجال
مفتوحا للباحثين .

فعلى القراء أن يطالعوا هذا المصنف بالالتفات والعناية وأن
يعملوا بما ورد فيه من النصائح والحكم فأنهم إذا كانوا يحسون
ظهورهم تنوء بعبء الحياة وإحنها ومحنها ويشعرون بأنها
الكاบوس الذى يضيق به صدرهم فسرعان ما يبدلون من هذا
الرأي رأيا آخر فتتجلى لهم الحياة كالعروس فى ليلة جلوائها بل
سرعان ما تبدو لهم كال ميدان البعيد مدى الأطراف تنطلق فيه
الهمم فتصل منه الى أقصى الغايات وأشرفها . وإذا يدركون سبب
وجودهم فى هذا الوجود وماهية الغرض المقصود من الحياة ، ألا
وهو الفوز والنجاح فى معتركها .

وليدكروا أن المرء ليس يباق فى الوجود إلا بالفكر وأنه
إذا فنى جسمه فما هو بفان . فليسموا بأفكارهم الى المعالى وليكسروا
ما يربطها بالمادة من القيود حتى تحاق بأجنحتها القوية فوق
أفقنا المحدود ، وماهى ببالغة الى ذلك الأوج ولا بمحلقة فى سمائه
إلا إذا سهلوا لها الفكاك من تلك القيود التى تستحيل معها الوثبة
الى قنن المعالى وذرواتها .

﴿ انتهى ﴾

فهرست الكتاب

صفحه	
۳	المقدمة
۷	القسم الاول — الفضائل
۹	الاعتماد على النفس
۱۳	ضبط النفس
۲۸	الارادة
۴۶	اختيار المهنة
۵۸	المثابرة
۶۷	الفراسة والتوسم
۱۲۳	آداب وفضائل شتى
۱۳۶	الصفات الجمالية
۱۵۱	القسم الثاني — الوسائل
۱۵۳	التجارة
۱۶۶	المهن الصغيرة
۱۸۵	الاعلان
۲۰۰	القسم الثالث — الصحة
۲۰۷	النظام الغذائي
۲۲۶	مبادئ صحية
۲۴۱	القسم الرابع — المحاسن
۲۴۲	الجمال
۲۵۳	خفة الروح والنجابة

بيان

الخطأ الواقع في هذا الكتاب وصوابه

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
للمصطفين	للمصطفوين	٤	٣
تروضها	ترويضها	١٢	٣
المقدام	المقدمة	٨	٥
فروض	فروض	١٦	١٠
فأنهم	فأنهم	٩	١٥
المؤسسة	المؤسسة	١٧	١٧
فأرده	أرده	١٣	٢٨
برياضة	بترويض	٢	٣١
فانقض	انقض	١٢	٥٧
متوافرا	متوافر	٨	٦٠
كليهما	كلاهما	١٤	٦٢
المكاييد	المكائد	١٠	٦٨
بأعلى	بأعلا	١٤	٧٨
الزوجية	زوجيه	٦	٨٧
والعيون	والعون	١٨	٨٩
خبث	خيت	٣	١٠٠

صواب	خطا	سطر	صحيفة
الذسيج	القماش	١٣	١١١
برائض	بمروض	١٩١٥	١٢٢
مرءوسك	مرؤوسك	١٢	١٢٦
الرقبة	الرقية	١٩	١٤٥
مذكرا	مذكر	١٦	١٦٩
أن	وأن	١٢	١٧٣
ثلاثة	ثلاثة	٦	٢٠٩



The American University in Cairo
Library

April 27, 1993



0 0 0 0 0 2 7 9 4 9 2

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

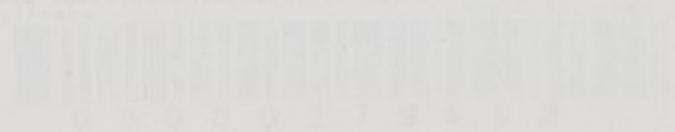


I 14733699

B 13029863



AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY
LIBRARY



00000273492

